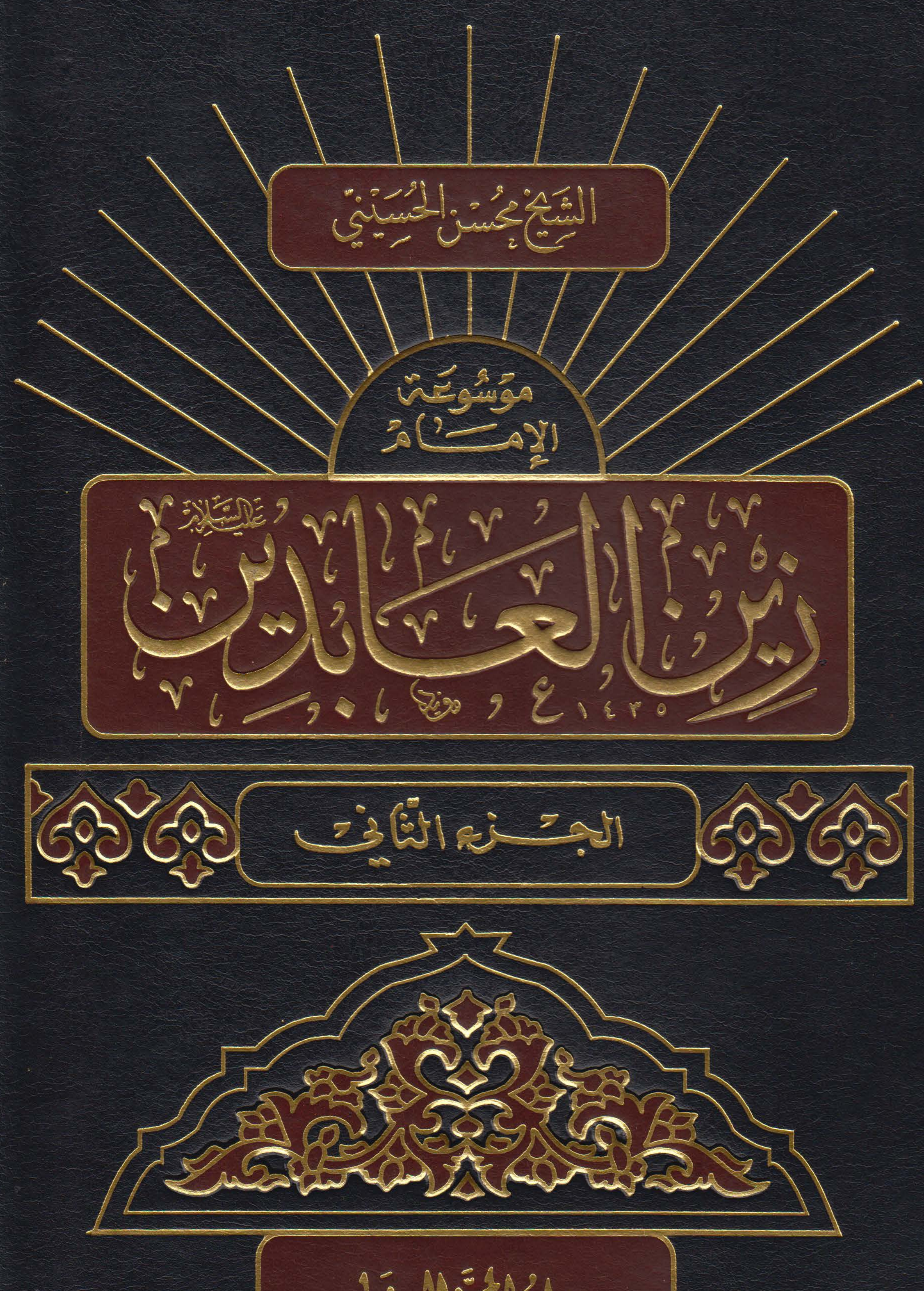


الشيخ محسن الحسيني
موسوعة
الإمام
زين العابدين عليه السلام
١٤٣٥
الجزء الثاني
دار المحجة البيضاء


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com


موسوعة الإمام
زين العابدين عليه السلام
١٤٣٥ هـ

الشيخ محسن الحسيني

موسوعة الإمام




الجزء الثاني

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

هوية الكتاب

* الكتاب: موسوعة الإمام زين العابدين عليه السلام.
* المؤلف: الشيخ محسن الحسني.
* الطبعة: الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. (ج٢: ٣٣٢ صفحة).
* الناشر: دار المحجة البيضاء.



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com


بسم الله الرحمن الرحیم

# المقدمة



عُرِف الامام زين العابدين عليه السلام بالعبادة والدعاء والتوجه الروحي حتى غدت ألقابه كلها تتسم بهذه السمة، وكان يشار اليه بأنه، زين العابدين- السجاد- البكّاء.

وقد تميزت سيرته الحياتية بعد استشهاد أبيه بأنه ابتدأها في العزلة عن الناس حتى أنه بنى بيتاً من وبر الابل ليختلي به خارج المدينة.

ثم عُرِف بعد ذلك تعرضه للدعاء فنقلت عنه الصحيفة التي عرفت باسمه (الصحيفة السجادية) والتي يطلق عليها بأنها: زبور آل محمد صلى الله عليه وآله.

كما عُرِف عنه توكيل عمه محمد بن الحنفية للشؤون السياسية وادارة العلاقات مع أصحاب التوجه الثوري، ولعل أوضح مثال على ذلك ادارة شؤون حركة المختار بن أبي عبيدة الثقفي.

وقد تمكن الامام عليه السلام من خلال توجهات الدعاء على نشر ثقافة أهل البيت عليهم السلام، وتبيان المفاهيم الرسالية، ومعالجة الامراض الاجتماعية والسياسية والاخلاقية التي فتكت في المجتمع بشكل خطير، وان معالم الصحيفة السجادية بارزة ضمن هذه التوجهات الهامة، مثلما- انه- ومن خلال توكيل عمه محمد بن الحنفية تمكن من ادارة العمل السياسي واعادة صياغة الوضع الثقافي لأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام حيث يعتبر الامام السجاد عليه السلام المؤسس الثاني لهذه المدرسة الثقافية والتي يمكن تلمسها بوضوح ضمن مراجعة سريعة لرسالة الحقوق التي أنجزها الامام كما هي أدعية الايام مضافاً الى الصحيفة السجادية بما يبرز بجلاء معالم هذه المدرسة العلوية.

كما أن الامام عليه السلام يعتبر القمة في مدرسة التابعين الفقهية كمعلِّم وقدوة لنماذج بارزة من تلاميذ هذه المدرسة من أمثال سعيد بن المسيب ومحمد الزهري والقاسم بن محمد بن أبي بكر، مثلما كانت الطبقة المثقفة في المدينة والتي تضم الفقهاء والعلماء، وقراء القرآن لايحجون الا بإمرة الامام زين العابدين عليه السلام كما تمكن الامام عليه السلام من تربية جيل من الفقهاء والعلماء يشار اليهم بالبنان ووسع قاعدة هذه الشريحة بعد أن حصد الأمويون رؤوس أتباع اهل البيت ومعلمي القرآن من أمثال حبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة وميثم التمار وسعيد بن جبير.

وممارسات الامام عليه السلام، العبادية الروحية والتي اطلع عليها الناس بمختلف مستوياتهم من أمثال سعيد بن المسيب ومحمد الزهري وعبد الملك بن مروان وعبد الله بن عمر وجماهير الناس في مكة المكرمة والمدينة المنورة، أعطت انطباعاً روحياً متقدماً لسمعة الامام عند أتباعه وأحاطته بهيبة مقدسة وخلقت له حصناً منيعاً من الود والاحترام.

مضافاً الى ما منحه الله من كرامات جمة واستجابة للدعاء في مواطن صعبة حيث استجاب سبحانه دعاءَه وقضى حاجته أمام مرأى الناس. مثلما شاهد اتباعه بأبصارهم هذه الكرامة وبنفس القوة حيث سهل أمورهم وقضى حوائجهم بطريقة الكرامة والاعجاز من خلال العلاقة الخاصة لآل البيت عليهم السلام مع الله سبحانه.

لقد كانت كل تلك المفردات مثاراً للحديث في أوساط الأمة يتناقلها الركبان والسمار حتى غدت حديث الندوات.

ومن هنا حاول أوباش السلطة الأموية بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام وتصدي الامام زين العابدين عليه السلام الى الزعامة الدينية أن يسجلوا على الامام مواقف عنف ودخول في مخاصمات كلامية.. ولكنه عليه السلام كان يرد على أحاديث وممارسات هؤلاء بعقلانية ويحلم على سلوكهم بما لم يعط الاعداء ثغرة للنفوذ او ممسكاً للقيادة.

كما مارس عليه السلام نفس السلوك مع أقاربه عندما كانوا ينظرون الى موقعه في وسط الأمة والتفاف الناس حوله في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم واقبال من يسأل عنه من البلدان، فتأخذهم حالة الحسد فيتطاولون على الامام بحديث او ممارسة غير لائقة فكان يقابل ذلك بالحلم والإحسان.

وعمل بقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[١].

وآوى عيالات آل أمية في (واقعة الحرة) أو ثورة المدينة، وأخرى عند هرب الجيش الشامي بسبب سماعهم بوفاة يزيد بن معاوية.. وسيطرة عبد الله بن الزبير على المدينة المنورة حتى أن إشعاعه الخلقي غطى على خدمه والعاملين معه في ادارة أوضاعة الخاصة، وعندما كان يعتقهم فانهم كانوا يتحولون ويتحركون اتباعاً له ومدافعين عنه لشدة ارتباطهم الروحي معه وتعلقهم به.

وهذه السجايا الخلقية الروحية والتربوية فرضت على الكل ان يبدي احترامه وتعظيمه للامام عليه السلام من رجال السلطة الى الولاة والفقهاء والعلماء وعامة الناس من اصدقاء وأعداء على حد سواء.

وسوف نحاول فيما يلي أن نلبّي دراسة هذه التوجهات في حياة الامام زين العابدين عليه السلام.

**الشيخ محسن الحسيني**

(١) فصلت، ٣٤.

# الفصل الاول

# الصلاة على النبي ﷺ

١ - كيفية الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ

٢- الصلاة الكاملة

٣- الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ وبركة الحياة

٤ - مفردات الصلاة

# [١]

# كيفية الصلاة على محمد وآل محمد

ينقل المفسرون والرواة صيغاً متعددة في كيفية الصلاة على محمد وآل محمد تروى بعضها عن رسول الله ﷺ والبعض الآخر عن الأئمة الأطهار عليهم السلام.

لما نزلت ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١]. قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال:

قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد[٢].

ونقل عن عبد الله بن مسعود قال:

«اذا صليتم على النبي ﷺ فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لاتدرون لعل ذلك يُعرض عليه».

قالوا: فعلِّمنا. قال:

قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت

---

(١) الاحزاب، ٥٦.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٤، ص٣٦٩. وتفسير الفخر الرازي، ج٢٥، ص٢٢٦.

على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد[1].

وصلى أمير المؤمنين عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله في خطب نهج البلاغة أسمى صيغ الصلاة المعبرة عن تقديس أمير المؤمنين عليه السلام للرسول الاكرم صلى الله عليه وآله.

كما نجد صيغاً اخرى للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله في الصحيفة السجادية (زبور آل محمد) للامام زين العابدين عليه السلام، كما أن الأئمة الأطهار استعملوا مفردات أخرى قد تطول أو تقصر في الصلاة على محمد وآل محمد.

والذي سار عليه أتباع مذهب اهل البيت عليهم السلام من الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله هو «اللهم صلّ على محمد وآل محمد» وهو المتعارف عليه في وسط الأمة، والتي تعتبر من الصلوات المختصرة قياساً بالصلوات الأخرى.

وقد تكون هناك مفردات أخرى تستعمل في الدعوات والأختام وصلاة الميت فيها نوع من الاضافة.

حيث يكون البعض منها منصوص عليه.. وكلها تدور في دائرة المدح والثناء والاقرار بفضل رسول الله صلى الله عليه وآله والدعاء له برفع المنزلة.

وهناك تدبر في مفردات الصلاة على محمد وآل محمد «كما صليت».. وفي رواية «كأفضل ما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم..».

ان الصلاة «ليس للتشبيه من باب إلحاق الناقص بالكامل، بل لبيان حال من يعرف بمن لايعرف، وقيل هو في اصل الصلاة لا في قدرها..»[2].

---

(١) الدر المنثور، ج٥، ص٢١٩.

(٢) مجمع البحرين، ج١، ص٦٣١، للطريحي.

# [٢]

## الصلاة الكاملة

توقف العلماء كثيراً في اضافة كلمة وآله عند الصلاة على النبي محمد ﷺ وذهبوا الى أن الصلاة على محمد وآل محمد هي جملة واحدة فاذا ما تفككت أو نقصت أو بترت، فانها تخضع لما نهى عنه رسول الله ﷺ على أن أصحاب المذاهب الأخرى اختلفوا في ذلك.. رغم أن شعار الجميع هو عدم ذكر الآل بعد الصلاة عليه، وإن ذكرهم البعض فانهم يلحقون الصحابة بهم فيقولون: (اللهم صلّ على محمد وآله وصحبه).

ومن الطبيعي إنّ هذا البحث ليس جديداً، فقد تعرض له التابعون واستمر الى يومنا هذا.

والذي يتبادر للذهن أن المؤمن الفطري لايكلف نفسه عناءاً عندما يكون الحديث عن رسول الله ﷺ، إذ إنه لايجد مشكلة في ذكر الآل.

والذي يقرأ القرآن الكريم في عدة من آياته يتوقف ليتدبر هذه الآيات واذا لم يتدبرها ليفهم ماذا تدل، فانه عندما يقرأ التفسير العائد لها يجد فيها أسماء (الآل) كما أن آية القربى: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[١] لها دلالتها على الذين يوصي رسول الله ﷺ بمودتهم وأنهم لابد ان يكونوا في درجة عالية من الايمان ومن المقربين له.

والذي يقرأ آية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

(١) الشورى، ٤٢.

تَطْهِيرًا﴾[1] يتبادر الى ذهنه أو يقرأ التفسير ليجد أن هؤلاء الذين طهرهم سبحانه هم من دائرة واحدة مع رسول الله صلى الله عليه وآله حيث ضمهم كساء واحد بغض النظر عن الخلاف في ان أم سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت معهم أم لا.. فهم قد كانوا تحت الكساء وأنهم يتميزون بأن لهم منزلة خاصة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وعندما يمر القارئ للقرآن بآية:

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2].

فمن هم ابناؤه ونساؤه ونفسه الذين جاء بهم رسول الله صلى الله عليه وآله ليتباهل بهم عند الله؟! اليس هم آله الذين لهم مكانة مقدسة حتى قرنهم بنفسه ليتباهل بهم على المبطلين؟.

ونجد ان هذه الوقائع على تكررها تحمل نفس الأسماء وهم:

علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

***

فضلا عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله مع هؤلاء من المدح والثناء والتقريب في شتى المجالات وفي مختلف الوقائع التي لاتعد ولاتحصى في السلم والحرب وفي المهام الصعبة وفي النيابة عنه.

في زواج ابنته فاطمة الزهراء من الامام علي عليه السلام، وفي مداراته الى الامام الحسن والحسين عليهما السلام.

وفي اقواله التي يثني فيها على الامام علي عليه السلام عندما كان يكشف عنه الصعاب في بدر وأحد وخيبر والخندق و..

وفي تأدية المهام الصعبة كمبيته ليلة هجرته في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وتأدية الامانات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وحمل الفواطم من مكة الى المدينة والدفاع عنهن.

وتبليغه سورة براءة في المشعر الحرام، حيث كانت المهمة تحمل مخاطر القتل.

---

(١) الاحزاب، ٣٣.

(٢) آل عمران، ٦١.

وموقف الرسول الاكرم ﷺ من فاطمة الزهراء عليها السلام الذي ما انفك ينادي: «فاطمة بضعة مني»[١] «فاطمة أم ابيها»[٢] «فاطمة روحي التي بين جنبي»[٣].

وان سيرة رسول الله ﷺ تدور حول تثبيت هؤلاء وترسيخ اقدامهم. ومن الملاحَظ أن الذي سطرناه آنفاً ليس من نقل الشيعة وإنما هو من كتب السنة من تفاسير وسير وصحاح وتأريخ.. ولايخلو كتاب من هذه التوجهات ومع ذلك لاتجد الاثر العملي للذي يخطونه بأيديهم؟

وبعد ذلك فان ائمة اهل البيت عليهم السلام لانجد أحداً منهم الا وقد أجمع علماء عصره على تفرده في العلم والتقوى والزهد، بل ارجح اهل زمانه في كل مفردة خير.

وما من عالم عاصر أحد أئمة اهل البيت عليهم السلام إلا وقال عنه الصفات الآنفة.

وإن أئمة المذاهب الاخرى الحنفية والحنبلية والشافعية والمالكية قد تخرجوا من مدارس اهل البيت وتتلمذوا على ايدي الائمة او تلاميذهم.[٤]

ولذلك يفهم بان المنهجية التي حكمت بعد وفاة رسول الله ﷺ وكان من نتائجها إبعاد أهل البيت عليهم السلام عن مسرح الحياة والقيادة السياسية للأمة، وهي التي فرضت ثقافة الافتراق عن مدرسة الآل بصورة معمقة ومدروسة بما يبرر هذه المنهجية ويحدو لخطاها.

انها تلك المنهجية التي حكمت الأمة جيلاً بعد جيل وتربى الناس عليها بكل سوآتها، حتى سب الامام أمير المؤمنين عليه السلام على مائة وعشرين ألف منبر ولمدة تسعين سنة، وكان سبّه ذِكْر في الصلاة، مَنْ تركه سهواً أو عمداً بطلت صلاته. حتى قال قائلهم عندما دخل الكوفة وسأل عن امام الجماعة فقيل له الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب قال: أو يصلي علي؟

ان عندنا في الشام علي كافر لايصلي؟

(١) بحار الانوار، ج ٢١، ص ٢٧٩.
(٢) المصدر، ج ٤٣، ص ١٩.
(٣) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، ج ١٠، ص ١٨٤.
(٤) راجع: الامام الصادق والمذاهب الاربعة لأسد حيدر.

واتخاذ يوم استشهاد الامام الحسين عليه السلام عيداً رسمياً في الدولة الإسلامية.. والى يومنا هذا في المغرب العربي حيث يتباركون مع الآخرين في يوم العاشر من محرم.

وهكذا فقد فرضت هذه الثقافة التي عاشتها الأمة بان لايسمح ان تضاف كلمة (الآل) الى اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فمعاوية يحاور المغيرة بن شعبة في دفن اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو غير مستعد لذكر آل رسول الله؟ وقد حكم الشام اربعين عاماً.

اما عبد الله بن الزبير الذي حكم الحجاز وغيرها من الامصار الاسلامية وكان أجرأ من معاوية بن أبي سفيان حيث عمل ما لم يتجرأ عليه معاوية عندما أمر بالأذان من دون الشهادة الثانية: اي أشهد أن محمداً رسول الله التي حذفت من الاذان والإقامة!

فهل إن هؤلاء على استعداد لذكر (الآل)؟ يبدو من المؤكد أنهم لايملكون الشجاعة للقبول بهذا الحق.

وبالتالي فان الأجواء التي يخلقها الحاكم تؤثر على ثقافة الناس وتتطبع عليها الأمة، ومنهم العلماء حيث إن قسماً من العلماء تخلقهم السلطة كأمثال أبي هريرة وكعب الأحبار. ومنهم من يتأثر بالسلطة أو يجاملها.

ولكن الحقيقة تقول بوضوح ان البعض منهم وبمراجعة لمصنّفاتهم فانك تجدها مشحونة بفضائل أهل البيت عليهم السلام حتى صنف السيد مرتضى الفيروزآبادي كتابا سماه فضائل الخمسة من الصحاح الستة[1].

و بعضهم أيدوا ثورات أهل البيت وأمدوهم بالمال حتى ينقل أن موت محمد بن النعمان- ابو حنيفة- كان بسبب اعتقاده ان الامام الصادق هو الامام المفروض الطاعة.

حيث اختلفت أقوال المؤرخين في ذلك، فمنهم من ارجع الاسباب إلى عدم قبوله القضاء فقط، عندما أشخصه المنصور من الكوفة إلى بغداد وعرض عليه القضاء، ولكنه أبى فحبسه ومات في الحبس، والروايات في هذه الحادثة مختلفة، فبعضهم يرويها على هذا الوجه،

---

(١) الكتاب يقع في ٥ مجلدات ومنهجيته ان يسير مع أسماء اهل البيت وذكر فضائلهم واحدا واحدا.

وآخرون يروون أن المنصور هدده بالضرب، فقبل القضاء على كره[١] ثم مات بعد أيام وآخرون يروون أن المنصور انما استقدمه من الكوفة لأنه اتهم بالتشيع لابراهيم بن عبد الله بن الحسن، فانه اعلن الانضمام لجانب دعوة محمد وابراهيم، وافتى بوجوب الخروج مع ابراهيم.

يحدثنا ابوالفرج الاصفهاني عن عبد الله بن ادريس قال: «سمعت ابا حنيفة وهو قائم على درجته، ورجلان يستفتيانه في الخروج مع ابراهيم، وهو يقول: أخرجا. وانه كتب الى ابراهيم يشير عليه أن يقصد الكوفة ويدخلها سراً، فان من فيها من شيعتكم يبيتون أبا جعفر (المنصور) فيقتلونه، أو يأخذون برقبته، فيأتونك به، وكتب له كتابا آخر فظفر ابو جعفر بكتابه، فسيره وبعث اليه، فاشخصه وسقاه شربة فمات منها»[٢].

والتسليم لهذه الرواية غير ممكن لان قتل ابراهيم كان في سنة ١٤٥ ه ووفاة ابي حنيفة في سنة ١٥٠ هـ وليس في امكان المنصور التريث في أمر أبي حنيفة مدة خمس سنوات عندما تحقق منه ذلك، وكان لايقف عند حد في تركيز دعائم ملكه، ولايتورع في سفك الدماء، وإن له من القوة ما يخوله قتل أبي حنيفة بسرعة، فان بقاءه خطر على الدولة ولايمكن المنصور ان يغض عن ذلك، وقد فتك بأبي مسلم مع قوته وكثرة جنده، وفتك بزعماء أهل البيت، مع علمه بحراجة الموقف، كما فتك بكثير من الزعماء وذوي الوجاهة، اللهم إلا أن يكون عثور المنصور على رسالة ابي حنيفة لابراهيم بعد مدة من قتله.

وكان أبو حنيفة من جملة الفقهاء المنتصرين لمحمد وابراهيم كمالك بن انس والاعمش ومسعر بن كدام وعبادة بن العوام وعمران بن داود القطان وشعبة ابن الحجاج وغيرهم، وكان بعضهم حضر حربه[٣].

---

(١) مناقب المكي، ج٢، ص٢٧.

(٢) مقاتل الطالبيين، ص٢٤٧.

(٣) كان خروج محمد في المدينة سنة ١٤٤ هـ وبايعه أهل الحجاز، قال ابن المعاد: وأحبه الناس حبا عظيما لما كان فيه من الكمال وخصال الفضل ويشبه النبي في الخلق والخلق واسمه واسم أبيه. وبايعه المنصور والسفاح، وكانا من دعاته ايام بني أمية، وقتل في المدينة قتله المنصور الدوانيقي، وخرج أخوه ابراهيم في العراق بعد قتله، وكاد أن يظفر بالمنصور لكثرة جيشه ومحبة الناس له وتأييد الفقهاء لنهضته، ودعوه لدخول الكوفة ليلا فقال: أخاف ان يستباح الصغير والكبير. وان حادثة ابراهيم ومحمد لمن أهم الحوادث التاريخية التي لم تنل نصيبها من التحقيق والبحث.

وكانوا يعدون شهداء وقعته كشهداء بدر ويسمونها بدر الصغرى، وقد راينا المنصور يغض عن مؤاخذة اولئك الفقهاء لأنه بحاجة ماسة لبقائهم والمعاونة معهم، وبذلك يقصد ايجاد مجموعة منهم لتخفيف خطر انتشار ذكر جعفر بن محمد في الاقطار فقد كان هو الشجى المعترض في حلقه.

ومن الحق والانصاف أن نقول: إن موقف أبي حنيفة ليس كموقف مالك بن أنس، فان مالكا لما عوقب لأجل فتواه بالخروج مع محمد أخلص بعد ذلك للمنصور، وتغير موقفه حتى كان يظهر أن لا فضل لعلي عليه السلام على غيره من الصحابة، بل هو كسائر الناس اما ابو حنيفة فلم يتغير موقفه، وكان يفضل علياً عليه السلام اما على عثمان فقط أو على جميع الصحابة، كما لم تتغير وجهة نظره في الدولة وانها ظالمة لاتصح مؤازرتها.

والحاصل ان غضب المنصور على ابي حنيفة قد اختلفت الأقوال فيه ومهما تعددت الأسباب فيه فالمرجع كله يعود الى مخالفة أبي حنيفة لراي السلطة التي تريد تجريد العلماء من مواهب الادراك والتفكير، ومنعهم من حرية الرأي والصراحة بالحق وعلى كل فقد مضى أبوحنيفة ضحية فتك المنصور وسطوته.

ولكن من الناحية العملية لانجد اثراً لهذه الفضائل في الواقع الفقهي او العبادي وقد يكون هناك اثر عملي ولكن في نفس العالم وحده او دائرة ضيقة خوفاً من السلطان حيث ينقل المؤرخون مواقف في هذا الاتجاه من أبي حنيفة وأنس بن مالك(٤).

***

واذا كان هذا الواقع الذي عاشته الأمة وفرض نفسه على العلماء فان معالجة الأمر لا تكمن بالاستدلال على صحة اعتقاد الشيعة في ذكر الآل تبعاً لذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وانما في توعية الامة وتنبيهها بأنها غلبت على امرها، ولابد لها من تصحيح واقعها، واليوم حيث الحالة أخذت مجرى نفسياً فهي بحاجة الى العمل بالآية الكريمة..

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(٥).

---

(٤) انظر: اعيان الشيعة، و: مقاتل الطالبيين، عند ترجمة محمد بن عبدالله بن الحسن، و ابراهيم بن عبد الله بن الحسن.

(٥) فصلت، ٣٤.

وطبيعي ان هذا لايمنع من أن يؤدي العلماء دورهم في نبش الكتب واخراج الاستدلال على حق أهل البيت عليهم السلام من بطون الكتب وخاصة القديمة وفي طبعاتها الاولى على الاخص.

وذلك لأن البعض بدأ يمارس الدور الاسرائيلي في طبع القرآن الكريم ولكن محذوفاً منه الآيات التي تتعرض لليهود بالذم ونشر هذا القرآن في أفريقيا مجاناً.

أو الذي جرى في مصر -الآن- من عدم تسليط الضوء على الآيات القرانية التي تتحدث عن اليهود بالسلب.

أو الذي مارسه محمد حسين هيكل [١] في كتابه (حياة محمد) عندما تعرض الى واقعة ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[٢] حيث ذكر بيعة الامام علي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والفاظ رد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان فيها لفظ (خليفتي من بعدي) وفي الطبعة الثانية حذفت هذه العبارة؟

وعندما سُئل عن سبب هذا الحذف أشار الى مقايضة حدثت حول ذلك وما أنجسها، ولذلك اقول ان من حق علمائنا تثبيت هذا الحق من كتب علماء اهل السنة.

***

ولما كانت الصلاة على محمد وآل محمد وعلى المؤمنين هي من المسائل التي ليست محل اشكال عند الامامية، لذلك فان الصلاة على الصحابة المؤمنين هي حالة طبيعية، ولذلك جاء في الدعاء عن الامام زين العابدين عليه السلام، الصلاة على (أصحابه المنتجبين)[٣].

وحالة التخصيص التي مارسها الامام عليه السلام هي عبارة دقيقة.. حيث مما لا اشكال فيه انه ليس كل صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم ممن بقي على انتمائه الايماني بل وحتى في حياته صلى الله عليه وآله وسلم، وكان منهم معروفون في انحرافهم من امثال أبي سفيان والحكم

---

(١) هو غير الكاتب الصحفي.

(٢) الشعراء، ٢١٤.

(٣) في دعائه عليه السلام ليوم الثلاثاء، الصحيفة السجاية.

بن العاص ومعاوية وعمرو بن العاص[١].

وقد حاول البعض في عملية مرتبكة أن يكتفي بذكر بعض الأسماء من الآل كاسم الامام علي عليه السلام وذكر الصحابة أو ذكر آخرين من الآل كذكر الامام الصادق او الامام الحسين عليهم السلام كمفردات وليس كلمة (الآل).

و(الآل) هم وحدة واحدة وليست مفردات متناثرة حتى يمكن أن يختاروا ما يحلوا لهم ويستبعدوا من لايريدون.

وينقل المؤرخون حواراً لطيفاً جرى بين الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام ومجموعة من العلماء بحضور المأمون العباسي حول الآل في حديث تعليم النبي للمسلمين كيفية الصلاة عليه وآله، كما هي الصلاة على ابراهيم وآل ابراهيم حتى قال الامام الرضا عليه السلام:

فهل بينكم معاشر الناس في هذا خلاف؟

فقالوا: لا، فقال المأمون: هذا مما لاخلاف فيه أصلا وعليه اجماع الأمة، فهل عندك في الآل شيء اوضح من هذا في القرآن؟

فقال أبو الحسن: نعم اخبروني عن قول الله عزوجل: ﴿**يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[٢]. فمن عنى بقوله يس، قال العلماء: يس محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يشك فيه أحد.

قال أبو الحسن عليه السلام: فان الله عزّ وجل أعطى محمدا وآل محمد من ذلك فضلا لايبلغ احد كنه وصفه الا من عقله وذلك ان الله عزّ وجل لم يسلم على احد الا على الانبياء صلوات الله عليهم فقال تبارك وتعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ**﴾[٣] وقال: ﴿**سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾[٤] وقال: ﴿**سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ**﴾[٥] ولم يقل سلام على آل نوح ولم يقل سلام على آل ابراهيم ولا قال سلام على آل موسى وهارون وقال عزوجل:

(١) لمزيد الاطلاع راجع كتاب: شرح نهج البلاغة، لابن ابي الحديد، ج ٢، ص ٦١ فما بعد.
(٢) يس، ١-٤.
(٣) الصافات، ٧٩.
(٤) الصافات، ١٠٩.
(٥) الصافات، ١٢٠.

﴿سَلاَمٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾[١] يعني آل محمد صلوات الله عليهم.

فقال المأمون: لقد علمت ان في معدن النبوة شرح هذا وبيانه[٢].

والذي نقل عن رسول الله ﷺ في إلحاق الآل في الصلاة عليه روايات كثيرة ومتعددة الألفاظ والناقلون لها كثيرون ومن ذَيَّل إلحاق الآل بالصلاة عليه من المفسرين كثيرون والذين أخرجوا هذه الأحاديث في كتبهم عددهم كذا وهم كثرة وقد أشار البعض الى هذه الأرقام[٣].

ونحن نذكر بعض هذه الأحاديث:

١- سُئل رسول الله ﷺ عن كيفية الصلاة فقال: قولوا: «اللهم صل على محمد وآل محمد».

فقال رجل من الصحابة وعلى آل محمد، فقال ﷺ: «من فصل بيني وبين آلي بـ(على) لم ينل شفاعتي»[٤].

٢- قال رسول الله ﷺ: «لا تصلّوا علي الصلاة البتراء». فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون: «اللهم صل على محمد وتمسكون، بل قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد»[٥].

٣- قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة ولم يصل فيها عليّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه»[٦].

٤- قال رسول الله ﷺ: «من صلّى علي ولم يصلَّ على آلي لم يجد ريح الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسأة عام»[٧].

---

(١) الصافات، ١٣٠.
(٢) عيون اخبار الرضا، ج ٢، ص ٢١٤.
(٣) راجع تفسير البصائر، ج٣٢، وتفسير الفرقان ج٢٢.
(٤) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، ج ٩، ص ٦٤٣.
(٥) الغدير، الشيخ الأميني، ج ٢، ص ٣٠٣.
(٦) بحار الانوار، ج ٨٢، ص ٢٧٩.
(٧) وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٢٠٤ (طبعة آل البيت).

٥- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اذا صلى علي ولم يتبع بالصلاة على أهل بيتي كان بينها وبين السماء سبعون حجاباً، يقول الله عزوجل: لا لبيك ولا سعديك يا ملائكتي لاتصعدوا دعاءَه الا ان يلحق بالنبي عترته فلا يزال محجوباً حتى يلحق بي أهل بيتي»[١].

وقال الفخر الرازي في تفسيره لآية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ان الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وقوله:

«اللهم صل على محمد وآل محمد وارحم محمدا وآل محمد» وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب[٢].

و نقل بعضهم عن الفخر الرازي قوله:

وأهل بيته ساووه في خمسة اشياء:

١- في الصلاة عليه وعليهم في التشهد.

٢- وفي السلام

٣- والطهارة

٤- وفي تحريم الصدقة

٥- وفي المحبة[٣]

وقال ابن حجر العسقلاني: «ان النبي قرن الصلاة على آله بالصلاة عليه لما سئل عن كيفية الصلاة والسلام عليه».

وهذا دليل ظاهر على ان الامر بالصلاة على أهل بيته وبقية آله مراد من هذه الآية، وإلا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها، ولم يجابوا بما ذكر فلما اجيبوا به دل على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به ومنه تعظيمهم.

ومن ثم لما دخل من دخل من معه تحت الكساء قال صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم انهم مني وأنا

(١) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص ١٥٧.
(٢) تفسير الرازي، الفخر الرازي، ج ٢٧، ص ١٦٦.
(٣) الغدير، الشيخ الأميني، ج٢، ص٣٠٣.

منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك علي وعليهم»[١].

قال صاحب تفسير المنار: «والافضل الجمع بين الصلاة والسلام عليه وعلى آله، واكثر المسلمين يخص بالسلام الانبياء والملائكة، وكذا جماعة آل بيته عليهم السلام.

والشيعة يلتزمون السلام على السيدة فاطمة وبعلها وولديها والأئمة المشهورين من ذرية السبطين ويوافقهم كثير من أهل السنة وغيرهم في الزهراء والسبطين ووالدهما سلام الله ورضوانه عليهم اذا ذكروا جماعة أو افراداً.

واما الصلاة والسلام على الآل بالتبع للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهو مجمع عليه ومنه التشهد»[٢].

(١) الصواعق المحرقة، لابن حجر، ص٨٧.

(٢) تفسير المنار لرشيد رضا عند تعرضه لتفسير آية الصلاة على النبي.

## [٣]

# الصلاة على محمد وآل محمد وبركة الحياة

ليس في الإسلام ظل لله في الارض لمن يشتهي ان يكون كذلك مع انه سلوك مفعم بالظلم والانحراف.

والذي في الإسلام هو خلافة الله في الارض وولي الله على الناس ممن يكون مشبعاً بالهدى والخير ودالا على مرضاة الله.

وهذه النعوت والمواصفات هي التي تجلى بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورسم واقعيتها القرآن الكريم، حيث تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿**سراجاً منيراً**﴾[1]، ﴿**بشيراً و نذيراً**﴾[2]، ﴿**رحمة للعالمين**﴾[3].

والذي يحمل هذه المواصفات ويؤدي هذه المهام فمن المؤكد له موقعية خاصة ومتميزة في حياة المؤمنين.

فالذي يريد أن يرى الطريق ينبغي له الاقتراب من السراج المنير.

والذي يبحث عن الهدى لايدله عليه غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي يحس انه محتاج الى رحمة ربه فانه لايحس بدفئها إلا ان يقترب من دائرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحصنه.

والذين يصلي عليهم سبحانه وتعالى ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم يصلون على رسول

---

(١) الأحزاب، ٤٦.

(٢) البقرة، ١١٩ و آيات أخرى.

(٣) الأنبياء، ١٠٧.

الله وكأنهم يعيشون في دائرة حب وتواصل يتجاذب أحدهما مع الآخر في تناغم بديع.

إن هذه الشريحة المؤمنة التي لاينفك سبحانه وتعالى أن يربطها بشكل مستمر مع رسول الله ﷺ في أداء الواجب وتحمل المسؤولية وكانها من سنخٍ واحد: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾(١).

وهؤلاء يعرفون موقعية صاحب الرسالة ودوره في نجاتهم من النار وهدايتهم، لأنه هو الذي كان الوسيلة في انقاذهم من الجاهلية والظلمات وشريعة الغاب وكل الوان الانحراف والتفسخ، وبذل في سبيل ذلك كل غال ورخيص حتى قال: «ما اوذي نبي مثل ما أوذيت»(٢).

انه هو الذي يصلي عليهم، ورحمة لهم، وسراج منير، وبشير ونذير.

ان الله سبحانه منح رسول الله ﷺ صلاحية مواصلة الدور بعد وفاته عبر الألطاف الالهية الخفية بان يكون باباً لنزول البركة والخير وتسهيل الامور وقضاء حوائج المؤمنين.

فكما كان في حياته يتحمل أعباء تبليغ الرسالة فانه بعد وفاته قد مُنِح من الله سبحانه مواصلة دوره في ان يكون واسطة في استجابة الدعاء وتسهيل الامور وقضاء حوائج الناس وانزال البركة على المؤمنين.

والذين يشعرون بعظمة دور رسول الله في انقاذ الناس من الجاهلية الى الإسلام يستمر ايمانهم في انه ﷺ لم ينقطع عن دوره -بعد وفاته- وان اختلف في شكله، ففي الدنيا كان سبيلا لهدايتهم، وبعد وفاته كان سببا لتسهيل امورهم وفي الآخرة شفيعاً لهم. إنها علاقة روحية سماوية أن لاينفك بعضهم عن الآخر حتى يلتقوا عند مليك مقتدر.

فالمؤمنون والملائكة الذين لاينفكون عن الدعاء الى الله سبحانه ان يرفع منزلة رسول الله ﷺ ويبعثه مقاما محمودا، فانه سبحانه وتعالى لم يضعه في هذا الموقع المتقدم إلا وهو بوابة استجابة الدعاء والذي اذا قرن باسمه إخترق السموات ووصل الى حيث محل الاجابة.

***

---

(١) الفتح، ٢٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٤٢.

ومن هنا فان الله سبحانه وفّى لعبده ورسوله وجازاه خير جزاء لما بذل في الدنيا من جهد وتحمل للأعباء أن قرن اسمه باستجابة الدعاء.

نعم هل جزاء الاحسان الا الاحسان، حيث جعل سبحانه تلك المعادلة المتفاعلة، فكلما ذُكِر اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت استجابة الدعاء.

فهل من محسن غيره سبحانه، وهل من حبيب الى الله غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعندما نستعرض الاحاديث يبرز الاحسان الالهي لنبيه.. والمواقع التي تفضل بها عليه وكيف قارن اجابة الدعاء باسمه.

***

وعند ما ألقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجساد صناديد قريش الذين قُتلوا يوم بدر في القليب -بئر لاماء فيها- سمع أهل القليب كلام رسول الله[1].

وهذه الواقعة أجمع المؤرخون على نقلها.. ولكن البعض من المسلمين يصر على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته جسد لايضر ولاينفع لذلك تراهم لايسمحون لأحد من المسلمين ان يسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم براحته وهذا التصرف منبعث من عقيدتهم بأن رسول الله قد انتهى مفعوله بعد وفاته حتى قال قائلهم: ان عصاي هذه انفع من محمد لأني اتكأ عليها ومحمد لا نفع فيه، لأنه جسد ميت!!

ولكن احاديث رسول الله وأهل بيته عليهم السلام تتحدث عكس ذلك حيث اعتقادهم انهم يسمعون السلام ويردون الجواب ولكن نحن لانسمعهم.

وعليه من يحب ان يسجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسمه فيمن سلم عليه وذكره فليصلِّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، اين ما كان وفي أي حالة كان.

فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام قوله:

«ان ملكاً من الملائكة سأل الله أن يعطيه سمع العباد فاعطاه الله، فذلك الملك قائم حتى تقوم الساعة ليس أحد من المؤمنين يقول (صلى الله على محمد وآله وسلم) إلا قال

---

(١) بحار الانوار، ج ٦، ص ٢٥٥.

الملك: وعليك السلام ثم يقول الملك: يا رسول الله ان فلاناً يقرؤك السلام فيقول رسول الله: وعليك السلام»[١].

وعن عمار بن ياسر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ان الله أعطى ملكاً من الملائكة أسماء الخلائق كلهم وأسماء آبائهم، فهو قائم على قبري اذا مت الى يوم القيامة فليس أحد يصلي عليّ صلاة إلا قال: يا محمد صلى عليك فلان بن فلان بكذا او كذا، وان ربي كفل لي ان يصلي على ذلك العبد بكل واحدة عشراً»[٢].

وكل واحد منا يتطلع ان يسهل عليه الحساب يوم القيامة ويوصله الى مرفأ الأمان والمقر الدائم في الجنة ويتجاوز العقبات الكأداء وأصعبها الصراط الذي هو أحد من السيف وأرق من الشعرة وعليه عقبات.

فمن أراد أن يتجاوز عقبة الصراط فليصلِّ على محمد وآل محمد فانها نور تفتح له طريق الصراط.

قال رسول الله ﷺ: «الصلاة عليّ نور الصراط، ومن كان له على الصراط من النور لم يكن من أهل النار»[٣].

كما ان الجميع يتطلع ان يكون لقاؤه بهم بعد الموت.

وهذه حالة نفسية يعيشها الكل.

واذا أردت ان يتحقق تطلعك هذا، عليك بالصلاة على محمد وآل محمد عند اللقاء بهم والوقوف في صفهم، وإلا فان ذلك يصعب تحققه:

«ما اجتمع في مجلس قوم لم يذكروه- اي رسول الله- ولم يذكرونا إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة.. ان ذكرنا من الله وذكر عدونا من ذكر الشيطان»[٤].

***

(١) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٦٧٨.
(٢) تفسير البصائر، ج٣٢، ص٦٢٠.
(٣) المصدر السابق.
(٤) تفسير البصائر، ج٣٢، ص٦٢٠.

انه يوم عسير مهيب يتمنى الانسان أن يكون له من الإمكانيات ما يعود عليه بالراحة، انه القبر حيث الظلمة والعتمة والوحدة.

والصراط كما اوضحنا، وفي الجنة ردود الأعمال والذي تدركه الراحة والروح بشكل أكثر فانها جزاء اعماله الجليلة التي قدمها في الدنيا بشكل مرضي ومنها الصلاة على محمد وآل محمد والتي تشكل أحد أهم الذخائر في القبر وعلى الصراط وفي الجنة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اكثروا الصلاة علي فان الصلاة علي نور في القبر ونور على الصراط ونور في الجنة»[١].

***

فمن منا ليست له حاجة؟ ومن منا لايتطلع أن يستجيب الله سبحانه له ويقضي حوائجه؟ لافرق ان كانت حوائج دنيوية أو تطلع الى الاخرة.

إن الصلاة على النبي هو ضمان وصول الدعاء إلى حيث تُقضى الحوائج قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

«من كانت له الى الله عزّ وجل حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآل محمد ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد فان الله عزّ وجل اكرم من ان يقبل الطرفين ويدع الوسط اذا كانت الصلاة على محمد وآل محمد لاتحجب عنه»[٢].

والذي يتغافل عن ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولايصلي عليه، فان ذلك العمل والدعاء لايملك مقومات الارتقاء الى محل الاجابة.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ان الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد وأهل بيته».

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الدعاء والصلاة معلق بين السماء والأرض لايصعد الى الله منه شيء حتى يصلى عليه وعلى آله»[٣].

***

(١) نفس المصدر.
(٢) وسائل الشيعة، ج ٧، باب الصلاة على محمد وآل محمد، ص ٩٥.
(٣) تفسير البصائر ،ج٣٢، ص٦٣٩.

من منا لا يريد أن يكون قريبا من رسول الله ﷺ وان يلتفت اليه الرسول ويحادثه وتكون بينه وبين الرسول علاقة أقوى وأفضل من الاخرين.

واذا كنت تريد ذلك فتعال نصلي عليه رغم خضم الدنيا ونذكره حتى يذكرنا في الاخرة.

وهذا منطق طبيعي فطري أن اذكرني اذكرك، فلنذكر رسول الله ﷺ حتى يذكرنا في يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت..

عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله ﷺ قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة في دار الدنيا»(١).

***

والصلاة على محمد وآل محمد تحمل ايجابيتين تدخل احداهما في العبادة بشكل نوعي بينما تمنح الاخرى عطاء كميا.

والايجابية النوعية التي تحملها الصلاة من حسنات ان كثافتها كبيرة تعادل اضعاف كثافة الأعمال الأخرى ولذلك فانها ان وضعت في ميزان الأعمال فانها ترجح.

عن محمد بن مسلم، عن أحدهما (عليه السلام): «ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد، وان الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به فيُخرج ﷺ الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح»(٢).

والايجابية الكمية فان الله سبحانه اكراما وتعظيما لنبيه يمنح من يصلي ويسلم على رسول الله ﷺ أضعافاً كثير حسب الزمان والمكان.

ذلك «إن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشرى تطفح على وجهه فقال: إنه جاءني جبرائيل عليه السلام فقال:

اما ترضى يا محمد ان لا يصلي عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه

(١) بحار الانوار، ج ٩١، ص ٦٣.
(٢) الكافي، ج ٢، ص ٤٩٤، باب الصلاة على محمد وآل محمد.

عشرا، ولايسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا»[١].

عن النبي صلى الله عليه وآله: «من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب»[٢].

والصلاة على محمد وآل محمد لها أثر كبير في نسف الذنوب وهدم الخطايا، وكنس اثام الانسان وتطهير ما علق على فطرته من غبار الخطايا وادران المنكرات وعندما يتوفق الانسان لأن يكون من المصلين على محمد وآل محمد وتمحى ذنوبه ويكفر عن سيئاته فانه بلاشك سيكون من المبعدين عن حر جنهم.

ولعل تعليل هذا العطاء من بركات الصلاة على محمد وآل محمد يكمن في أن الذي يحببه الله لأن يعمل هذا العمل الصالح لابد انه راغب في التوبة ومحب لأن يعطف حياته نحو الايمان ونادم على ارتكاب الخطايا ويملك الاستعداد للتصحيح.

فقد ورد عن الامام الرضا عليه السلام قوله: «من لم يقدر على ما يكفِّر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله، فانها تهدم الذنوب هدما»[٣].

عن الامام الصادق عليه السلام: «الا اعلمك شيئاً يقي الله به وجهك من حر جهنم؟.. قُل بعد الفجر: اللهم صل على محمد وآل محمد مائة مرة، يقي الله به وجهك من حر جهنم»[٤].

كما ان للصلاة والسلام على محمد وآل محمد فوائد نفسية وأخرى جسمية، وفوائدها النفسية أنها تثبت الانسان على مسيرة واحدة متواصلة الحلقات بعضها اثر البعض الآخر من الله ورسوله وأئمة الهدى ضمن هيكلية متكاملة تسير في خط واحد بما يشبع تطلع المؤمن ويروي روحه من الايمان، فلا تجعله يعيش وجهين ويلتقط من هنا وهناك ويتعلم النفاق وصاحب النفسية السليمة يملك حالة صحية متعافية حيث العطاء الروحي يفرض نفسه على جسمه.

(١) تفسير البصائر، ج٣٢، ص٦٢٢.
(٢) بحار الانوار، ج ٩١، ص ٧١.
(٣) عيون اخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٦٥.
(٤) ثواب الاعمال، للشيخ الصدوق، ص ١٥٥.

قال رسول الله ﷺ: «الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق»[١].

وعنه ﷺ: «من صلى علي مرة فتح الله عليه باباً من العافية»[٢].

وهذه من بركات الصلاة على محمد وآل محمد وصدق الله سبحانه عندما وصف نبيه بأنه رحمة للعالمين.

حيث الصلاة عليه لاتمر من دون فوائد دنيوية وأخروية وعطاء.

ويأتي بعده السلام على الائمة الأطهار عليهم السلام حيث انهم عندما يُذكرون أو تُكتب أسماؤهم أكثر ما يُستعمل كلمة (عليهم السلام).

وأما العلماء والفقهاء ومن هم في منزلتهم فالشائع استعمال كلمة (رضوان الله عليهم) أو (قدست نفسهم الزكية) وباقي الناس يُذكرون بعبارة (رحمة الله عليه).

وهذا التقسيم العرفي في ذكر رموز الايمان ليس هناك من اجتمع وحفظ ذلك ولكن سبحانه هو الذي أعطى كلاً حقه ووضعه الطبيعي واعطى الامتياز الأول لصاحب الرسالة دون غيره وهذا من فضل الله ورحمته على رسوله ﷺ وعليه فتكون الصلاة من الاختصاص لذكر رسول الله ﷺ.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١٩٣.

(٢) بحار الانوار، ج ٩١، ص ٦٣.

[٤]

## مفردات الصلاة

كما بينا فان الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل الله سبحانه جاءَت بلفظ (الصلاة) و(السلام).

كما ان الصلاة على المؤمنين من قبل الله سبحانه ومن قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك جاء بلفظ الصلاة.

وعليه فليس من ضير ان يتحدث الناس بما تحدث به سبحانه ونبيه من لفظ الصلاة كما ليس هناك من اشكال شرعي تداول هذه الألفاظ من بعضهم على البعض الآخر.

نعم ان الله سبحانه ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم قد استعملوا هذه اللفظة على بعض المؤمنين خاصة وهو ظاهر من لفظ الآيات القرآنية، والذي يظهر ان كل المؤمنين لايرتقون الى هذه المنزلة الرفيعة ويعيشون التزاماتها وعطاءَها الروحي، و عليه فمن الصعب ان نجد المصداق، ومن هنا يأتي الإشكال في تداول الصلاة من الناس على بعضهم وهي نفس الألفاظ التي يتداولها الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولما كان الله سبحانه امرنا ان لا نخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يخاطب بعضنا بعضا حيث قال سبحانه: ﴿**لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**﴾(١).

لذلك لابد من حالة من الامتياز تكون في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسبحانه هو الذي يرفع منزلة رسوله ويسدد خطى رفع شأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) النور، ٦٣.

والشيعة لايرون من ضير عرفي أو اشكال شرعي في الصلاة على المؤمنين كما أسلفنا ولكن العرف الاجتماعي المعمول به في وسط الأمة بكل شرائحها من عامة الناس والعلماء ان الصلاة هي الشعار المختص برسول الله ﷺ فقط وهذا تصديق قول الله سبحانه: ﴿**لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**﴾[1].

(١) النور، ٦٣.

## الفصل الثاني

# الحركة الثقافية والاجتماعية والسياسية في عهد الامام السجاد عليه السلام

تمهيد

١ - الوضع الموروث

٢- الانحراف الفكري

٣- اتساع الانحراف الفكري

٤- تفضيل قريش

٥- النبوة والامامة

٦- الظلم السياسي

٧- الظلم الإجتماعي

# تمهيد

عندما نريد أن ندرس الحركة الثقافية والاجتماعية والعبادية للامام زين العابدين عليه السلام لابد لنا من معرفة الواقع الذي كان يعيشه الناس ونأخذ عينات منه لتكون مؤشرا على وضع الأمة.

ان الحالة التي وصل اليها وضع الأمة كانت لتراكم مجموعة من العوامل الموروثة أو التي أضفى الحكام عليها من سلوكهم وتركيبتهم المنحرفة، وكذلك العوامل السياسية التي فرضت نفسها على الأمة في ذلك الوقت ضمن تعاريج تشكلت كالآتي:

## [١]

# الوضع الموروث

تصدى الامام زين العابدين للامامة والأمة تعيش وضعا فكريا وثقافيا موروثا إبتنى من يوم بدأ الانحراف بشكل علني عرفته الأمة حين تمكن بنو أمية من السيطرة على مقاليد الأمور ابان حكم الخليفة الثالث.

وكانت التشكيلة الحاكمة من بني أمية من أمثال مروان بن الحكم والوليد بن عقبة ابن أبي معيط.. تخطط وتنفذ من دون أي حسابات للأمة أو الحالة الدينية ومراعاة للمقدسات والأعراف.

والذي فعله الوليد بن عقبة في الكوفة نموذج لما وصل اليه الأمر أن يتقيأ الخمر في محراب المسجد[١]. أو الذي فعله مروان بن الحكم من استلام خمس خراج افريقيا أو الهبات المليونية التي كانوا يأخذونها من بيت المال بحجة القرابة من الخليفة عثمان بن عفان[٢]. وأسوأ من كل ذلك ما قام به كعب الأحبار من التصدي للافتاء واصدار الأحكام الشرعية واختلاق الأحاديث والروايات ونسبتها الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسب ما تطلب التشكيلة الأموية المروانية منه[٣].

وتصاعد الانحراف حتى وصل الأمر الى مصادرة الرأي والتوجيه الذي كان يؤديه بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

بل تصاعد الامر أكثر من ذلك حيث اعتدي على هؤلاء الصحابة وضربوا ضرباً

---

(١) حياة الامام الحسن بن علي، باقر شريف القرشي، ص٢٥٦.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٢٤٠.

(٣) انظر: ابوهريرة شيخ المغيرة، الشيخ محمودابو زهرة.

مبرحاً من أمثال عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وأبعد أبوذر الغفاري من المدينة المنورة الى الربذة.[١]

وكان معاوية يراقب هذه الأحداث بدقة ويدفع بها الى الامام لأنه جزء من التركيبة الحاكمة حيث هو والي الشام ولما رجعت الخلافة الى الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لم يُمهَل لتصحيح الأوضاع وارجاع الأمور الى مجاريها الطبيعية.

واستلم معاوية كرسي الحكم وإدارة أمور الأمة فعمل بمنهجية دقيقة على إبعاد الامة عن منابعها الثقافية الصافية، فبدل كعب الأحبار برز أبو هريرة حيث أصبح مفتي السلطة الذي يدبج الأحاديث المفتعلة على رسول الله حسب ما تقتضيه مصلحة الحكم ففاق بعمله هذا كعب الأحبار.

واذا كان عثمان بن عفان قد سمح بالاعتداء على الرأي الناصح بالضرب، فان معاوية بن أبي سفيان امر بقتلهم وقطع رؤوسهم كما فعل بعمرو بن الحمق الخزاعي وحجر بن عدي[٢].

ومحنة أبي ذر الغفاري وعبد الله بن مسعود عندما منع الخليفة الثالث عنهما العطاء الذي كان يتمتع به عامة الناس، في الوقت الذي تتنعم فيه الحاشية والمقربون من البيت الأموي بالملايين من اموال الامة، حتى وصل الأمر بأبي ذر أن يقتات من حشيش الارض[٣].

وقال عبد الله بن مسعود للخليفة عندما اراد ان يعيد عليه عطاءه بانك منعتني اياه وانا محتاج اليه اما الآن فلا حاجة لي به[٤].

وقد كان تجويع الناس وقطع العطاء عنهم سياسة السلطة من أجل مصادرة ارادتهم وسلب حريتهم واضطرارهم الى مسايرة الحاكم بكل ما يقول ويعمل من دون تحفظ. وسار معاوية بن أبي سفيان على نفس المسيرة بل جعل هذه المسيرة منهجية منظمة حتى شملت بني هاشم ورموزهم فضلا عن أتباع الامام أمير المؤمنين عليه السلام[٥].

---

(١) انظر: علي امام المتقين، عبد الرحمن الشرقاوي.
(٢) تاريخ الطبري، ج٤، في أحوال يزيد بن معاوية.
(٣) حياة الامام الحسن بن علي، ص٢٧١.
(٤) حياة الامام الحسن بن علي، ص٢٧٤.
(٥) نفس المصدر ، ص٢٧٧.

حتى صرنا أمام وقائع متعددة هي كالآتي:

١- تعميق خط الانحراف الفكري وتثقيف الناس ثقافات خاطئة.

٢- مطاردة أصحاب الرأي الناصح.

٣- التضييق الاقتصادي على غير المؤيدين.

وتبلورت فيما بعد حالة الانحلال الخلقي التي عمت الشارع الحجازي فضلا عن بيوتات رموز السلطة ومن لف لفهم.

إن هذا الواقع اختمر في داخل الأمة بشكل واضح وأصبح من الخطوط العامة لسياسة الدولة، وكان من البديهي أن يتحرك كل وال وأمير وقاض ومدير شرطة حسب ما يراه مناسبا من أساليب وطرق تقتضي مواجهة الآخرين أو لإيجاد وضع يخدم الحكم.

ولذلك نجد إن الوضع الذي عاشه الامام زين العابدين كانت مؤشراته واضحة السلبية والانحراف، وأبرز مؤشرات السلبية والانحراف هو الحكام والولاة الذين عاصرهم الامام زين العابدين عليه السلام وأبرزهم:

١- عبد الملك بن مروان.

٢- الوليد بن عبد الملك.

وأبرز الولاة هم:

١- الحجاج بن يوسف الثقفي.

٢- خالد بن عبد الله القسري.

٣- عثمان بن حيان المري.

٤- هشام بن اسماعيل المخزومي.

وهذه الحفنة لم يكن لها نظير عبر تاريخ الأمة في الانحراف والظلم والارهاب وكل من يرتبط بهم سار على آثارهم في هذا السلوك المنحرف.

وقد عُبِّر عن الحكم الأموي انه عودة للانحراف والظلم[1].

---

(١) تاريخ الطبري، ج٥، ص٣٦.

# [٢]

# الانحراف الفكري

تجذرت سيرة الظلم التي بذرت في عهد عثمان بن عفان وسقاها معاوية بن أبي سفيان في نفوس أبنائهم وعمالهم وأصبحت من ممارساتهم اليومية من دون أن يكون لها سقف أو خط أحمر يقفون عنده، أو مقدس يحترمونه أو يخافون الله فيه.

وعندما نتحرى الوقائع وننبش التاريخ تظهر لنا أرقام هذا الانحراف ووقائعه فالحكام وأمرائهم كانوا يتحدثون أمام الملأ بشكل استفزازي يتجاوزون فيه الخط الاحمر المقدس الذي فرضته الشريعة المقدسة؟

فماذا ينتظر بعد ذلك من الولاة أو من يعمل تحت أيديهم، ونختار نماذج سريعة من هذه العبارات التي انطلقت من أفواههم وهي ترسم الخط العام لمسيرتهم.

١- عندما جيء برأس الامام الحسين عليه السلام ورؤوس أخوته وأهل بيته وأصحابه، وبدت من بعيد رأها يزيد بن معاوية، وكان في موقع مرتفع في دمشق يقال له (جيرون) فانشد يقول:

لما بدت تلك الرؤوس وأشرقت تلك الشموس على ربى جيرون

صاح الغراب فقلت صح أو لا تصح، فلقد قضيت من النبي ديوني[١]

٢- عندما رفض أهل المدينة المنورة البيعة ليزيد بن معاوية أرسل جيشا بقيادة مسلم (مسرف) بن عقبة الى المدينة المنورة وأعطاه أمرا إن نزلوا عند طاعته فيتركهم وإن

(١) بحار الانوار، ج ٤٥، ص ١٩٩.

رفضوا يقاتلهم ويبيح المدينة المنورة ثلاثة أيام[١].

واباحة المدينة تعني التصرف بها بما يراه كل جندي مناسبا وحسب وعيه وتوجهه، لذلك برزت ثلاثة معالم لهذه الاباحة هي:

١- نهب أموال الناس من بيوتهم.

٢- الاعتداء على أعراض الناس.

٣- إقتحام مسجد رسول الله بالخيل والاعتداء على المحصنات اللائذات بقبر رسول الله في المسجد وقتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وخطر في ذهن مسرف بن عقبة ان يسمي مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله بأنها نتنة، بعد أن سماها رسول الله صلى الله عليه وآله (طيبة) وكان يقال له بذلك فيقول أنا أسميها (نتنة)[٢].

٤- تحرك جيش الشام الذي أباح المدينة ثلاثة أيام نحو مكة المكرمة لاخماد حركة عبد الله بن الزبير واقتحم الجيش الشامي مكة وضرب أهلها.

وعندما يتأمل الناظر لهذا السلوك تصيبه الدهشة، حيث المقدسات الاسلامية مكة بيت الله الحرام، والمدينة المنورة مسجد رسول الله وقبره وما ينسب اليه، يُعتدى عليها وتُهان باسم خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله.

فماذا كانت ثقافة هذا الجيش وهي ليست غير الثقافة التي ورثها يزيد من جده أبي سفيان، فعندما وصل أمر الخلافة الى عثمان بن عفان، جمع أبو سفيان بني امية وتحدث معهم بنفس هذه المفردات التي لاتعترف أن هناك رب وجنة ونار ورسالة، فقال:

يا بني أمية، تلقفوها تلقف الكرة، فو الذي يحلف به أبوسفيان ما من عذاب ولا حساب، ولا جنة ولا نار، ولا بعث، ولا قيامة[٣].

الذي يقف عند مفردات الشعر الذي قرأه يزيد بن معاوية يقف على حقيقة الفكر الذي يحمله حيث ينطق بشكل لا لبس فيه انه لايعتقد بشيء مقدس وبشكل واضح

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٦٦.
(٢) انظر: النصائح الكافية، محمد بن عقيل، ص ٦٢.
(٣) شرح نهج البلاغة، إبن أبي الحديد، ج ٩، ص ٥٣.

وصريح، اليست هذه الكلمات واضحة:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل[١]

إنهم ينكرون المقدسات التي يعظمها الناس وينتسبون اليها تحت أسماء: الله، الكعبة، رسول الله، أهل بيت رسول الله، مسجد رسول الله، اصحاب رسول الله، مدينة رسول الله.

وفي ظنهم انها وسائل وأدوات اصطنعها (بنو هاشم) في حركتهم السياسية للفوز بالسلطة والاستئثار بالملك دون غيرهم؟ (لعبت هاشم بالملك).

فكانت عقلية الحاكم (الخليفة) لاتعترف بهذه المقدسات من (الله) ونازلا فماذا تكون ثقافة ولاته وجيشه؟

نعم لا تكون إلا الذي كانت!

ولا تمارس إلا الذي مارست!

***

وان عبد الله بن الزبير نفسه أمر بهدم الكعبة ولكن الناس هابت أن تقوم بهذا العمل، فتجرّأ عبد الله بن الزبير نفسه حيث علا على البيت وبدأ في هدمها فتبعه الناس.

بل الأدهى من ذلك انه سواها مع الارض ولم تبق معالم لها.

وهذا يعني إن الناس في داخل المسجد الحرام صعب عليهم تشخيص مكان توجههم للصلاة.

وهذا الوضع أثار غضب عبد الله بن العباس فخرج من مكة احتجاجا على هذا السلوك من عبد الله بن الزبير وطلب منه أن يضرب في موقع البيت اخشابا في مكان الكعبة حتى لاتبقى الناس من دون كعبة.[٢]

وفي مقطع من تاريخ الأمة الذي عاصره الامام زين العابدين عليه السلام، وقع

(١) الاحتجاج، الطبرسي، ج ٢، ص ٣٤.
(٢) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٨١ فما بعد.

الانحراف الثقافي الذي مارسه عبد الله بن الزبير في محاولته طمس ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك بعدم ذكر اسمه في الأذان والصلاة لمدة تقرب العام حتى ضج الناس عليه فأعادها وعندما سُئل عن ذلك قال: ﴿إن له أُهِل سوء...﴾[1].

ووقتئذ لا يعرف هل ان هذا الأذان الذي حُذف منه اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الأذان الإسلامي الذي شرعه الله تعالى أم هو الأذان الذي إجتهده عبد الله بن الزبير؟

ولون آخر من عدم الاحترام للمقدسات مارسه عبد الله بن الزبير هو اعتصامه في المسجد الحرام واصراره على البقاء فيه وبسبب ذلك تعرض بيت الله الحرام إلى ألوان الاهانة من الهدم والإحراق!

ولولا اعتصام عبد الله بن الزبير فيه وجعله خندقا ينطلق منه للقتال لما أصابه هذا الاعتداء.

ونجد حاكما آخر هو عبد الملك بن مروان يدخل مكة المكرمة ويلتقي بأهلها وبالعلماء والصلحاء والرموز الاجتماعية وكل واحد منهم حفرت الذكريات الأليمة فيه جروحا عميقة كان بعضها ما زال ينزف من جراء حصار مكة المكرمة ورميها بالمنجنيق واحراق الكعبة وهدمها.

حتى وصل الأمر إلى أن البعض منهم لم يتمكن من الوقوف بعرفات والمبيت في منى واكتفوا بالطواف حول البيت[2].

هذا فضلا عن مئات الأرامل والأيتام الذين تركهم خلفه الحجاج الثقفي من دون وسيلة لمواصلة حياتهم اليومية بعز وكرامة.

افهل لم تكن هناك وسيلة للقضاء على عبد الله بن الزبير دون الاعتداء على الحرم الذي جعله الله للناس أمنا.. ويلتجئ اليه الخائف والمضطر؟.

كما ان نفس الطرح كان يثار على عبد الله بن الزبير وهو ألم يجد عبد الله بن الزبير مكانا آخر يلتجئ اليه غير بيت الله الحرام؟ والذي يحمل روحا عالية في الرفض، لماذا

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ٩٢.
(٢) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٨١.

يستغل ما منح الله للناس أماكن الأمن والعبادة ويعرضها للاهانة وهو يعرف الطرف الآخر بانه لاتقف امامه أي خطوط حمراء ومقدسات؟

إن هذه تساؤلات كانت تثار في داخل بيوت مكة وتجمعاتها العلمائية والإجتماعية.

وقد تصدى من له الجرأة وحب التضحية، لأن يعرض هذه التساؤلات على عبد الملك ويضع شجون الأمة بين يديه، ويريه الحالة الأخرى لوضع الناس، ويعلمه أي ثمن قدمه أهل مكة لنصره على عبد الله بن الزبير وعلى حساب من توج دخوله مكة؟

فكان رده ان ارتقى المنبر وخاطب أهل مكة بضرس قاطع بأن الحديث عن التقوى مع الحاكم يعني حكم الأعدام[١] حيث قال عبد الملك بن مروان: «ولا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه»[٢].

وهذه جدلية عسيرة ومعادلة مخاضها صعب ان طليعة الأمة وأهل الوعي والمسؤولية يتحرك في داخله الشعور في تأدية الواجب الديني أو الوطني أو الاجتماعي والسعي لابلاغ الرسالة من أجل وضع أفضل وتغير للأحسن.

وتبليغ الرسالة لصالح الأمة وليس لدافع شخصي، واذا كان هناك مردود ايجابي سيعود عليه فلا يصيبه أكثر مما يصيب الناس، ولكن ردود الفعل السلبية يتلقاها هو ومن يرتبط به دون غيرهم.

ونجد أن هذا الوعي بالمسؤولية والاحساس بضرورة دفع الظلم والتغير نحو الاحسن الذي لاينفرد به هو وحده أو جماعة خاصة دون غيرهم.

لأن أرتال الأرامل والأيتام التي تخلفهم الحروب، والدمار الذي يصيب كل المعالم الحضارية والدينية والاجتماعية في المدن ليس بحاجة الى بحث لرؤيته ومعرفة واقعه فهو شاهد حي متحرك في شوارع وأزقة المدينة وأحيائها.

ولكن مجرد السعي لنقل هذا الواقع المؤلم والتفكير في تغيير أو رفض المسبِّب لهذا جريمة وعمل مدان من الحاكم وبعض الناس، حيث الناس لايملكون مشاركة من

---

(١) الامام زين العابدين عليه السلام، باقر شريف القرشي.

(٢) الكامل في التاريخ، ج٤، ص٥٢١.

يعرض نفسه للقيل والقال والألم والمعاناة من غير تمحيص عن دوافع التحرك وأسبابه وانما رفضهم الحالة العملية للتغير نحو الأفضل وان يشترك البعض في الحالة النظرية بضرورة التصدي للتغيير.

وإذا نزل مكروه من كلام أو عمل بالمتصدين للعمل التغييري ولو كان عملهم بمقدار النصيحة فانهم لايتبرؤون من صاحب هذا الدور فقط، بل يقومون بتوجيه اصابع الندم والعتب اليه إنه لماذا قام بهذا الدور وتصدى لهذه المسؤولية.

وبعض الأحيان يُتخذ نموذجا سيئا في الوسط الاجتماعي لأنه قام بهذا الدور.

فعائلة الشهيد أو المعتقل وهو يؤدي دوره في عملية التغيير في المجتمع يجب أن تحظى باحترام وتقدير المجتمع لأن هذه العائلة فقدت عزيزها في الدفاع عن مصالح الناس ومقدساتهم الدينية والوطنية و...

ولكن الناس يبتعدون عنهم ويتخذونهم قدوة سيئة يشار اليها بالبنان لأنهم فقدوا عزيزهم بسبب سلوكه للتصدي للتغيير.

وهذه محنة الرساليين في وسط الأمة، وأعظم منها ان الحاكم يعتبر نفسه مسؤولا عن سعادة الأمة، وحل مشاكلها وتوفير سبل الراحة واجواء الأمن لهم.

وكل مشاركة من ابناء الأمة في ابداء الرأي وتقديم النصيحة والمشورة للحاكم، فان الحاكم يعتبر تلك النصيحة والمشورة تدخلا مباشرا بل اعتداءً بل مؤامرة عليه وعلى موقعه من قبلهم.

وبين عتب ولوم الناس ورفض وعقاب الحاكم تقع محنة أصحاب الوعي وعشاق المسؤولية ومحبي الاصلاح ورواد الخير لامتهم ووطنهم.

والذي مارسه عبد الملك بن مروان من على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي مكة المكرمة وبيت الله الحرام وقبالة الكعبة الشريفة حيث أمر الناس بعدم التحدث معه بأمر التقوى ومخافة الله وإلاّ عرّض نفسه الى القتل.

بينما الاجواء الزمانية والتضاريس الجغرافية كلها معدة وتحمل روح وتذكير وامر الناس بالتقوى حيث المنبر ومكة المكرمة والكعبة، ولكن عبد الملك بن مروان لايريد ان

يسمع من الناصحين من يذكره بتقوى الله عزوجل.

ان هذا الحاكم عاصره الامام زين العابدين عليه السلام وعاش أكثر عمره معه حيث تولى الحكم من سنة (٦٥هـ) إلى (٨٦هـ)[١].

واذا كان الحاكم يرفض سماع أن يتحدثوا معه بتقوى الله سبحانه فماذا يكون حال ولاته وامرائه؟

وهذة الغطرسة والتعالي دفعت عبد الملك بن مروان لأن يتجرأ على المقدسات عندما رأى أن الناس ترغب في تلبية نداء ربها والتوجه الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه بعيدا عن الصراع السياسي القائم بين الامويين والزبيريين.

ولكن عبد الملك خاف أن يغير عبد الله بن الزبير افكارهم ويغسل عقولهم فيتغيرون عليه ويأخذ البيعة منهم اليه.

فقام ببناء قبة على الصخرة التي في بيت المقدس التي انطلق منها رسول الله الى السماء وطلب من الناس الطواف حولها وهي تعوض عن الحج وقبل الناس هذا الاخراج[٢].

ولا غرابة وقتئذ أن يدلل أمراء عبد الملك بن مروان على هذا الانحراف الفكري في الاختيار لهم ليكونوا أمراء على الأمة أمثال الحجاج بن يوسف الثقي وخالد بن عبد الله القسري الذين لم يعرف في تاريخ الدولة الاسلامية أكثر قسوة وانحرافا منهم في الاجرام والارهاب ومطاردة الناس والتعطش الى شرب الدماء.

وهذا الاختيار لهم أعطى السمة الواقعية لطبيعة وواقعية الحاكم وميوله على قاعدة «قل لي من صديقك، أقول لك من أنت».

من هنا نعرف إن الحاكم اذا رفض ان يسمع من أحد أن يقول له اتق الله سبحانه فماذا ننتظر من ولاته أن يتكلموا؟

لذلك لا غرابة أن نسمع عن الحجاج أن يخطب من دون أن يذكر اسم الله سبحانه

(١) محمد باقر الشريف القرشي، الامام زين العابدين عليه السلام
(٢) تاريخ الطبري، ج٥.

أو يصلي على محمد كما هي سنة الحكام وولاتهم عند بدأ الخطاب ولو كان ذلك من باب مداراة شعور الناس والاعراف الرسمية، أو نجد إن خالد بن عبد الله القسري عندما يوصل الماء الى اهل مكة يتحدث معهم ان الله أعطاهم الماء المج وهو زمزم في حين ان الحاكم أعطاهم الماء العذب الفرات[١] ويطلب من الأمة أن تعرف قدر وفضل الحاكم الذي تفضل عليهم بهذه النعمة؟

وعندما كانت أمه تريد أن تمارس طقوسها على طريقتها الدينية المسيحية، يبني لها في داره كنيسة صغيرة من أجل أن تمارس طقوسها بحرية من دون أي خوف أو وجل أو سؤال من الحاكم، وكيف انه يولي شخصا أمه مسيحية ومصرة على دينها، ويسير قدما في عدم شعوره بالمسؤولية فيبني لها كنيسة في دار الامارة، ومن الطبيعي ان تكلفة البناء من أموال المسلمين[٢].

وليس الاعتراض هنا على أداء امرأة لطقوسها الدينية من دون خوف وبحرية، لأن هذا من حقها الطبيعي، ولكن الاعتراض على بناء كنيسة خاصة لها وفي موقع قيادة الأمة؟

و إعتراض آخر هو حول موقع الشخص القيادي الذي يجب أن لا يكون بهذه المواصفات وهذه البنية البيئية له! ولكن هذا العمل وقع وسجله المؤرخون ونقلوه لنا.

والأدهى من ذلك انهم كانوا يفضلون الخليفة - بزعمهم- على رسول الله في عدة من المواقع[٣].

والحجاج يجهر بأنه يخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أراد الحج فخطب الناس وقال:

يا أهل الكوفة، إني قد استعملت عليكم إبني محمدا، و أوصيته فيكم بخلاف وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأنصار. فانه أمر أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، وقد أوصيته أن لايقبل من محسنكم ولايتجاوز عن مسيئكم[٤].

---

(١) تاريخ الطبري، ج٥، ص٢٢٥، حوادث سنة تسع وثمانين.
(٢) تاريخ الطبري، ج٥، احوال الحجاج.
(٣) نفس المصدر.
(٤) شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٣٤٦.

# [٣]

# اتساع الانـحراف الفكري

إن هذه أمثلة سريعة من واقع الحالة الفكرية التي كان يحملها حكام وأمراء الأمة.

وطبيعي ان هذه الحالة أفرزت حالات ثقافية في الأمة اشتملت على تيارات فكرية تخدم مصالح الحكام وتوجد مناخا دافئا لهم لايجدون فيه حالة مضادة لهم، كما نجد ذلك في التيار الثقافي الذي أوجده معاوية ابن أبي سفيان والذي يساير حكمه وهو تيار المرجئة والقائم على تفسير وتأويل الآية الكريمة:

**﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمر الله﴾**(١).

أي طلب من الأمة عدم اثارة الاشكالات على العصاة والمنحرفين من الناس والحكام، وانما الله سبحانه وتعالى هو الذي سيحاسبهم يوم القيامة.

وهذا التيار الفكري كان يسحب فتيل الكثير من أهل الحق وطلاب العدالة عندما يرون الانحراف والظلم من قبل الحاكم وولاته ويريدون تصحيح الوضع والسعي للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولكنهم يصطدمون بثقافة المرجئة التي تصدهم عن سعيهم وكانت هذه المدرسة الفكرية تحول دون محاسبة الأمة وطليعتها الرسالية لمعاوية وتصرفاته الظالمة.

وتيار فكري آخر أوجده الحكام من أجل شد عصابة الجهل واللامبالاة والتثاقل الى الارض وعدم الخروج على الحاكم وإن انحراف ومارس الظلم والاضطهاد

---

(١) التوبة ١٠٦، انظر: الملل والنحل، للشيخ السبحاني.

والانحراف، والسبب لأنه حاكم الأمة وشق العصا عليه يعني تفتيت الأمة وشق عصا المسلمين.

ونشأت هذه المدرسة الفكرية لتبرر ليزيد بن معاوية عمله الشيطاني في قتل الامام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وبتلك الطريقة الفجيعة، حيث برّروا بأنّ سبب ذلك يعود الى خروج الامام الحسين عليه السلام على امام زمانه وحاكم عصره وهو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وبعمله هذا شق عصا المسلمين وجزاء عمله هذا يستحق القتل لحكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هنا أخذت المقولة طريقها في الأمة وهي «ان الحسين قُتِل بسيف جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[1]. لأن رسول الله نهى بزعمهم عن الخروج عن الحاكم والحاكم هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيفه هو سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! هكذا!!

وهذا المنطق قبله الكثير حتى أن شخصا مثل أبو حامد الغزالي يردد صدى هذا القول.

(١) تفسير الألوسي، ج ٢٦، ص ٧٣.

# [٤]

# تفضيل قريش

لاينكر إن لبني أمية قبل الإسلام وضعا متميزا في قريش ويملك بعضهم رمزية واضحة في مكة من امثال أبي سفيان وعتبة وإن كانت هذه الرمزية على قاعدة لاتملك من الحالة العقائدية والقيمية شيئا يذكر.

ولكن هذه الحالة بقيت ملازمة لهم متمركزة في تلافيف أدمغتهم لايحيدون في السعي لبلوغها الى حد الوصول اليها بكل وسيلة ممكنة ولا يفهمون من أجل ذلك لغة الرسالة والسماء والهداية والحق.

ويعتقدون ان كل ذلك وسائل للوصول الى السلطة والقوة وقد عبر عن ذلك أبوسفيان في مواطن عديدة نقلها لنا التاريخ.

ففي فتح مكة وعندما قدَّر رسول الله ﷺ الحالة النفسية لأبي سفيان ومن اجل كسبه وامتصاص حالة الرفض فانه ﷺ أعلن: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن...»(١).

ولعب العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ دورا مهما في إقناع أبي سفيان للدخول في الإسلام فقبل ذلك أبي سفيان.

ووقف هو والعباس على ربوة ينظرون فيها دخول جحافل الإسلام الى مكة فقال للعباس بن عبد المطلب: «لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما..».

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ١، ص ١٧٨.

فرد عليه العباس بن عبد المطلب: «ويحك إنها النبوة»[(١)].

فلاحظ كيف ان أباسفيان لايفهم الإسلام ورسالة الله والجهاد في سبيله، ولذلك لم يجرِ على لسانه أي لفظ من هذه المعاني السامية، وانما تحركت شفتاه في الملك لما يملكه من خلفية ثقافية تعود عليها.

ومرة أخرى وبعد أن أصبحت الجزيرة تعيش تحت المظلة الاسلامية ولايتحدث الناس بشيء سوى الإسلام، وقد كف بصره وأصبح رجلا ضريرا يقوده الأبناء ليذهبوا به من هنا وهناك وكان ذلك في خلافة عثمان بن عفان وابنه معاوية والي على الشام.

فذهب الى أُحُد ووقف على قبر الحمزة بن عبد المطلب ورفس القبر برجله وخاطب الحمزة بن عبد المطلب قائلا:

«يا أبا عمارة، إن الذي تقاتلنا عليه يوم بدر صار في أيدي صبياننا»[(٢)].

وكأنَّ حمزة حارب وقاتل في سبيل مُلْكٍ وسلطان، وليس هناك فهم للقيم والمقدسات والدفاع عنها والشهادة في سبيل الله.

ولذلك تحرك هؤلاء بهذه العقلية، وعندما حكم عثمان بن عفان تصرفت الجوقة المحيطة به في المواقع القيادية وأموال الأمة بهذه العقلية من دون أدنى ذكر وخوف لله سبحانه أو اعتقاد بان هناك حساب، بل كانوا لايعتقدون بحق أحد أن يحاسبهم أو يقول لهم لماذا هذا التصرف، فنجد ان معاوية يتحدث عن هذه الظاهرة بشكل واضح حيث يقول لابن عباس: «والله لو ملكتموها يا بني هاشم لما كانت ريح عاد ولاصاعقة ثمود بأهلك للناس منكم..»[(٣)] ولذلك نزلت مختلف المشاكل بالامة، وكانت جميعها بسبب هذه التصرفات البعيدة عن خلق وقيم الإسلام.

وقد تمحور حول هذه العقلية كل طامع وصاحب طموح دنيوي واقتصادي وقيادي وتحالف القوم فيما بينهم حول هذه الافكار وأصبحوا ظاهرة في الأمة لايريدون

(١) بحار الانوار، ج ٢١، ص ١٠٤.
(٢) اعيان الشيعة، السيد محسن الأميني، ج ١، ص ٣٨٩.
(٣) الأمالي، الشيخ المفيد، ص ١٥.

من الأمة أن تساويهم في شيء من حياتهم فهم أصحاب المال والجاه والقوة، وكل واحد من هؤلاء اندفع الى هذا الموقع من زاويته الخاصة.

فبنو أمية كان همهم هذه المواقع مجردة من كل القيم والاخلاق، وأمثال طلحة والزبير وأبنائهم كانوا يطالبون بأجر ما قدموا للاسلام من خدمات وتضحيات وقد اجتمعت كل هذه التطلعات في بودقة واحدة في أنهم من أصحاب المواقع القيادية والمالية والرمزية الأولى ولايقبلون لأحد أن يدخل معهم فيها أو يساويهم بغيرهم.

وهذه الثقافة هي التي أثارت أهل الكوفة على الوالي ومن بعده على الخليفة عثمان بن عفان عندما قال الوالي في جلسة مع وجهاء ورموز الكوفة:

«إنما هذا السواد -أي العراق- بستان لقريش»[١].

ولقد وقف الإسلام بوجه هذا التعالي على الناس واعطاء أنفسهم موقعاً يمتاز عن غيرهم، مثلما واجهه رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد ذلك الامام أمير المؤمنين عليه السلام انطلاقا من تعاليم الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٢].

ولم يعترض أحد على الآية القرآنية الكريمة باعتبار انها يمكن ان تحصر في العلاقة الروحية بين العبد وربه وهي صلة لاتهمهم من قريب وبعيد.

وانما الذي يتطلعون اليه هو الموقع والرمزية والمال الذي رفضوا أن يكونوا مع غيرهم فيه على حد سواء، لذلك نجد إن كل الأساليب الايمانية وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله تحجمت في استئصال هذه الحالة، ولو رأيتها مرة تحني رأسها للعاصفة الايمانية فانها تتطاول مرة أخرى في ظروف أخرى.

حتى اذا جاء دور معاوية صار الشد والارخاء ميزة واسلوبا يناور به بين الامة.

وفي واقعنا المعاصر نفس المحنة عاشها ويعيشها المجاهدون في سبيل الله، فمن جهة إنهم يجاهدون طغاة ارهابيين مصاصي دماء الشعوب من امثال صدام حسين الذي يبيد الحرث والنسل ومن الجهة الاخرى فانهم محاطين بجهل الناس، وعندما يلقي الجهاد

(١) تاريخ الطبري، الطبري، ج ٣، ص ٣٦٥.
(٢) الحجرات ١٣

افرازاته من شهادة وغربة وفراق، فان المجتمع لايرحم حيث يواجه هؤلاء بعدم المبالاة لمشاكلهم ورميهم في انهم يلقون أنفسهم في المشاكل وبما يبعد عنهم ثقافة الشهادة والجهاد في سبيل الله والأخذ على يد الظالم.

ولكنهم يتطلعون الى العدالة والمساواة وكأنها تأتي بفعل ساحر أو ارادة ربانية قائمة على (كن فيكون) والتي لم يمنحها الله سبحانه الى اعز أنبيائه وأوصيائه حيث قال عليه السلام: «وما أوذي نبيّ مثل ما أوذيت»[1] فهي محنة الرساليين على طول الخط.

كما تعيش في واقعنا حالة الوراثة والعائلية ودفع أجر السابقية العملية وكأن الفعل في سبيل الله شركة مساهمة وليس جهاداً وعطاءً في سبيل الله متى ما يعجز الانسان عنه يتنحى ليفسح الطريق لغيره.

ولذلك تجد في واقعنا زبيريين وطلحويين يريدون وراثة أموال الأمة ومصادرة جهادها عبر مصادرة اموال وادوات العمل الإسلامي.

نعود لنقول ان الانحراف الفكري الذي صيره معاوية واقعا يحكم فيه قد توارثه ابنه وآل مروان من بعده في خلق الحالة القرشية التي لاتعرف الحدود ولاتقبل بأي خط احمر لتصرفاتها.

وقد تعرض الامام أمير المؤمنين عليه السلام الى هذه الظاهرة في خلافته وشكى منها واراد تصحيحها ولكن لم تساعده الظروف في تغييرها ومضى من دون القضاء عليها قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته:

يا أشباه الرجال ولا رجال! حلوم الاطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت اني لم أركم ولم أعرفكم، معرفة -والله- جرت ندما، وأعقبت سدما، قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحا، وشحنتم صدري غيظا، وجرعتموني نغب التهمام أنفاسا، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم! وهل أحد منهم أشد لها مراسا، وأقدم فيها مقاما مني! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين! ولكن لا رأي لمن

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر أشوب، ج ٣، ص ٤٢.

لايطاع[١].

وانحراف فكري آخر عاشه الامام زين العابدين عليه السلام هو حالة التمييز الطبقي في تصنيف الناس الى أحرار وعبيد والتعامل معهم وفق هذه الحالة، على الرغم من كثرة الوافدين على الحضارة الاسلامية وكبرى المدن قد امتلأت منهم حتى لايخلو بيت منهم في تقديم الخدمات.

إلا أن الحالة الثقافية التي كانت سائدة عند أصحاب القدرة من حكام وولاة ورموز اجتماعية هي النظر الى هؤلاء بنظرة دونية واعتبارهم مواطنين من درجة ثانية أو ثالثة وعدم القبول بهم كباقي الناس في الحقوق والواجبات وان اختلفت اعمالهم الحياتية من حيث الأداء.

(١) نهج البلاغة، خطب الامام، الخطبة ٢٧.

[٥]

# النبوة أو الامامة

بعد ابعاد الامام علي عليه السلام عن الخلافة طرحت مجموعة من الأفكار نسبت بعضها الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتعزيز وتقوية الممارسات التي قاموا بها واعطائها بعدا شرعيا كما هي فكرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يورث شيئاً وانما كل الذي عنده هو ملك للأمة وعليه فانه ليس لفاطمة الزهراء سلام الله عليها حق فيما خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[١].

وقد حاججت بنت رسول الله هذه الفكرة في خطاب مفصل قوي الحجة والدلالة على عدم صحة هذه الفكرة وبعد مضي فترة طرحت فكرة عدم صحة الجمع بين النبوة والخلافة في بيت واحد.

ولعل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب هو الذي صاغ فكرة رفض الجمع بين الخلافة والنبوة، حيث كانت قد طرحت أفكار بررت صحة إبعاد الامام علي عليه السلام عن الخلافة بحجة وجود من هو أكبر سنّا من الامام، أو قلة خبرة الامام عليه السلام في تسيير دفة الحكم[٢]، وقد تحدث الخليفة الثاني مع عبد الله بن العباس في خلوة ثنائية بينهما وفي حديث ودي عن هذه الأجواء[٣].

ولكن هذه الفكرة لم تقف عند هذا الحديث الثنائي وانما أصبحت ثقافة اموية يتداولونها فيها بينهم ويثقفون أبناءَهم عليها ومن يلتقي معهم في هذا الطريق، وقد

---

(١) انظر: فاطمة الزهراء سلام الله عليها، من المهد الى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني.
(٢) الاحتجاج، للطبرسي، ج١، ص٩٦.
(٣) نفس المصدر السابق.

تحدث بهذا الحديث المغيرة بن شعبة مع الامام الحسن عليه السلام في اجتماع ضم الجوقة الأموية وهم:

١ - معاوية بن ابي سفيان.
٢ - عقبة بن ابي سفيان.
٣- عمرو بن العاص.
٤- مروان بن الحكم.
٥- عمرو بن عثمان بن عفان.
٦- المغيرة بن شعبة.
٧- الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

فقال المغيرة بن شعبه للامام الحسن عليه السلام: وما كان ليجمع فيكم يا بني عبد المطلب الملك والنبوة[1].

وبالرغم من ان هذه الأحاديث جرت في وقت سابق لامامة الامام زين العابدين عليه السلام إلا ان الفكرة بقيت الى زمانه وقد تحدث بها عبد الملك بن مروان مع الزهري عندما سال عبد الملك من الزهري عن صحة التقارير التي كانت ترد اليه عن سيرة الامام زين العابدين وانه يقوم بتحرك جماهيري.

فرد عليه الزهري ان الامام مشغول في غير ذلك، وفكرة الفصل بين النبوة والملك هي محاولة لإبعاد التوجيه الديني عن الحاكم وإيجاد الفصل بين الدين والسياسة وما يرافق ذلك من انحرافات فكرية وسلوكية ومنها التي رأيناها بشكل واضح في كل من ركب كرسي الحكم حين ارتكب من الجرائم والفحشاء ما يندى لها الجبين.

وما زالت هذه الفكرة قائمة تقف وراءَها القوى الكبرى وتدفع الحكام في العالم الإسلامي للتصدي لكل من ينادي في اقامة حكومة دينية ودمج الدين في السياسة والاستفادة من المحراب والمنبر للحديث عن شؤون الدولة والأمة وقد رأينا كيف وقفت الدول الكبرى وراء مصادرة فوز جبهة الانقاذ الاسلامية في الانتخابات التشريعية في الجزائر وقد كان من المسلمات استلامهم الحكم وما زالت حمامات الدم تجري في الجزائر.

(١) الإحتجاج، للطبرسي، ج ١، ص ٤٠٥.

## [٦]

# الظلم السياسي

مصادرة الرأي حالة طبيعية عرفها الناس وأيقنوها وفهموا أن الاعتراض بحكمة يعني ازهاق روح الانسان وشهدت الفترة الزمنية التي عاشها الامام زين العابدين أقسى نماذج لهذه الممارسات.

قسم من هذا الظلم السياسي كان في شكل عمليات غدر قام بها الحكام وبالذات عبد الملك بن مروان حيث غدر بابن عمه عمرو بن سعيد الاشدق في دار الخلافة بدمش، وينقل المؤرخون القصة التالية:

أرسل عبد الملك الى عمرو أن ائتني، ثم قال عمرو للرسول: أنا رائح العشية ومضى في مائة من مواليه.

وقد جمع عبد الملك عنده بني مروان فلما بلغ الباب أذن له، فدخل، فلم يزل أصحابه يحبسون عند كل باب حتى بلغ قارعة الدار وما معه إلا وصيف له، فنظر عمرو إلى عبد الملك وإذا حوله بنو مروان، فلما رأى جماعتهم أحسَّ بالشر فالتفت الى وصيفه وقال: انطلق الى أخي يحيى فقل له يأتني، ودخل عمرو، فرحب به عبد الملك وقال: هاهنا يا أبا أمية!

فاجلسه معه على السرير وجعل يحادثه طويلا، ثم قال: يا غلام خذ السيف عنه فقال عمرو: إنا لله يا أمير المؤمنين فقال عبد الملك: أتطمع أن تجلس معي متقلداً سيفك؟ فأخذ السيف عنه، ثم تحدثا، ثم قال له عبد الملك: يا أبا أمية، إنك حيث خلعتني آليت بيمين إن أنا ملأت عيني منك وأنا مالكٌ لك أن أجعلك في جامعة. فقال له بنو مروان:

ثم تطلقه يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، وما عسيت أن أصنع بابي أمية؟ فقال بنو مروان: أبر قسم أمير المؤمنين فقال عمرو: قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين.

فأخرج من تحت فراشه جامعة وقال: يا غلام قم فاجمعه فيها. فقام الغلام فجمعه فيها فقال عمرو: أذكر الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤوس الناس. فقال عبد الملك: أمكراً يا ابا أمية عند الموت؟ لا والله ما كنا لنخرجك في جامعة على رؤوس الناس. ثم جذبه جذبة أصاب فمه السرير فكسر ثنيتيه. فقال عمرو: أذكر الله يا أمير المؤمنين، كُسِر عظم مني فلا تركب ما هو أعظم من ذلك، فقال له عبد الملك: والله لو أعلم أنك تُبقي عليّ إن أنا أبقيتُ عليك وتصلح قريش لأطلقتك، ولكن ما اجتمع رجلان في بلدة قط على ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه. فلما رأى عمرو أنه يريد قتله قال: أغدراً يا ابن الزرقاء! وأذن المؤذن العصر فخرج عبد الملك يصلي بالناس وأمر أخاه عبد العزيز أن يقتله، فقام اليه عبد العزيز بالسيف فقال عمرو: أذكرك الله والرحم أن تلي قتلي، ليقتلني من هو أبعد رحماً منك، فألقى السيف وجلس، وصلى عبد الملك صلاة خفيفة ودخل وغلقت الأبواب ورأى الناس عبد الملك حين خرج وليس معه عمرو، فذكروا ذلك ليحيى بن سعيد، فأقبل في الناس ومعه ألف عبد لعمرو وناس من أصحابه كثير.

فجعلوا يصيحون بباب عبد الملك: اسمعنا صوتك يا أبا أمية! فأقبل مع يحيى حميد بن حريث وزهير بن الأبرد فكسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف وضرب الوليد بن عبد الملك على رأسه، واحتمله إبراهيم بن عربي صاحب الديوان فأدخله بيت القراطيس.

ودخل عبد الملك حين صلى فرأى عمرواً بالحياة، فقال لعبد العزيز: ما منعك أن تقتله؟ فقال: إنه ناشدني الله والرحم فرققت له، فقال له: أخزى الله امك البوالة على عقبيها، فانك لم تشبه غيرها! ثم أخذ عبد الملك الحربة فطعن بها عمرواً فلم تجز، ثم ثنى فلم تجز، فضرب بيده على عضده فرأى الدرع فقال: ودرع أيضاً؟ ان كنت لمعدا! فأخذ الصمصامة وأمر بعمرو فصرع، وجلس على صدره فذبحه وهو يقول:

يا عمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

وانتفض عبد الملك رعدة، فحمل عن صدره فوضع على سريره، وقال: ما رأيت

مثل هذا قط قتله صاحب دنيا ولا طالب آخرة.

ودخل يحيى ومن معه على بني مروان ومن كان من مواليهم، فقاتلوا يحيى وأصحابه، وجاء عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي فدفع اليه الرأس، فألقاه الى الناس، وقام عبد العزيز بن مروان وأخذ المال في البدر فجعل يلقيها الى الناس، فلما رأى الناس الرأس والاموال، إنتهبوا الاموال وتفرقوا، ثم أمر عبد الملك بتلك الأموال فجُبيت حتى عادت الى بيت المال[1].

كما أنه حاول أن يغدر بأخيه عبد العزيز بن مروان والي مصر ولكن الموت أراحه من الغدر كما ينقل المؤرخون ذلك.

ولكن أشد المحن كانت محنة اتباع أهل البيت عليهم السلام عموما وأهل العراق خصوصا.

وقد نُقلت الى أسماع الامام مفردات من هذا الظلم الذي مارسه مصعب بن الزبير على جماعة كانت لاتميل الى آل الزبير في البصرة فقام بضربهم وشتمهم وسبهم وأمرهم بطلاق نسائهم.

كما إن الامام عاش هذه المفردات في المدينة المنورة، عندما خضعت الى سيطرة عبد الملك حيث قام بضرب من يؤيد عبد الله بن الزبير ومنهم من مات تحت السياط.

كما ان الامام شاهد عملية الأعتداء على ابن عمه الحسن المثنى عندما أراد المخزومي ضربه خمسمائة سوط ولكن الامام أنجاه ببركة دعاء علمه إياه.

والأدهى من ذلك ما مارسه عمر بن عبد العزيز عندما كان واليا على المدينة المنورة من قبل الوليد بن عبد الملك حين ضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير وسكب عليه الماء البارد حتى مات تحت التعذيب العلني.

وشاهد الامام كيف ضُرِب سعيد بن المسيب الفقيه المعروف من قبل والي المدينة وطيف به بالشوارع.

(١) الكامل في التاريخ، لابن الاثير، ج ٤، ص٢٩٨.

هذا فضلا عما شاهده الامام من أعمال بشعة عندما أباح يزيد بن معاوية المدينة المنورة.

و من الغريب ان الانسان اذا كان ينتمي الى الالحاد والزندقة والكفر كان يَسْلَم، ولكنه اذا عرف عنه الانتماء الى مدرسة أهل البيت يُقتل، وفي ظل دولة اسلامية تدافع عن الإسلام، وأوج ذلك وصل في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي.

ولم يقف أمامهم اي خط بياني حيث شمل ظلمهم من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ وكان القتل أهون لهم من الاهانة وتعرضهم للسخرية لمجرد انتسابهم الى رسول الله ﷺ بصحبة أو حديث.

وذكر المؤرخون نماذج من ذلك. وظلم اتباع أهل البيت في العراق تفنن فيه الولاة وعلى الرغم ان الشيعة لم يتحركوا باسمهم بعد قتل المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وثورة أهل العراق برمزية عبد الرحمن بن محمد الأشعث لا تحمل لواءً شيعيا على الرغم من أنها ضمت بين قادتها وقواعدها الكثير من الشيعة وبني هاشم(١).

والذي يظهر إن المعارضة السياسية التي طفحت على الشارع في فترة الامام زين العابدين عليه السلام - وهي فترة حكم عبد الملك وابنه الوليد - هي:

### ١- الخوارج

والذين حملوا السلاح بشكل علني وقاس ضد الحكم الاموي وسجلوا انتصارات واسعة في العراق وفارس بقيادة ابن شبيب الشيباني وتحدوا الحجاج بن يوسف الثقفي ودخلوا الكوفة وصلوا في مسجدها الجامع حتى احتمى الحجاج في دار الامارة وأغلق الباب، ولم يشهد الحكم الأموي تحديا شرسا لهم في العراق بعد ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي مثل تحدي الخوارج، حيث كان الدعم البشري والمالي يأتي للحجاج من الشام حتى وصل الأمر ان زوجة الوليد بن عبد الملك تحدثت مرة مع الحجاج بن يوسف الثقفي ووبخته على تصرفاته وسلوكه وقالت له:

ان امداداتنا المالية لك هي التي أتعبت السلطة حيث بعنا حلينا ومجوهراتنا وأرسلنا

(١) تحدثنا عن ذلك في فصل ثورة اهل العراق.

الأموال لك[١].

ولكن الحجاج تمكن في نهاية المطاف من الانتصار على الخوارج وقتل شبيب الشيباني، وتصفية أمرهم في العراق.

### ٢- أتباع أهل البيت

على الرغم من أن أتباع أهل البيت لم يحملوا السلاح بعد حركة المختار بن أبي عبيدة الثقفي ولكن رموزهم وقواعدهم بقيت تتحرك وتتفاعل مع أي حركة معارضة للسلطة عدا الخوارج[٢].

ولكنهم يشكلون خطاً ثقافياً وسياسياً واضح المعارضة ومنتشرا في البلاد الاسلامية ومتحركا ويحمل مقومات الاستمرار.

وبعد فشل سلسلة الحركات المعارضة التي قام بها أهل العراق وبالذات القبائل العربية والرموز الايمانية فان الحجاج ظل يطاردهم اينما كانوا، فمنهم من ذهب الى عمق فارس حيث خراسان وري، ومنهم من هرب إلى الحجاز.

اما خراسان وري فانها كانت تحت توجيه الحجاج بن يوسف الثقفي وامرته فطاردهم واعتقلهم وقتلهم. وفرَّ بعضهم إلى الحجاز واختفوا في مكة المكرمة أو المدينة المنورة حيث الأقارب والمعارف وأهل الخير و..

والحجاز لم تكن تحت سيطرة وتوجيه الحجاج بن يوسف الثقفي فقام بالكتابة إلى الحاكم في الشام يشكو له ظاهرة هروب المعارضة من العراق إلى الحجاز والإختفاء هناك.

وبدوره كتب الوليد إلى الطاغية خالد القسري يحثه على مطاردة الفارين من العراق والقاء القبض عليهم وتسليمهم إلى الحجاج، ونتحدث الآن بشيء من التفصيل عن ذلك.

مطاردة الحجاج للذين اشتركوا في الثورة عليه في العراق، ليس مخفيا وهو الذي عرف عنه ظلمه وهذا الذي تحدث عنه الامام الباقر عليه السلام كما أسلفنا، بل إن عبد الملك

---

(١) تحدثنا عن ذلك في فصل ثورة أهل العراق.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج ٤، احوال المختار.

بن مروان راعه هذا، وهذه المطاردة هي التي جرأت الحاقدين على مذهب أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم أن يتحدثوا وبلسان يندى له الجبين ضد أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث وصل الأمر بذلك الاودي ان يحتج على الحجاج بأنه أكثر مناقبية منه في عداء أهل البيت عليهم السلام فيقول للحجاج:

«وما أراد منا رجل قط أن يتزوج أمرأة إلا سأل عنها: هل تحب أبا تراب أو تذكره بخير؟ فان قيل: إنها تفعل ذلك اجتنبها فلم يتزوجها. قال: ومنقبة، قال: وما ولد فينا ذكر فسمي عليا ولا حسنا ولاحسينا، ولا ولدت فينا جارية فسميت فاطمة. قال: ومنقبة، قال: ونذرت امرأة منا حين أقبل الحسين الى العراق إن قتله الله أن تنحر عشر جزر[1]. فلما قتل وفت بنذرها، قال: ومنقبة، قال ودعي رجل منا الى البراءة من علي ولعنه فقال: نعم وأزيدكم حسنا وحسينا[2].

وهذه المطاردة لاتباع أهل البيت عليهم السلام في العراق بالذات هي التي دفعت لأن يحمل الفارون من ظلم الطغاة أنفسهم الى الفرار واللجوء الى مناطق أكثر أمنا.

ومن ذلك هجرة بعض القبائل العربية من العراق والكوفة بالذات من ظلم الحجاج بن يوسف الثقفي إلى منطقة قم والعيش فيها وتحويلها الى منطقة شيعية.

وكان أبرز تلك القبائل هم الأشعرية والى الآن سنة ١٤١٧ توجد بعض البيوتات تحمل اسم الأشعرية.

وتدبير الهي آخر - في عصرنا الحاضر - حيث حكم العراق طاغية مشبع بالانحراف ومحنك في ممارسة الاجرام هو (صدام حسين) حيث طارد أتباع اهل البيت عليهم السلام ففروا من العراق والتجأ قسم منهم الى سوريا وسكنوا بجوار مرقد العقيلة زينب سلام الله عليها وحولوها من قرية صغيرة الى مدينة واضحة المعالم، وأصبحت من مراكز اتباع اهل البيت عليهم السلام، وكما يقال ان لله شؤون في عباده حيث ان شيعة العراق يصب عليهم العذاب فيهربون بدينهم ومذهبهم فيحيون المناطق الأخرى ويجعلونها من شعائر أهل البيت عليهم السلام.

(١) الجزر: جمع جزور، وهو ما يجزر من النوق أو الغنم.
(٢) بحار الانوار، ج٤٦، ص١٢٠.

وهذا تدبير الهي لاتعرف حكمته، والذين هربوا الى الحجاز حيث الامام زين العابدين عليه السلام وما يحيطه من بني هاشم ومحبيهم واتباعهم فكان ملجأ دافئا لهم، كما ان الاماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة كانت تشكل ظاهرة امان لهم.

وتواجدهم في الحجاز شكل ظاهرة واضحة كما في ولاية عمر بن عبد العزيز الذي كان يحكم في مكة والمدينة المنورة، والظاهر أنه راسل الوليد بن عبد الملك حول ظاهرة الظلم الذي يلاقيه اهل العراق من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي غير انه لم يسمع نصيحة عمر بن عبد العزيز بل سمع واثنى على رأي الحجاج بن يوسف الثقفي حين عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة المنورة ومكة المكرمة وارسل اليهما واليين عُرِفا بالقسوة والظلم وهما:

١- خالد بن عبد الله القسري على مكة المكرمة.

٢- عثمان بن حيان على المدينة المنورة.

ولكنهم ما كانوا يتدبرون الوضع ومفرداته وآلية التحرك فيه، فهم عند هروبهم من العراق كانوا يعتقدون أنهم خرجوا من سلطة الحكم الاموي لذلك كانوا يتحدثون في الإجتماعات العامة ضد السلطة الاموية وخاصة في صلاة الجماعة والجمعة حيث يحتشد الناس، وقد نهاهم الامام زين العابدين عن ذلك مرارا كما أنهم لم يدركوا أنهم هربوا من معركة خاسرة وليست ناجحة، ولكل معادلة حالة خاصة فليس للنجاح والفشل آثار واحدة، فالخاسر عليه أن يرجع خطوة الى الخلف، ولم يدركوا هذه الحالة وقد شكلوا في تواجدهم ظاهرة واضحة في الحجاز مقابل فراغ كبير في العراق أحس به الحجاج وعرف انهم هربوا الى الحجاز فكتب الى دمشق حول ذلك، وبسببه فان السلطة الأموية في الحجاز اتخذت عدة تدابير في كم الأفواه واخمادهم وتصفية حالتهم، والاجراءات هي:

### ١- التجسس على تحركات الامام السجاد عليه السلام

وكانت مهمة مراقبة الامام وتسجيل تحركاته ونقلها الى الشام ليكون عبد الملك أو ابنه الوليد في صورة ما يجري في المدينة، والظاهر أن وضع الامام تحت المجهر الشامي

نابع من الخوف من أن الامام عليه السلام قد يمد خيوطه التنظيمية وعلاقاته السياسية مع الظاهرة العراقية التي عمت المدينة المنورة ومكة المكرمة ويضاف الى ذلك الأعداد الهائلة من العبيد الذين اعتقهم الامام زين العابدين عليه السلام فضلا عن بني هاشم الذين كثر عددهم واحسوا بحاجة تحقيق طموحهم الديني في إحقاق الحق السياسي لأنهم يرون أنفسهم أحق من غيرهم.

وهذه المجموعات الثلاث لو اجتمعت فانها -بلا اشكال- تشكل قوة لا يستهان بها في احداث عمل.

ولكن السلطة لم تطمئن الى أن الامام زين العابدين مشغول بمهة أخرى غير المهمة السياسية.

## ٢- مراقبة أهل العراق المتواجدين في الحجاز

إن دائرة التجسس لم تقتصر على الامام فقط وانما شملت دائرة القادمين من العراق أنفسهم حيث كانت عيون السلطة تتداخل في تجمعات هؤلاء الوافدين وتنقل للسلطة ما يدور من احاديث بينهم من نقد للسلطة والظلم الذي عاشوه وصُبَّ عليهم من قبل الولاة وخاصة الحجاج بن يوسف الثقفي.

## ٣- تهديد الوافدين

ثم تهديد الوافدين الى الحجاز عبر الخطابات العامة التي تقام في المساجد وقد هدد والي المدينة الوافدين أنهم من شيعة آل أبي طالب حيث قال: «والله ما جربت عراقيا قط إلا وجدت أفضلهم عند نفسه الذي يقول في آل أبي طالب ما يقول وما هم لهم بشيعة..»[1].

وهذا لايعني انهم ليس فيهم من الخوارج أو غيرهم ولكنهم -أي محبي أهل البيت- يشكلون الظاهرة العامة وكان التهديد من أجل عدم التحدث واثارة وعي المعارضة عند الناس، وان من يقوم بذلك سيكلفه ثمنا باهضا اذ قال خالد بن عبد الله

---

(١) تاريخ الطبري، الطبري، ج ٥، ص ٢٥٩، (من كلماته عندما كان والياً على الكوفة).

القسري والي مكة:

«فاني والله ما اوتي باحد يطعن على امامه إلا صلبته في الحرم..»[١].

وأكثر قسوة من هذا يقول: «لو أني اعلم ان هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم تقر بالطاعة لأخرجتها منه...»[٢].

### ٤- تهديد من يأوي أهل العراق

ومن اجل احكام السيطرة على الوضع وتفتيت أهل الرأي والمعارضة قام ولاة الحجاز في تكميل خطتهم عبر تهديد كل من ينزل أو يؤوي عراقياً في بيته وأنزال العقوبة بهم وتهديم بيوتهم، وخطب والي المدينة عثمان بن حيان المري قائلاً: «برئت ذمة الله ممن آوى عراقياً»[٣].

وخطب خالد بن عبد الله القسري والي مكة المكرمة في نفس الاتجاه وان كانت كلماته اقسى من سابقه ولنقرأ كلماته:

«وأعلموا أنه بلغني ان قوماً من اهل الخلاف يقدمون عليكم ويقيمون في بلادكم، فاياكم ان تنزلوا احداً ممن تعلمون انه زائغ عن الجماعة فاني لا أجد أحداً منهم في منزل احد منكم إلا هدمت منزله فانظروا من تنزلون في منازلكم»[٤].

ونقل المؤرخون مجموعة من القصص التي حدثت حول ذلك نختار منها:

أ- عن موسى بن عقبة عن ابي حبيبة قال: اعتمرت فنزلت دور بني أسد في منازل الزبير[٥]، فلم اشعر إلا به يدعوني، أي خالد بن عبد الله القسري[٦].

ب- ومن المدينة المنورة القصة التالية:

(١) عندما كان واليا على مكة، الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ج ٤، ص ٥٥٤.
(٢) نفس المصدر.
(٣) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٦٠.
(٤) نفس المصدر، ص ٢٤٣.
(٥) اي الزبير بن العوام: حيث كانت له منازل باسمه في بعض المدن.
(٦) الطبري، ج٥، ص٢٤٣.

«عن سعيد بن عمرو الأنصاري قال: رأيت منادي عثمان بن حيان ينادي عندنا: يا بني أمية بن زيد بن ثابت برئت ذمة الله ممن آوى عراقياً»(١).

### ٥- إبعاد اهل العراق الى الكوفة

وبعد هذه الأجواء التي أوجدها ولاة الحجاز على اهل العراق قاموا بإلقاء القبض عليهم وتسليمهم مخفورين الى الحجاج بن يوسف الثقفي وكانت العملية تتم بسهولة حيث خاف الناس من سطوة الولاة.

فأخرجوا أهل العراق من منازلهم، واذا جن الليل فلا مكان للنوم والاستراحة إلا في الجوامع، وهناك الشرطة والأمن فيتم القاء القبض عليهم ويرسلونهم مخفورين الى الكوفة:

«ولم يترك بالمدينة أحدا من أهل العراق تاجراً ولا غير تاجر إلا وأمر بهم أن يخرجوا من كل بلد فرأيتهم في الجوامع»(٢).

ولما كانت المحنة صعبة فانها تخلق في الانسان قوة المقاومة من أجل الخلاص، وخاصة اولئك الذين لهم رمزية ومعروفية في الامة.

ومحنة اهل العراق في الحجاز جعلتهم يستعملون أسماءً مستعارة غير أسمائهم الأصلية وينتسبون الى عشائر ومدن غير عشائرهم ومدنهم من اجل التنكر والفرار من المحنة.

«فكان اناس من ضربه -اي من طبقة سعيد بن جبير- يستخفون فلا يخبرون باسمائهم»(٣).

ومن الذين هرب من العراق واستقر مستخفياً في مكة المكرمة هو سعيد بن جبير(٤) ومجموعة من الرموز الدينية والاجتماعية وتمكن خالد بن عبد الله القسري من التعرف

(١) تاريخ الطبري، ج٥، ص٢٥٩.
(٢) تاريخ الطبري، ج٥، ص٢٥٨
(٣) الطبري، ج٥ ص٢٦٠.
(٤) نقلنا في الجزء الأول جهاده وطريقة استشهاده

عليهم واعتقالهم وارسالهم مخفورين الى الكوفة حيث الحجاج بن يوسف الثقفي[١].

ولما قَتَلَ الحجاجُ بن يوسف الثقفي سعيدَ بن جبير أحس أنه ارتكب ذنباً عظيماً فكان يلقي باللوم على خالد بن عبد الله القسري لأنه أرسله اليه وما كان امامه الا أن يقتله فقال الحجاج بن يوسف الثقفي:

«لعن الله ابن النصرانية -يعني خالد القسري- هو الذي أرسل به من مكة»[٢].

وهذا اسلوب الطغاة عندما يقعون في حرج فيحاولون التهرب منه بالقاء اللوم على غيرهم واظهار أنفسهم أنهم لايريدون مكروها لأحد.

ومن باب التذكرة: ان نفس هذا الأسلوب والكلمات قالها يزيد بن معاوية عندما جيء بسبايا اهل البيت عليهم السلام بعد قتل الامام الحسين وأهل بيته من الكوفة الى الشام حيث أخذ بتوجيه اللوم الى عبيدالله بن زياد لأنه عجل على الامام الحسين بالقتل ولأنه لا يملك صلة رحم مع الامام الحسين عليه السلام! وكأنّ عبيدالله بن زياد كان هو الذي يصدر الأوامر وليس يزيد بن معاوية؟[٣]

وكانت هذه الممارسات قد شاهدها الامام عليه السلام في أواخر حياته في عام ٩٤-٩٥ هجرية.

(١) الطبري، ج٥، ص٢٦٠.
(٢) الطبري، ج٥، ص١٦٢.
(٣) راجع: مقتل الخوارزمي.

[٧]

# الظلم الاجتماعي

حالة الانحراف الفكري والظلم السياسي بطبيعتها تفرز ظلماً اجتماعياً ساخناً، لأن الذي لايعطي اهتماماً للمقدسات الاسلامية من الخالق الى رسوله ومن يتعلق به فيكون طبيعياً عنده ان يسلط سيفه بالطريقة التي يراها من دون أن يضع لنفسه خطاً بيانياً لانه لايعتقد في جنة ونار؟

والذي همه السلطة والجاه والموقع السياسي يضرب وبيد من حديد اي عقبة تقف أمامه ولايبالي من تكون هذه العقبة حتى لو كانت بيت الله الحرام أو حرم رسول الله ومسجده وقبره؟

والذي يعيش في هكذا أجواء مسمومة ويقف على هكذا أرضية ملغومة بالانحراف لايقف متفحصاً لولاته وأعوانه وأيهم يملك المواصفات التي تخدم الامة، وانما يسعى لتعيين الولاة الذين يحققون اهدافه بعيداً عن كل شيء. وبالفعل فقد مارس الحكام الذين عاصرهم الامام زين العابدين عليه السلام هذا اللون من السلوك وعُرِفوا أنهم يتميزون في الظلم في تأريخنا الإسلامي، من أمثال عبيد الله بن زياد الذي عينه يزيد بن معاوية والياً على الكوفة، أو الحجاج بن يوسف الثقفي الذي عينه عبد الملك بن مروان والياً على الحجاز ثم العراق[٤]، أو خالد القسري الذي عينه الوليد بن عبد الملك والياً على مكة، أو هشام المخزومي الذي عينه الوليد على المدينة المنورة. ان هذه الشلة هم من الولاة الذين استحكمت قبضاتهم على عواصم العالم الإسلامي وهي الحجاز والعراق تلك الشلة

(٤) تاريخ الطبري، ج٥، ص ٣٥ و ٤٠.

التي مارست الظلم بشتى أنواعه.

وعندما نقرأ ما نقله المؤرخون من تقييم لشخصية كل واحد من هؤلاء نعرف على ضوء ذلك كيف نزن الامور ونقيس نوعية الافرازات السلبية التي يطرحونها:

## ١- يزيد بن معاوية

الذي أجمع أهل القبلة على تكفيره وفسقه وفجوره وتحدثنا عن ذلك[١].

## ٢- مروان بن الحكم بن العاص

كان يسمى خيط النار[٢]، كما كان معروفاً انه الوزغ بن الوزغ، والذي كان طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٣].

## ٣- عبد الملك بن مروان

فهو من ناحية الأب والأم طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «جدّاه جميعاً طريدا رسول الله..»[٤]. «وكان له إقدام على الدماء»[٥].

«فان من يكن الحجاج بعض سيئاته يعلم على اي شيء يقدم عليه. قال عبد الملك لسعيد بن المسيب: يا أبا محمد صرتُ أعمل الخير فلا أسرّ به وأصنع الشر فلا اساء به. فقال سعيد بن المسيب: الآن تكامل فيك موت القلب. وكان عبد الملك أول من غدر في الإسلام»[٦].

«وهو أول من نهى عن الأمر بالمعروف، فانه قال في خطبته بعد قتل ابن الزبير: (ولا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه)»[٧].

---

(١) في فصل الانحراف الفكري.
(٢) مروج الذهب، ج٣، ص٨٦.
(٣) الغدير، الشيخ الأميني، ج ١١، ص ٩٣.
(٤) مروج الذهب، ج٣، ص١٠٩.
(٥) تاريخ اليعقوبي، ص٢٦٩، ج٢
(٦) الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٥٢١.
(٧) الكامل في التاريخ، ج٤، ص٥٢١.

ان عبد الملك بن مروان خطب الناس يوما فقال: إني لستُ بالخليفة المستضعف -يريد عثمان بن عفان- ولا بالخليفة المداهن -يريد معاوية- ولا بالخليفة المافون -أي ضعيف الرأي- يريد يزيد بن معاوية.ألا واني لا أداوي هذه الأمة الا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم»(١).

## ٤- الوليد بن عبد الملك

«كان الوليد جبارا عنيدا ظلوما غشوما»(٢). وهو «أول من أخذ بالقذف والظنة وقتل بهما الرجال»(٣).

قال عمر بن عبد العزيز: الحجاج بالعراق والوليد بالشام، وقرة بمصر، وعثمان بالمدينة، وخالد بمكة. اللهم قد امتلأت الدنيا ظلما وجورا فأرح الناس(٤).

خطب الوليد يوما فقال ياليتها كانت القاضية، وضم التاء فقال عمر بن عبد العزيز: عليك وأراحتنا منك(٥).

هذه واقعية الحكام الذين عاصرهم الامام زين العابدين عليه السلام، والحاكم الذي يعيش بهذا الجو المكهرب من البطش، فان الجهاز الذي يتعامل معه في إدارة امور البلاد هو من نفس النسيج ويحملون نفس المنهجية بل في عملهم التنفيذي أعمق جرما وأسفك للدماء وذلك تملقا للحاكم وارضاء له.

ولذلك نجد ان الولاة الذين أداروا دفة الحكم أيام هؤلاء وتنقلوا من موقع الى آخر، وهم:

١- الحجاج بن يوسف الثقفي الذي حكم الحجاز وبعد ذلك العراق.

٢- خالد بن عبد الله القسري الذي حكم الحجاز وبعد ذلك العراق بعد هلاك الحجاج بن يوسف الثقفي.

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٩١.

(٢) مروج الذهب، ج٣، ص،١٥٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٩١.

(٤) الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٨٣-٥٨٤.

(٥) الكامل في التاريخ، ج٥، ص١١.

٣- عثمان بن حيان المري الذي حكم المدينة المنورة.

٤- هشام بن اسماعيل المخزومي حكم المدينة المنورة.

كل واحد من هؤلاء كان كتلة من الانحراف والاجرام والبطش.

وعندما نذكر نماذج من ظلمهم نقف على مقدار انحرافهم وضلالهم.

نبدأ بتسليط الضوء على الأحداث من أضيق دائرة كانت تحيط بالامام زين العابدين عليه السلام حيث الأحداث المشاهدة عن قرب والتي نتلمسها من دون اضافة أو نقصان.

نسجل بعض الأحداث من المدينة المنورة حيث محل اقامة الامام زين العابدين عليه السلام وبعد ذلك في الدوائر الأخرى.

التسلسل الزمني الذي عاشه الامام عليه السلام مع ولاة المدينة المنورة بعد أحداث كربلاء كان في انتفاضة أهل المدينة التي عرفت بواقعة الحرة.

وقد سجلنا بعض أحداثها في فصل واقعة الحرة وما ان انتهت واقعة الحرة حتى جاء خبر هلاك يزيد بن معاوية وانسحاب الجيش الاموي القادم من الشام من المدينة المنورة الى دمشق.

وهذا الانسحاب ترك فراغا سياسيا مهد الطريق الى أن يبسط عبد الله بن الزبير سلطته على المدينة المنورة ويضمها الى سلطانه.

وقد تحدثنا عن موقف عبد الله بن الزبير من الامام زين العابدين وبني هاشم في فصل ثورة عبد الله بن الزبير.

وبعد ذلك تحرك الجيش الاموي القادم من الشام لإسقاط الحكم الزبيري في الحجاز بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي، وتمّ اسقاط الحكم الزبيري وقُتِل عبد الله بن الزبير، واستتب الحكم لعبد الملك بن مروان الذي بدوره عين الحجاج واليا على الحجاز، أي مكة المكرمة والمدينة المنورة.

## الفصل الثالث

# لقطات من حياة الامام

١ - الامام وتربية الشيعة

٢- الامام والمستهزؤون

٣- الامام وسيرته الخاصة

٤- تنكّر الامام وعدم الأكل باسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

# [١]

# الامام وتربية الشيعة

إن قابلية البشر على التلقي متفاوتة، ولذلك فان استيعاب الواقع والظواهر والنصوص يخضع لنفس حالة التفاوت في الفهم، وهي حالة طبيعية تخضع لمجموعة عوامل وراثية وظروف اجتماعية وعائلية واقتصادية، ومن هنا كانت وسائل الدعوة عند الأنبياء عليهم السلام تتماشى مع هذه الظاهرة، حيث يبعث الله سبحانه أنبياءَه من القوم أنفسهم ومن أصحاب لسانهم، ويحدثهم بقدر عقولهم.

ومن هنا جاءت أحاديث أهل بيت النبوة منسجمة مع هذا التوجيه القرآني في منع خاصتهم عن إذاعة أسرارهم والتحدث عن خصائصهم: «المذيع علينا سرنا كالشاهر بسيفه علينا»[١].

ولكن بعض الظروف كانت تأتي فتكون المصلحة فيها ان يظهر من أئمة أهل البيت عليهم السلام سلوكٌ فيه من المناقبية والفضيلة مما يجعل البعض يعتقد أن هذه القدرة ليست طبيعية وأن لها حالات ربانية.

وعلى الرغم من أن أئمة أهل البيت عليهم السلام بل رسول الله صلى الله عليه وآله ما كانوا يظهرون سلوكاً فيه نوعٌ من القدرة التي يفقدها الناس الا ويقولون بإذن الله والتي دأب اهل البيت عليهم السلام على ترديدها في كل حين، الا أن الجهل عند الناس وبعض أصحاب النفوس الضعيفة يجعلهم يذهبون بعيداً في تفسير هذه الظواهر إلى حد الغلو ووضع هالة أكبر مما يدّعي أهل بيت الرسالة لأنفسهم.

---

(١) بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٢٨٧.

هذا على الرغم من أن التشهّد يؤكد بوضوح على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو عبدٌ لله ورسوله، فرسول الله يقر بعبوديته لله سبحانه، فكيف بابنائه؟

وقد احبط الامام زين العابدين عليه السلام ظاهرة الغلو التي برزت من زمن الامام أمير المؤمنين عليه السلام وحاول الامام ان يقضي عليها وأحرق جماعة عندما أصروا على غلوهم(١) ولكن لم يوفق في اجتثاث جذورهم.

واستمرت هذه الظاهرة إلى يومنا هذا وأصبحت لها فلسفة خاصة، ودهاليز فكرية. وحاول أئمة أهل البيت عليهم السلام الوقوف أمام هذه الظاهرة من خلال كلماتهم لأصحابهم وخواصهم حيث قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: «هلك فيّ رجلان: محب غال، ومبغض قال»(٢).

***

ولا اشكال في أن الظلم والاضطهاد الذي لانظير له -والذي تعرض له شيعة أهل البيت عليهم السلام- ساهم في خلق هذه الظاهرة (الغلو) حيث كان البعض منهم يريد أن يرسم هالة من القدسية حول الامام مقابل الطغاة ليفضلهم عليهم السلام على عدوهم.

كما ان الارهاب كان يقطع سبل التلاقي والتواصل الثقافي بين الأئمة وخواصهم وبين عامة أتباع أهل البيت عليهم السلام.

فالتاريخ الشيعي قد ملئت صحائفه بمعاناة أتباع أهل البيت عليهم السلام من ظلم ومطاردة وقتل وما زالت هذه الظاهرة موجودة في العراق ودول أخرى حيث تصادر حرية الشعائر والتعبير عن الرأي وتضرب قبور الأئمة عليهم السلام.

***

وقد يعبر البعض عن حب أهل البيت عليهم السلام أو طرح فضائلهم بطريقة تتسم بنوع من الغلو أو بطريقة لامنطقية بحيث لاتتمكن القضية المطروحة من الصمود أمام الدليل والمنطق، فيغدو من الطبيعي ان الطروحات المغالية تواجه من قبل العقلاء بعلامات استفهام؟

---

(١) راجع كتاب عبد الله بن سبأ للسيد مرتضى العسكري

(٢) نهج البلاغة، قسم قصار الحكم، الرقم ١١٧.

ومن ثم عن تساؤل عن مدى مقبولية ما يطرح من قبل أهل البيت انفسهم او علماء الشيعة والمذهب الاثنى عشري نفسه لمثل هكذا سلوك او لون من الطرح.

فمثلا ظاهرة الشعائر التي بطبيعتها هي حالة تخضع الى الزمن والمكان والأعراف الاجتماعية في كل بلد، ولكن هناك من يصرّ على أن تكون الشعائر التي كانت قبل كذا قرن أو سنة هي نفسها، وقد تكون بعضها قد عمل بها مقابل سلوك الطغاة والحكام الظالمين، ولكن لايقبل هذا الرأي. وطبيعة هذا الأصرار يخلق حالة من التوقف عند البعض تجاه الفهم الواقعي لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

إن الشعائر في واقعها هي عملية تعبير إيجابي عن واقعية الاعتقاد بالدين وحب الايمان والسير على تعاليمه، والطرح بطبيعته يتغير حسب العوامل والامكانات المطروحة وبما يخدم سمعة أهل البيت عليهم السلام.

ومن الناحية الثانية فان الشعائر لابد لها من أن تتحكم فيها المعايير الاسلامية والانضباط الديني، وأما أن تخرج عن الحدود والانضباط الديني فانها تضر أكثر مما تنفع.

وطبيعة الشعائر تختلف عند المسلمين عندما يكونون حكاماً عما عليه عندما هم معارضه مشردون لا أرض تجمعهم وسلطة تحميهم عما هو الحال عندما تكون بيدهم سلطة وقدرة، فانهم في هذه الحالة يكونون أقدر على ترشيد شعائرهم وتحويلها من الشتات والفردية الى الحالة العامة والاجماعية التي تعطي ثمارها أسرع وأفضل.

ولكن من المؤسف أن البعض عندما يكون خارج السلطة الاسلامية ولم يوفقه الحظ من نيل موقع يخدم من خلاله فانه يقف وراء كل ما من شأنه تعكير الأجواء ويخلق الفوضى ويقف خلف كل ظاهرة يفترض أن تترشد وتنسجم مع الحالة المتطورة من عدم وجود دولة اسلامية الى وجود هذه الدولة.

ومن هذه الحالات ما يحدث الآن في ايران التي تحول إعلامها في شهر رمضان المبارك وشهري محرم وصفر الى شعائر دينية ومذهبية، مما جعل البعض يقول ان الإذاعة والتلفزيون تحولت الى جوامع وحسينيات، ومع ذلك يأتي من يقول إنها ضد الشعائر الحسينية؟

***

إن أئمة أهل البيت عليهم السلام عاشوا هذا الواقع، ولذلك حاولوا أن يُفهِموا أصحابهم عدم رضاهم عن هذه الظواهر والوقوف أمامها.

فقال الامام زين العابدين عليه السلام: «احبونا حب الإسلام، فما زال حبكم لنا حتى صار شيناً علينا»(١).

وواضح من تعبير الامام عليه السلام في أن حبكم لنا كان يعطي ردوداً ايجابية علينا حتى انعطفتم في الافراط وقلتم فينا ما لانرضى به، وبذلك تحولت هذه الحالة شيناً وعيباً علينا، وتتحدث الناس عنا بهذه الأمور، وكذلك أشار الامام الصادق عليه السلام الى هذه المظاهر التي كانت معطياتها سلبية على أئمة أهل البيت عليهم السلام بقوله: «لوددتُ أنّ أصحابي ضُربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا»(٢) وبقوله: «ليت السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام»(٣).

وقد دعا عمر بن الامام زين العابدين عليه السلام الى ايجاد حالة من التوازن في حب أهل البيت عليهم السلام حيث قال:

«المفرط في حبنا كالمفرط في بغضنا، لنا حق بقرابتنا من جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحق جعله الله لنا، فمن تركه ترك عظيماً، انزلونا بالمنزل الذي انزلنا الله به، ولاتقولوا فينا ما ليس فينا، إن يعذبنا الله فبذنوبنا، وان يرحمنا الله فبرحمته وفضله»(٤).

(١) الارشاد للشيخ المفيد، ج ٢، ص ١٤١.
(٢) الكافي، ج١، ص٣١.
(٣) المحاسن، ج١، ص٢٢٩.
(٤) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٧١.

# [٢]

# الامام والمستهزؤون

معاناة مستمرة، ومحنة دائمة، تلازم الرساليين، والدعاة إلى الله، والعاملين في سبيله، عاشها كل الأنبياء وواجهها كل الأوصياء، واصطدم بها صاحب كل رسالة، وتلك هي الطبيعة المنحرفة عند بعض الناس، التي لاتمتلك دليلاً فتناقش، ولابيانا فتبدي رأيها، ولامنطقا فيرد عليه، وانما هانت عليهم نفوسهم فتصرفوا بمنطق السخرية والاستهزاء وتشويش الحديث، وخلط الأوراق واستخدام الاستهزاء كأسلوب في تعكير الجو على الآخرين.

هذه الشريحة سماها سبحانه وتعالى بـ(المستهزئين) وكان همهم السخرية في موضع تبليغ الرسالة وتأدية دور التبليغ، وتبيين الحقائق، وارشاد الناس.

وقد استعرض القرآن الكريم وضع هؤلاء وبيّن واقعهم وانحرافهم عن الطريق.

***

والمؤلم في مسيرة هؤلاء أنهم لايملكون قدرة النقاش والبحث والأخذ والرد للوصول الى مساحة مشتركة أو خيار أفضل، وانما يقطعون الحديث بكلمة استهزاء، فيضحك من جلس ويفسدون الأجواء على المتحدث.

وواقع هؤلاء منحرف وبعيد عن الفطرة ومستقبل أمرهم يؤول الى عاقبة السوء وذكر الشر ورمزية الانحراف، وذلك أن الانسان الذي يتجرّأ ويقف امام أصحاب الرسالة والعاملين في سبيل الله ومبلغي الرسالة لايمارس هذا الدور إلا وقد هانت عليه عزته وفقد كرامته، وتوازنه النفسي ولايبالي أن يضحك الناس عليه أو يستهزؤوا به،

ولعل تجربة عمرو بن العاص، الذي يكشف عن عورته أمام سيف علي بن ابي طالب عليه السلام في صفين بدون أن يخجل من نفسه خير شاهد على ذلك، فماذا يمكن ان ينتظر منه الانسان حتى أصبح بعد ذلك محل سخرية وفكاهة الناس، ومضرب مثل السوء؟.

***

وهذه الشريحة من الناس قد لاتعجبها الأفكار المطروحة، حيث ترى فيها نقضا لمصالحها وضربا لمنافعها التي كانت تدر عليها بالربح والجاه والثروة، حيث مصالحها الاقتصادية والحياتية ولذلك فهي لاتقبل هذا الطرح والأفكار كما لاحظنا ذلك في تاريخ الإسلام، حيث وقفت قريش ضد الأفكار التي كان يطرحها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرضوا عليه المال والجاه والنساء مقابل أن يكف عن النبوة والرسالة ووسطوا عمه وكافله أبا طالب أن يتحدث معه في ذلك فقالوا له: يا أبا طالب، إنّ ابن أخيك قد سفّه أحلامنا، و سبّ آلهتنا، و أفسد شبابنا، و فرّق جماعتنا، فان كان يحمله على ذلك العُدْم جمعنا له مالاً فيكون أكثر قريش مالاً، و نزوجه أي إمرأة شاء من قريش(١).

ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم رفض هذا العرض، حيث ان الذين يعيشون حالة فكرية معينة توارثوها لايقدرون على فهم غيرها من الأفكار بل لايقدرون على استيعاب افكار أخرى متطورة وقولهم:

(إجعل الآلهة إلهاً واحداً) لأنهم لايفهمون معنى الاله فكيف يستوعبون فكرة جمع الآلهة في إله واحد فيكون طبيعيا أن يرفضوا الطرح الجديد.

وشريحة أخرى عندها حسابات خاصة مع الأشخاص الذين يحملون الرسالة ويبلغون الأفكار، فهم لايرون فيهم المقام والجاه والثروة، ولذلك يصعب عليهم الانقياد الى أشخاص كانوا بالأمس القريب يرونهم أقل شأنا منهم وأخفض منزلة في الوضع الإجتماعي.

فكانوا يعيبون على أصحاب الدعوات أنهم كانوا من قبل فقراء وأيتاماً، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله: ﴿**وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ**

---

(١) بحار الانوار، ج ١٨، ص ١٨٠.

**عَظِيمٍ﴾**[١]، وعن النبي موسى عليه وعلى نبينا وآله السلام: **﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾**[٢].

وأمثال هؤلاء يرون الرسالة حسب المقياس المادي الذي يألفونه في واقعهم الإجتماعي، ولاتسمح لهم نفوسهم من استيعاب الحالة الروحية للرسالة وما يحمل صاحب الدعوة من طاقات وامكانيات مرتبطة بها وراء الغيب، ولذلك يرفضون الاستجابة لهذا الذي كان بالأمس فقيرا لا مال له، او وضعه الاجتماعي لايسمح له أن يجلس في مجالسهم.

اما إذا كان له من الوضع الاجتماعي بحيث يملك القوة والبأس فانهم يحسبون له الحساب ويترددون في الاقتراب منه أو تصفيته الجسدية، وكانت ليلة المبيت التي عرفت بهذا الاسم واضحة حيث خاف طغاة قريش من أن يقترب أحد منهم في قتل رسول الله ﷺ ووصلوا إلى فكرة أن تجتمع قبائل العرب ويهجموا عليه في فراشه واذا قتل فان دمه سيتوزع بين قبائل العرب كافة، وعندئذ لايقدر بنو هاشم على الوقوف أمام قبائل العرب عامة.

وكان أبو جهل قد خاض تجربة سيئة دفع ثمنها غاليا عندما تعرض لرسول الله ﷺ وهو ساجد بفناء المسجد الحرام، حيث جاء حمزة وضربه بقوسه وشج رأسه ولم يقدر أبو جهل أن يرد على حمزة عم رسول الله ﷺ بشيء سوى ان الدماء سالت منه وذهب الى داره، وأدت هذه الحادثة الى اعلان اسلام حمزة[٣].

والقرآن الكريم يشير إلى حالة أخرى هي حالة نبي الله شعيب حيث كان له قوم وعشيرة قوية حالت دون ان يمد أحد يده إليه ويمسه بسوء **﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾**[٤].

***

(١) الزخرف، ٣١.
(٢) الشعراء، ١٨.
(٣) راجع سيرة المصطفى للسيد هاشم معروف الحسيني.
(٤) هود. ٩١.

وأئمة أهل البيت عليهم السلام عاشوا هذا الوضع مع الذين كانوا يسخرون منهم ويستهزؤون باحاديثهم وبأهل بيتهم بشتى الطرق والأساليب، ولكن الله سبحانه كان لهم بالمرصاد ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر ويجعلهم عبرة لمن اعتبر حيث سبحانه وعد رسله بأن يمنع عنهم هذه الشريحة الضالة بقوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾(١).

فلم يصل مستهزئ الى هدفه ولم يؤثر كلامه في أحد.

بل إنه يخسأ وينكفئ على نفسه وينال جزاءَه في الدنيا قبل الآخرة مضافا الى عذاب الله وسخطه عليه، وقد نقل سبحانه لنا كيف إنه كف أيدي السوء من أن تصل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أرادوا أن يصلوا اليه، وكيف انه سبحانه مكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من معرفة ما يعمل الحكم بن العاص من مشية استهزاء، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأصبح لايقدر على المشي السوي وبقي عبرة للناس ومثلا يضرب لمن آذى رسول الله (٢) صلى الله عليه وآله وسلم.

او الذين كانوا يهزؤون بخلافة الامام أمير المؤمنين عليه السلام حيث نقل المؤرخون أن جريرا والأشعث بن قيس خرجا الى صبيان الكوفة فمر بهما ضبٌ يعدو وهما في ذم علي عليه السلام، فنادياه: يا أبا الحسن هلم يدك نبايعك بالخلافة. فبلغ عليا عليه السلام قولهما، فقال: «أما انهما يحشران يوم القيامة وامامهما ضب»(٣).

فمن يُحشر يوم القيامة وامامه ضب؟

انهما جرير والأشعث بن قيس رأس النفاق والغدر هو وأبناؤه وبنته جعدة ممن عرفوا بالانحراف والغدر ولايُذكرون إلا والنفاق واللعنة علهيم.

وفي يوم العاشر من المحرم حيث أحاطت جحافل النفاق والغدر وعبدة الدرهم والدينار بالامام الحسين عليه السلام وفتية الهدى من أهل بيته وأصحابه عليه وعليهم أفضل التحية والسلام فاتبع الامام الحسين عليه السلام تكتيكا عسكريا أن حفر خلف خيامه خندقا وأشعل فيه النار لئلا يغدر به أحد من الخلف ويروع عياله من النساء والأطفال واذا بصوت عال من أنكر الأصوات يقول:

(١) الحجر، ٩٥.
(٢) انظر: مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٧١.
(٣) شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد، ج ٤، ص٧٦.

يا حسين ابشر فقد تعجلت النار في الدنيا قبل الآخرة.

قال الحسين: ويحك أنا؟

قال ابن جوزة: نعم

قال الحسين عليه السلام: «ولي رب رحيم، وشفاعة نبي مطاع، اللهم ان كان كاذبا فجره الى النار».

قال الراوي: فما هو إلا ان ثنى عنان فرسه، فوثب به فرمى به وبقيت رجله في الركاب، ونفر الفرس فجعل يضرب برأسه كل حجر وشجر حتى سقط عن فرسه في الخندق وكان فيه نار، فسجد الحسين (١) عليه السلام.

وقد استهزأ عمر بن سعد بالامام الحسين عليه السلام عندما نصحه بترك القتال فرفض ابن سعد فقال الامام الحسين عليه السلام له: «ان مما يقر لعيني انك لا تأكل من بُرِّ العراق بعدي إلا قليلا». فقال عمر بن سعد مستهزءاً: يا ابا عبد الله في الشعير خلف.

فكان كما قال الامام الحسين عليه السلام، لم يصل عمر بن سعد الى الري وقتله المختار (٢).

والامام زين العابدين عليه السلام عاش هذه المحنة حيث واجه بعضاً من هؤلاء الذين كانوا يسخرون من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولايعطونها الاذن الصاغية ويعتقدون إن ما يقوله أهل بيت الرسالة غير صحيح وانه أمر لا يمكن ان يكون.

وهذا نابع من ضعف الايمان بالله سبحانه وعدم الايمان بالغيب وبقدرة الله سبحانه على كل شيء، وانه يحيى العظام وهي رميم.

قال الامام علي بن الحسين عليه السلام:

«ما ندري كيف نصنع بالناس إن حدثناهم بما سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضحكوا، وان سكتنا لم يسعنا» فقال: ضمرة ابن معبد: حدثنا.

فقال الامام: «هل تدرون ما يقول عدو الله اذا حُمل على سريره؟».

(١) مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٢١٤.
(٢) المصدر، ص٢١٣.

فقلنا: لا.

فقال الامام: «(انه يقول لحملته: ألا تسمعون أني أشكو إليكم عدو الله خدعني وأوردني ثم لم يصدرني، واشكوا إليكم إخواناً واخيتهم فخذلوني، وأشكو إليكم أولاداً حاميت عنهم فخذلوني، وأشكو اليكم داراً أنفقت فيها حريبتي- مالي وداري- فصار سكانها غيري، فارفقوا بي ولا تستعجلوا..».

فقال ضمرة: يا ابا الحسن إن كان هذا يتكلم بهذا الكلام يوشك أن يثب على أعناق الذين يحملونه.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: «اللهم ان كان ضمرة هزأ من حديث رسولك فخذه أخذ اسف».

قال: فمكث ضمرة أربعين يوماً ثم مات فحضره مولى له، قال: فلما دفن أتى علي بن الحسين عليه السلام، فجلس اليه فقال له: من أين جئت يا فلان.

قال: من جنازة ضمرة فوضعت وجهي عليه حين سوى فسمعت صوته والله أعرفه كما كنت أعرفه وهو حي يقول: «ويلك يا ضمرة بن معبد اليوم خذلك كل خليل، وصار مصيرك الى الجحيم، فيها مسكنك ومبيتك والمقيل».

فقال علي بن الحسين عليه السلام: «أسأل الله العافية. هذا جزاء من يهزأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

***

ونموذجٌ آخر عاشه الامام زين العابدين عليه السلام مع رجل دأب على أن يقوم بأعمال، من قول وحركة بدنية من شأنها أن تضحك الناس فيرتاح ويحس داخلياً إنه أدى دوراً ايجابياً في المجتمع من خلال اضحاكه الناس وفي بعض الأحيان يكون ذلك بالاستهزاء من الأحاديث والأقوال التي ينطق بها الناس، وان تعذر عليه إضحاك البعض فانه يمد يده عليه في حركة من أجل أن يضحكهم من دون أن يتأمل ويتدبر مدى الايغال في هذا السلوك الذي يمس بكرامة الآخرين ويجرح شخصيتهم وبالتالي فانه يؤذيهم، حيث

(١) الكافي، ج٣، ص٢٣٤.

يتحمل بعمله هذا إشكالاً شرعياً يرفضه العقل وتأباه النفسية السليمة.

وهذا النمط من الناس لايعطي اهتماماً الى الشريعة ولايصغي إلى منطق الحق أو يفكر بعاقبة أمره والمهم عنده أن يمارس سلوكاً يشكل له دوراً في المحيط الذي يعيش ويرسم في نفوس الآخرين انطباعاً عن عمله كانسان منحط.

وهذا السلوك لا يمارسه ولا يقترب منه الانسان المؤمن فضلا عن القبول به.

وكان الامام علي بن الحسين عليه السلام ممن ابتلاه الله برجل في المدينة المنورة همه أن يضحك الناس ولو بالاستهزاء بالآخرين أو النيل منهم، وكان الامام ممن لايستجيب له في سلوكه هذا حتى مارس عدة أنماط من السلوك، فلم يعتنِ الامام بهذا العمل حتى قال: أعياني هذا، أي أتعبه، ولم يضحك.

فعن أبي عبد الله (الصادق عليه السلام) قال: «كان في المدينة رجل بطال يضحك الناس منه فقال: قد أعياني هذا الرجل أن أضحكه، يعني علي بن الحسين عليه السلام».

قال: «فمر علي بن الحسين عليه السلام وخلفه موليان له»، قال: «فجاء الرجل حتى انتزع رداءَه من رقبته، ثم مضى، فلم يلتفت اليه علي بن الحسين عليه السلام».

فاتبعوه وأخذوا الرداء منه فجاؤو به فطرحوه عليه.

فقال لهم الامام عليه السلام: من هذا؟

فقالوا: هذا رجل بطال يضحك أهل المدينة.

فقال الامام: قولوا له: «ان لله يوماً يخسر فيه المبطلون»[1].

كما ان هناك نمطا لايعرف للقيم مكانة، فاذا ذُكر الله ورسوله والقيم الإنسانية إستهزأ بها دون التوقف عند حد معين، فهو لايعرف الا الفاظ السخرية والاستهزاء التي تطبع عليها حتى صارت جزءاً من كيانه حيث لايدور لسانه الا بها، ولكن الله لهؤلاء بالمرصاد. ومن هذه النماذج يروى انه: «خرج علي بن الحسين عليه السلام إلى مكة حاجا حتى انتهى إلى واد بين مكة والمدينة، فاذا هو برجل يقطع الطريق. فقال لعلي: انزل.

(١) بحار الانوار، للمجلسي، ج٤٦، ص ٦٨.

قال الامام زين العابدين عليه السلام: تريد ماذا؟

قال اللص: أريد أن أقتلك وآخذ ما معك.

قال الامام عليه السلام: فانا أقاسمك ما معي وأصلك.

قال اللص: لا

قال الامام عليه السلام: فدع معي ما أتبلغ به، فأبى.

قال الامام عليه السلام: فأين ربك؟

قال اللص: نائم.

قال الامام عليه السلام: فاذا أسدان مقبلان بين يديه فأخذ هذا برأسه وهذا برجليه.

قال الامام عليه السلام: زعمت أن ربك عنك نائم»[١].

***

وهذه الحالة استمرت بعد الامام زين العابدين عليه السلام حيث لايخلو المجتمع من هذه الشريحة التي تتحرك بعدة دوافع منها الحقد على أهل بيت النبوة وعدم الايمان باحاديثهم وبأشخاصهم.

وممن عاش هذا النوع من الناس الامام الصادق عليه السلام حيث كان يعيش الامام فجيعة عمه زيد بن علي الشهيد، وما نزل بأتباع أهل البيت من المطاردة، والتنكيل، والاعتقال وفوق ذلك استشهاد زيد بن علي الرجل العالم المؤمن الشجاع.

واذا برجل باع نفسه للسلطان بابخس الأثمان وبدافع الحقد ينكل بزيد الشهيد ويسخر منه حيث أنشد شعرا يهزأ فيه منه ويشمت بموته، فتألم الامام الصادق عليه السلام من هذا الأسلوب والكلمات التي جاءت متزامنة مع محنة الامام عليه السلام وشيعته وهم يعيشون آثار استشهاد زيد بن علي عليه السلام، وما كان الامام ليقوى على شيء يفعله هو وشيعته وهم يعيشون الانتكاسه السياسية سوى التوجه الى الله سبحانه والطلب منه أن يتدبر هو الأمر وينتقم منه.

(١) آمالي الشيخ الطوسي، ص٦٠٥.

وهل هناك من ملجأ غير الله، وهل هناك من قدرة فوق قدرة الله سبحانه، فإلى من يكون الملجأ والمعاذ غير الله سبحانه؟ وهل يخيب سبحانه عبده المؤمن في وقت المحنة والشدة وهو (الأقرب الى الانسان من حبل الوريد) و(عند المنكسرة قلوبهم).

وعندما يحس الانسان أنه مظلوم ولا أحد يسمع ظلامته أو يقبل أن يفهم ظلامته، وان فهمها لايعمل شيئاً من اجلها، لايكون من ملجأ اليه سوى ربه وخالقه وهو وحده الناصر والمعين، ومن أرحم بعباده منه ومن أقدر على انزال العقوبة بالمعتدي سواه.

والامام الصادق عليه السلام عاش هذه المحنة فتوجه إلى الله بقلبه المنكسر ودعا الله أن ينصره من هذا المستهزئ وكان له ما أراد حيث اقتص الله من هذا المستهزئ، فقد بلغ الامام الصادق عليه السلام قول الحكم بن العباس الكلبي و هو يردِّد شامتاً:

صلبنا لكم زيـدا على جذع نخلة ولم أر مهديا على الجذع يُصلب
وقـسـتـم بعثمان عليا سفاهة وعثمان خير مـن علي وأطيب

فرفع الصادق يديه الى السماء وهما يرتعشان، فقال:

«اللهم ان كان عبدك كاذبا فسلط عليه كلبك» فبعثه بنو أمية الى الكوفة، فبينما هو يدور في سككها إذ افترسه الأسد. واتصل خبره بجعفر، فخر لله ساجدا، ثم قال: «الحمد لله الذي أنجزنا ما وعدنا»(١).

***

وممن اظهر السوء من المستهزئين بقيم السماء وأولياء الله سبحانه المتوكل العباسي الذي امتلأ حقدا ولؤما على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذريته، حتى وصل به الأمر أنه كان يهزأ بالامام أمير المؤمنين عليه السلام أمام خواصه ومعارفه.

وقد أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وفي حالة لم تجر لحاكم في الدولة الأموية ولا العباسية كمثل الذي جرى عليه من القتل، حيث قتله ابنه ثأرا لاستهزائه بامير المؤمنين عليه السلام، فقد نقل ابن الأثير واقعة استهزاء المتوكل بالامام أمير المؤمنين عليه السلام هكذا:

«كان المتوكل شديد البغض لعلي ابن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته، وكان من جملة

(١) مناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص٣٦٠.

ندمائه عبادة المخنث، وكان يشد على بطنه وتحت ثيابه مخدة ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل والمغنون يغنون: قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين، يحكي بذلك عليا عليه السلام، والمتوكل يشرب ويضحك، ففعل ذلك يوما والمنتصر حاضر فأومأ الى عبادة يتهدده، فسكت عبادة خوفا منه، فقال المتوكل: ما حالك؟ فقام وأخبره، عندها قال المنتصر: يا أمير المؤمنين ان الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس، هو ابن عمك، وشيخ أهل بيتك، وبه فخرك، فكل أنت لحمه اذا شئت، ولاتطعم هذا الكلب وأمثاله منه.

فقال المتوكل للمغنين: غنوا جميعاً:

غار الفتى لابن عمه رأس الفتى في حر أمه

فكان هذا من الأسباب التي استحل بها المنتصر قتل المتوكل»[1].

***

والمستهزؤون كثيرون، فحيثما كان هنالك عالم وعامل في سبيل الله كان قباله ممن يمتهن دور الاستهزاء والسخرية بالأفكار الاسلامية أو بالعلماء والعاملين، ولكن الله سبحانه بالمرصاد لهم حيث ياخذهم أخذ عزيز مقتدر.

وتأريخنا الإسلامي ينقل الكثير من القصص التي تظهر نصر الله سبحانه لعباده المؤمنين من هؤلاء المستهزئين بالتعاليم الدينية أو بأئمة أهل البيت عليهم السلام.

(١) تاريخ ابن الأثير، ج٧، ص٥٥-٥٦.

# [٣]

# الامام وسيرته الخاصة

الامام زين العابدين عليه السلام هو رابع أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن الأسماء اللامعة في سلسلة الأئمة عليهم السلام وقد التقى في شخصيته دوران:

الأول: انه امام معصوم، حجة الله في أرضه، السبب المتصل بين السماء والأرض، ولولاه لساخت الأرض بأهلها.

وكان هذا الموقع يتطلب منه سلوكا خاصا في أوقات المحنة والشدة واظهار امامته أمام الأمة، فكان يستعمل الاذن الالهي في التصرف في المعادلات وتغييرها باذن الله، وقد أشرنا الى بعضها في هذه الدراسة.

الثاني: إن الامام بشر وكان يعيش ويتصرف كانسان عادي يأكل ويشرب ويتزوج ويتعامل مع الناس بالسلوك العادي كما كان جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾[١].

والبشرية التي كان يعيشها الامام عليه السلام كانت تفرض عليه سلوكا كباقي الناس من دون علو أو استكبار بل ما يتطلبه الانسان في حياته من خدمات وأدوات عيش.

ولكن عندما نقول انه انسان لايعني انه كباقي الناس الذين لايحسنون التصرف والالتزام، وانما هو انسان قد تكاملت فيه الإنسانية والدين، فكان مثال كل قيمة دينية، وتكامل إنساني لايسبقه أحد في فضيلة ومنقبة ايمانية، وكان أكمل وأفضل وأعلم أهل

(١) فصّلت، ٦.

زمانه حتى لم يبق أحد لايعترف له بذلك، كما بينا بل لم يجد أحد فيه مغمزا أو ثغرة يتمكن من الولوج منها للنيل من شخصيته انما نقول ان الامام عليه السلام لم يعش عمره وكله اعجاز وخرق للطبيعة كما لم يعش ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانما تلك لها حالاتها الخاصة التي يأذن بها الله سبحانه.

***

كان الامام زين العابدين عليه السلام رمزا اجتماعيا يشار اليه بالبنان وتتوجه اليه الناس في قضاء حوائجها، وينظرون اليه انه رجل قادر على تسهيل أمور الناس.

والرمزية بطبيعتها تفرض على الانسان أن يتصرف في هذا المستوى من الرؤية التي تنظر اليه الأمة، وقد تكون نظرة أهل الايمان اليه أنه ولي الله وحجته وبه تمسك السماء أن تقع على الأرض.

ولكن عامة الناس ما كانوا ليفهموا هذه النظرة، وكانوا يطلبون من الامام أن يتصرف باعتباره رمزاً اجتماعياً، وقائداً دينياً، وكان الامام يتصرف في هذا السلوك ومن موقع الرمزية والقيادة.

فقد روي أنه كان يبتاع الراحلة بمائة دينار يكرم بها نفسه.(١)

ان الدابة التي كان يشتريها الامام قيمتها مائة دينار من أجل أن يكون عزيزا في المجتمع الذي ينظر الى هذه المظاهر.

نعم لم يركب الامام دابة عرجاء أو جرباء أو من النوع البخس الثمن وتعبير الرواية دقيق حينما تقول (يكرم بها نفسه) أي من أجل أن لاينظر اليه الناس بالعين الصغيرة وانه لا يملك شيئا وبالتالي غير قادر على تقديم شيء للأمة، في حين أن الآخرين من رموز المجتمع يملكون وسائل نقل جيدة تملأ عين الجهال لا غير، حيث أن حدود عقول الناس منتهى عيونهم وما يبصرونه بها.

وهذا السلوك يدعم اتباع الامام زين العابدين عليه السلام حيث ينظرون الى قائدهم وهو متمكن قادر على أن يملك ما يملكه أهل الجاه والثروة، وهو بالتالي غير محتاج

(١) بحار الانوار ج٤٦، ص ٧٢، رقم ٥٦.

بدلالة وسيلته، وإلا فان الامام بامامته قادر على أن يتحرك بوسائل غيبية أجمل وأسرع مما يعرفه البشر.

واظهار العزة أمام الأمة وضعاف النفوس أمر مرغوب به حيث الانسان يظهر العزة، لذلك في وقتنا الحاضر يركب بعض وجهاء الناس من سياسيين وتجار أحدث العربات وعندما يركب مثلها عالم وعامل تثار عليه التساؤلات بأنّ هذا يحب الدنيا ولايملك سيرة الأئمة، في الوقت الذي نرى أن الحديث النبوي الشريف يقول: «من سعادة المرء المسلم: الزوجة الصالحة، و المسكن الواسع، والمركب الهنيء، والولد الصالح»[١].

ولكن الثقافة المتناقلة والجهل هو المتحكم في هذا الإتجاه، والمؤسف ان من يثقف الناس لايحسن فهم سلوك الأئمة عليهم السلام.

***

لقد كان للامام عليه السلام عدة من الزوجات، وكان ينام معهن ويعاشرهن معاشرة الرجل لزوجته، مثلما اولدهن الذكور والاناث.

وانه عليه السلام كان بشراً بحاجة الى اشباع هذه الغريزة، ولذلك فانه لم يكتف بواحدة أو اثنتين، بل أكثر من ذلك.

وكانت له إماء والتي كانت تعجبه منهن يتزوجها ويولدها، ولذلك عندما نقرأ عن أولاده فيكتب فلان ابن أم ولد، أي الأمة التي ولدت من الامام عليه السلام.

وتعدد الازواج كانت حالة حاكمة في المجتمع وعادة سائرة في الأمة، وهي في الوقت الذي كانت تسد الحاجة عند الانسان وتمنعه من ارتكاب المحرم، فانها كانت تظهر قدرة الانسان الاجتماعية ومدى امتلاكه الحالة المادية التي تمكنه من خلق عائلة كبيرة تحيط به وتظهره بالرجل الذي يملك عزة عائلية واجتماعية وكان لابد للرمز الاجتماعي من هذا العمل.

ولم تكن تلك النساء من المستويات الاعتيادية بل كان الامام عليه السلام يختار منهن من

(١) مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٤٥١.

تملك الجمالية والشرف حتى تملأ العين وتفي الحاجة.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «مر رجل من أهل البصرة وهو شيباني يقال له عبد الملك بن حرملة على علي بن الحسين عليه السلام فقال له علي بن الحسين عليه السلام ألك أخت؟ قال: نعم قال: فتزوجنيها؟ قال: نعم قال: فمضى الرجل وتبعه رجل من أصحاب علي بن الحسين عليه السلام، حتى انتهى الى منزله، فسأل عنه فقيل له فلان بن فلان وهو سيد قومه..»[١].

وفي رواية أخرى إن الامام عليه السلام رأى المرأة في بعض المواسم فأعجبته فخطبها الى نفسها فرضيت به فتوزجها[٢].

وكان يتهيّأ ويتزين لنسائه مصداقا للحديث الشريف: «إنّ التهيّة - اي التنظّف والتزيّن- مما يزيد في عفة النساء»[٣].

عن أبي خالد الكابلي انه قال: لقيني يحيى ابن أم الطويل فأخذ بيدي وصرت معه إليه- اي الامام زين العابدين عليه السلام - فرأيته جالسا في بيت مفروش بالمعصفر، مكلس الحيطان، عليه ثياب مصبغة فلم أطل عليه الجلوس، فلما ان نهضت قال لي: صر إلي في غد ان شاء الله تعالى، فخرجت من عنده، وقلت ليحيى: أدخلتني على رجل يلبس المصبغات، وعزمت على أن لا أرجع اليه، ثم إني فكرت في أن رجوعي اليه غير ضائر، فصرت اليه في غد، فوجدت الباب مفتوحا ولم أر أحدا، فدخلت إليه فوجدته جالسا في بيت مطين على حصير من البردي، وعليه قميص كرابيس، وعنده يحيى، فقال لي، يا أبا خالد إني قريب العهد بعروس، وان الذي رأيت بالأمس من رأي المرأة، ولم أرد مخالفتها[٤].

***

وعندما كبر سنه ولم تمكنه قواه الجسمية من النساء، وكان عنده منهن، فكان يصارحهن في ذلك ولايغبن حقوقهن، حيث منهن من لها الرغبة في الرجال.

---

(١) الكافي، ج٥، ص٣٤٤.

(٢) بحار الانوار، ج٤٦، ص٢٦٥.

(٣) وسائل الشيعة، ج١٤، ص١٨٣ (كتاب النكاح، ابواب مقدماته وآدابه) باب ١٤١، ح١.

(٤) دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري، ص٩١.

عن علي بن الحسين عليه السلام، انه كان يدعو خدمه كل شهر ويقول: «اني كبرت ولا أقدر على النساء، فمن أراد منكن التزويج زوجتها، او البيع بعتها، أو العتق اعتقتها، فاذا قالت احداهن: لا، قال: اللهم اشهد حتى يقول ثلاثا، وان سكتت واحدة منهن، قال لنسائه: سلوها ما تريد، وعمل على مرادها»(١).

انها الواقعية والعدالة، نعم ان بمقدور الامام أن يستعين بقوى خارقة من أجل أن يمارس دور الرجولة، ولكن ليست الحياة كلها معاجز واستفادة من القوى الخارقة، وإيمان الامام وتقواه وورعه وحبه للعدالة هو الذي يدفعه لأن يتصرف بإنسانية الانسان المركب من حفنة التراب وما تفرزه من شهوة، وقبضة روحية تأخذ بالانسان نحو التحليق للسماء.

فكان للامام زين العابدين عليه السلام مربية هي التي احتضنته بعد وفاة أمه شهربان على النفاس، وهي إمرأة تحن للرجال وان خجلت مرة أو أخرى فليس هذا يعني أن الانوثة ماتت عندها والامام عليه السلام ما اعدله بأمر الله وما اتقاه في أمه هذه.

فقال لها: اذا كان في نفسك من هذا الأمر شيء فاتقي الله وأعلميني؟

فقالت: نعم، فزوجها(٢).

فهل هناك من إنسانية نبيلة أطهر وأتقى من هذه التي مارسها الامام زين العابدين عليه السلام؟ انها امرأة ولها انوثتها، ولكنها لم يُكتب لها ما أحل الله لها، وأي عظمة عند الامام عليه السلام انه يطلب منها أن تتقي الله وتقول الواقع فيحلّ مشكلتها.

***

الامام عليه السلام قائد ديني وامام، ووضعه لايسمح له ان يشعر الناس انه معوز محتاج ويلقي ذلك الضعف في نفوس شيعته وأتباعه، فكان يتصرف بما يعكس أنه سيد متمكن يده فوق الأيادي ويسخِّر ذلك في سبيل أهدافه النبيلة.

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص٣٠١.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج٢، ص١٢٨.

فكان في بيته (فرش ووسائد وأنماط)[١] يستفاد منها للضيوف والجلوس عليها، وقد تكون هي مهر لنسائه يشترين به هذا الأثاث ولكن بالتالي أن بيته لم يخلُ من هذه الأدوات.

***

وكان عليه السلام وهو في هذا الموقع يظهر في مظهر العز والوقار والملابس التي تليق بشأنه الاجتماعي ورمزيته، وقد تكون هذه الملابس غالية الثمن نسبيا ولم يمتنع الامام من شرائها ولبسها.

كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما يلبس الجبة الخز بخمسين دينارا والمطرف الخز بخمسين دينارا[٢].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال:

«كان علي بن الحسين عليه السلام يلبس في الشتاء الجبة الخز، والمطرف الخز، والقلنسوة الخز، فيشتوا فيه ويبيع المطرف في الصيف ويتصدق بثمنه»: ثم يقول: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ**﴾[٣].

وفي بعض الأوقات كان يتصدق بها ويرفض بيعها فكان يقال له انك تعطيها من لايعرف قيمتها بسبب كونها غالية الثمن[٤].

***

وكان يظهر عزه وعلو شأنه في المناسبات التي تتطلب من رجل مثله في الرمزية الاجتماعية والمقام الالهي والامامة الدينية بما يعزز موقعه الاجتماعي وكرامة نفسه ورفعة مكانته.

خرج عليه السلام وعليه مطرف خز فتعرض له سائل فتعلق بالمطرف فمضى -الامام- وتركه يأخذه عن طيب نفس.

(١) الكافي، ج٦، ص٤٧٧.
(٢) المصدر السابق، ص٤٤٩.
(٣) الاعراف ٣٢، الرواية عن: وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٤.
(٤) انظر: بحار الانوار، ج ٤٦، ص ٩٠.

عمد علي بن الحسين عليه السلام الى عبد له كان عبد الله بن جعفر أعطاه به عشرة آلاف درهم أو ألف دينار فأعتقه.(١)

مقابل عبد الله بن جعفر المعروف بالكرم والعطاء والذي يضرب به المثل يكون الامام عليه السلام قد أكرم ولكن بطريقة فيها الاحسان والأجر والثواب وهو اعتاق رقبة في سبيل الله.

كما انه عليه السلام كان اذا ركب تكون على دابته قطيفة حمراء(٢) وهي حالة يتعامل معها أصحاب الخير والمتطلعون للعزة والكرامة.

***

والامام عليه السلام -كأي انسان آخر- بدنه بحاجة الى أكل يتقوّى به على الحركة، والعبادة، والكلام. كما كانت له عائلة تتطلع الى أن تقدم له ما هو موجود في السوق من مواد غذائية تقوّي بدنه. وكان يأكل مما في السوق بالمستوى الاجتماعي الذي تعيشه عائلته في مجتمع المدينة المنورة واترابهم في وضع الرمزية، ليس تلذذا بالأكل والسعي وراء المشتهيات الخاصة، وانما هو المستوى الذي يتحرك فيه الامام عليه السلام أمام الآخرين.

فعندما جيء برأس عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد اليه كانت قد وصلت للتو فاكهة من الشام فأمر بتفريقها في المدينة المنورة ابتهاجا بهذه المناسبة.

وعندما كان يسافر إلى الحج والعمرة كان يتزود من أطيب الزاد من اللوز والسكر والسويق المحمض والمحلى(٣).

لأنه كان يسافر في قافلة الحجيج ومعه الخدم وعلماء المدينة وفقهائها حتى لايعرف موكب الامام بانه لازاد فيه ولايشم منه رائحة الخبز.

وفي احدى سفراته الى حج بيت الله الحرام عملت له اخته سكينة سفرة قيمتها ألف دينار- أي جهزته بمواد غذائية معدة للأكل ففرقها على أصحابه والفقراء الذين

(١) المصدر السابق، ص ٩٥، عن: حلية الأولياء، ج ٣، ص ١٣٦.
(٢) الكافي، ج٦، ص٥٤١.
(٣) بحار الانوار، ج ٤٦، ص ٧١، الحديث ٥٢.

يسايرونه الطريق[١].

وأتي له بعسل فشربه.

وكان علي بن الحسين عليه السلام يعجب بالعنب فدخل منه الى المدينة شيء حسن فاشترت منه ام ولده شيئا وأتته به عند إفطاره فأعجبه، فقبل ان يمد يده وقف بالباب سائل، فقال لها: احمليه إليه.

قالت: يا مولاي بعضه يكفيه.

قال: لا والله، وأرسله اليه كله.

فاشترت له من غد وأتت به فوقف السائل، ففعل مثل ذلك فأرسلت فاشترت له، وأتته به في الليلة الثالثة، ولم يأت سائل فأكل وقال: ما فاتنا منه شيء والحمد لله[٢].

***

كما إن الذوقية والجمالية كانت مشهودة في سلوك الامام عليه السلام حيث إن الامام عليه السلام كان يهتم بملابسه واستعماله للعطر الغالي بصورة مستمرة وفي مواضع معينة، وهذا السلوك الرفيع والذوق الايماني عند الامام عليه السلام يدل على أن الامام يعيش مستوى رفيعا من الحسّ والتقدير للجمالية والذوق، كان للامام عليه السلام قارورة مسك في مسجده فاذا دخل الى الصلاة أخذ منه وتمسح به[٣].

وان علي بن الحسين عليه السلام استقبله مولى له في ليلة باردة، وعليه جبة خز، ومطرف خز، وعمامة خز، وهو متغلف بالغالية[٤].

وواقعية سلوك الامام عليه السلام هذا يرفع النظرة الى أن الامام عليه السلام كان منكفأً عن الحياة وبعيداً عن رسم منهجية للعيش المتوازن للانسان المسلم في داخل الأمة.

***

(١) المصدر، ص ١١٤.
(٢) بحار الانوار، ج٤٦، ص٩٠.
(٣) الكافي، ج٦، ص٥١٥.
(٤) نفس المصدر، ص٥١٧.

والمعروف عن الامام زين العابدين عليه السلام كثرة عبادته وانقطاعه الى الله سبحانه، ومع ذلك فان الامام عليه السلام كانت قد تأخذه بعض المشاغل في النهار لخدمة عياله أو قضاء حوائجهم، أو اسداء خدمة لأحد من المؤمنين فلا يقدر على القيام بالنوافل النهارية، وهي حالة طبيعية حيث الانسان يتعرض إلى هذه المشاغل، وهي بلا اشكال في سبيل الله سبحانه، و هي بذاتها عبادة تقرب الانسان الى الله سبحانه حيث ورد في الروايات استحباب قطع الطواف لقضاء حاجة المؤمن[1].

وكان الامام عليه السلام يقضي ما انشغل عنه من نوافل النهار على الرغم من أن هذه النوافل هي مستحبة ولكن بالنسبة لأئمة أهل البيت عليهم السلام تعني شيئا آخر:

«كان عليه السلام يقضي مافاته من صلاة نافلة النهار في الليل ويقول: يا بني ليس هذا عليكم بواجب، ولكني أحب لكم اذا عودتم انفسكم عادة من الخير أن تداوموا عليها، وكان لايدع صلاة الليل في السفر والحضر»[2].

***

وبهذا الشكل كان سلوك الامام الحياتي وكانت تلك بعض مفرداته، وطبعا ان هذا السلوك فيه:

أولا: ان سلوك الامام في ملبسه ومأكله وعطائه ليس هو سلوك يومي ومنهاج ثابت خاضع لقانونية جامدة، وانما الذي يستفاد منه أن الامام كان يعيش سلوكه البشري مع الناس في أكثر حياته، ففي يوم يأكل العنب ويشرب العسل، وفي أيام يعزف عن ذلك أو لايجد منه شيئاً، أو أنه كان يلبس القطيفة الغالية الثمن في بعض الأحيان وفي أحيان أخرى كان يلبس الصوف ويقف بين يدي ربه.

وإنه انف عن اللحاق بالسائل واسترجاع ما أخذه منه كما بينا في فصل المستهزئين. ان هذا السلوك يخضع لعوامل ولنظرة الامام عليه السلام تجاه الأحداث فيتصرف حسب الظروف.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ٩، ص ٤٥٠.

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٢، ص٢٦٣.

ثانيا: إن اقتناء الامام عليه السلام للأكل والشرب الجيدين ليس مرتبطاً بان الامام عليه السلام نفسه يأكل أو يشرب من هذا الغذاء، فقد يكون الامام عليه السلام يشتري أو يحمل هذه الأنواع الجيدة ولكن يمنع نفسه منها، كما نقل سعيد بن المسيب عن صحبته للامام عليه السلام في موكب الحج حيث كان يقول يسقينا الامام عليه السلام السويق الحامض والحلو ويمنع نفسه منه[١] مثلما صنع في الغذاء الذي أهدته أياه سكينة بنت الامام الحسين عليه السلام والذي وزعه على أصحابه والفقراء ولم يأكل منه، أو أنه كان عليه السلام يتصدق بالسكر واللوز فسئل عن ذلك فكان يقول: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[٢] وكان يحبه[٣].

ثالثا: ان الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي يدفع الانسان الى أن يمارس سلوكا معينا في العزة والكرم والعطاء والبذل والاقتناء ونوعية القماش والزي الذي يلبسه الإنسان.

وقد عاش الامام عليه السلام في وقت تدفقت الأموال على المدينة المنورة وامتلأت بالإماء والعبيد، نتيجة الفتوحات التي حصلت في حكم عبد الملك بن مروان في شمال أفريقيا وأوروبا.

ومن جهة أخرى ان موقع المدينة المنورة وتركز احفاد رسول الله صلى الله عليه وآله وابناء الصحابة ورموز قريش فيها كان يتطلب أن يدفع لهؤلاء عطاءً وافرا يمكنهم من العيش السهل.

كما إن الثراء الذي أصاب الأمة نتيجة الفتوحات كان يصيب طبقة العلماء من الناس من هدايا وعطايا وكان هؤلاء العلماء في المدينة المنورة.

***

يتعرض المؤرخون إلى ظاهرتين في حياة الامام زين العابدين عليه السلام ويذكرون وقائع وقصصاً عنهما:

(١) بحار الانوار، ج ٤٦، ص ٣٧.
(٢) آل عمران، ٩٢.
(٣) بحار الانوار، ج٤٦، ص٨٩.

**الأولى**: تنكره وانفراده في زيارة قبر أبيه الحسين عليه السلام، وجده أمير المؤمنين عليه السلام وحج بيت الله الحرام، وكانت تظهر أمام الملأ عظمة الامام واعجازه وأنه كان يقدم الخدمة لحجاج بيت الله الحرام وهو في القافلة.

**الثانية**: كان يرفض ويتوقف في أخذ الامكانيات أو تقديم الخدمة والاحترام له باسم جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن خلال تسليط الضوء على ما نقل نحاول أن نفهم حقيقة ماكان وواقع الحال:

**أولا**: الانفراد والتنكّر في قوافل الحج، فقد ذكر ابراهيم بن أدهم وفتح الموصلي وقال كل واحد منهما:

كنت أسيح في البادية مع القافلة، فعرضت لي حاجة، فتنحيت عن القافلة فاذا أنا بصبي يمشي.

فقلت: سبحان الله بادية بيداء وصبي يمشي، فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام.

فقلت له: إلى أين؟ قال: أريد بيت ربي. فقلت: حبيبي إنك صغير ليس عليك فرض ولا سنّة. فقال: يا شيخ، مارأيتَ من هو أصغر سناً مني مات؟ فقلتُ: أين الزاد والراحلة؟ فقال: زادي تقواي، و راحلتي رجلاي، و قصدي مولاي. فقلتُ: ما أرى شيئاً من الطعام معك. فقال: يا شيخ، هل يستحسن أن يدعوك انسان إلى دعوة فتحمل من بيتك الطعام؟ قلتُ: لا. قال: الذي دعاني إلي بيته هو يطعمني و يسقيني. فقلت: ارفع رجلك حتى تدرك. فقال: عليّ الجهاد وعليه الإبلاغ. أما سمعت قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

قال: فبينا كذلك إذ أقبل شاب حسن الوجه، عليه ثياب بيض حسنة، فعانق الصبي وسلم عليه. فأقبلتُ على الشاب و قلتُ له: أسألك بالذي حسّن خلقك مَنْ هذا الصبي؟ فقال: أما تعرفه؟ هذا علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب. فتركتُ الشاب و أقبلتُ على الصبي، فقلت: أسألك بآبائك مَنْ هذا الشاب؟

فقال: اما تعرفه؟ هذا أخي الخضر يأتينا كل يوم فيسلم علينا[1].

(١) مناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٨٠.

والذي يظهر من الرواية ما يلي:

١ - ان الامام زين العابدين عليه السلام قام بالحج وهو قبل التكليف الشرعي حيث خاطبه الراوي انه ليس فرض ولا سنة.

وهذا يعني ان الامام عليه السلام كان في حياة أبيه الامام الحسين عليه السلام والمعروف إن الامام الحسين عليه السلام حج ماشيا مع أخيه الامام الحسن عليه السلام (٢٥) عاما والدواب تسير أمامهم قربة الى الله تعالى.

فاذا صحت حالة الصغر فهذا يعني أن الامام عليه السلام حج مع أبيه وعمه وسائر أهل بيته ماشيا.

وقد يحتمل أنه كان يمشي لوحده بعيدا عن موكب أهله ولم يُرِد أن يطلع الراوي على مسيرة الموكب.

ولكن الراوي هو الآخر كان يسير مع قافلة بني هاشم كذلك وكلاهما في طريق واحد باتجاه الحج كما هو واضح من الرواية وغبرة القافلة تُعرف من بعيد.

٢ - إن الخضر جاء وسلم على الامام عليه السلام، والظاهر أن الامام عليه السلام وهو صغير لم يبلغ التكليف الشرعي، أي أنه لم يكن إماماً بعد، ولا مطروح أنه أمام بعد أبيه، بل حسب الجمع والطرح أن الحدث وقع في حياة الامام الحسن عليه السلام حيث الامام الحسين بعد لم يطرح امامته وذلك أن الامام زين العابدين ولد عام (٣٨) للهجرة أي بقي مع عمه إلى سنة (٥٠ أو ٥١) أي عمره كان (١٣) سنه وهو العمر الذي يحتمل فيه عدم البلوغ الشرعي وان كان أقصى سن التكليف هو (١٥) سنة.

وعليه فان النبي الخضر عليه السلام كيف عرف ان هذا هو الامام الذي سيكون فيما بعد، ويقول الامام عليه السلام كما في الرواية أنه - أي الخضر - يأتي كل يوم يسلم على الامام عليه السلام، ومن الناحية الاعتقادية ممكن ان يطلع الله سبحانه الخضر على هذا الغيب ولكن المسافة بعيدة حيث الامام الحسن والحسين بعدُ احياء والمسافة الزمنية طويلة.

والذي يظهر أن مقطع صغر سن الامام فيه زيادة أو هو تصحيف، وان جسم الامام عليه السلام كان نحيفا صغيرا فقد يظهر للناظر أنه صغير العمر، وفي هذا الاتجاه ان هذه

السفرة للحج كانت في زمن امامة الامام السجاد عليه السلام وان النبي الخضر عليه السلام كان يتعهد الامام عليه السلام بصورة مستمرة للاستيناس والدفاع عنه كما عرضنا ذلك في واقعة الحرة حيث الخضر عليه السلام كان مع الامام [١] عليه السلام.

**ثانياً**: يقول حماد بن حبيب الكوفي القطان:

انقطعت عن القافلة عند زبالة -اسم موضع بطريق مكة- فلما أن جنَّ الليل أويت الى شجرة عالية[٢]، فلما اختلط الظلام اذا أنا بشاب قد أقبل عليه أطمار بيض يفوح منه رائحة المسك، فأخفيت نفسي ما استطعت فتهيأ للصلاة، ثم وثب قائما وهو يقول:

يا من حاز كل شيء جبروتا، ألج قلبي فرح الإقبال عليك، وألحقني بميدان المطيعين لك.

ثم دخل في الصلاة فلما رأيته وقد هدأت أعضاؤه، وسكنت حركاته، قمت الى الموضع الذي تهيأ فيه الى الصلاة، فاذا أنا بعين تنبع فتهيأت للصلاة ثم قمت خلفه فاذا بمحراب كأنه مثل في ذلك الوقت، فرأيته كلما مر بالآية التي فيها الوعد والوعيد يرددها بانتحاب وحنين، فلما ان تقشع الظلام، وثب قائما وهو يقول:

يا من قصده الضالون فأصابوه مرشدا، وأمّه الخائفون فوجدوه معقلا، ولجأ اليه العائذون فوجدوه موئلا. متى راحة من نصب لغيرك بدنه، ومتى فرح من قصد سواك بنيته، ألهي قد تقشع الظلام ولم اقض من حياض مناجاتك صدرا، صل على محمد وآل محمد، وافعل بي أوْلى الامرين بك يا أرحم الراحمين.

فخفت أن يفوتني شخصه، وان يخفى علي أمره، فتعلقت به، فقلت: بالذي اسقط عنك ملاك التعب، ومنحك شدة لذيذ الرهب، إلا ما لحقتني منك جناح رحمة وكنف رقة فاني ضال.

فقال: لو صدق توكلك ما كنت ضالا، ولكن اتبعني واقف أثري، فلما أن صار تحت الشجرة أخذ بيدي وتخيل لي أن الأرض تمتد من تحت قدمي فلما انفجر عمود

---

(١) راجع فصل (الامام وواقعة الحرة)، في الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) في رواية الخرايج والجرايح إنّ سبب الانقطاع هو هبوب ريح سوداء.

الصبح قال لي: ابشر فهذه مكة، فسمعت الضجة ورأيت الحجة (اي الحجاج).

فقلت له: بالذي ترجوه يوم الآزفة يوم الفاقة من أنت؟ فقال: اذا أقسمت فانا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[١].

أو انه عليه السلام كان يزور العراق حيث قبر أبيه الامام الحسين وقبر جده أمير المؤمنين عليه السلام وبقية المقدسات في مسجد الكوفة والسهلة.

فعن أبي حمزة الثمالي: أن علي بن الحسين عليه السلام أتى مسجد الكوفة عمدا من المدينة فصلى فيه أربع ركعات، ثم عاد حتى ركب راحلته وأخذ الطريق[٢].

وفي فصل امامة الامام [٣] عليه السلام تحدثنا أن الامام عليه السلام بعد عودته من كربلاء بني له بيت من الشعر خارج المدينة ومن هناك كان يذهب الى العراق لزيارة قبر أبيه.

***

والذي يتأمل هذه الروايات، ويقف عند روايات أخرى والتي تتحدث عن ان قراء المدينة وعلماءها كانوا لايخرجون الى الحج حتى يخرج الامام زين العابدين عليه السلام، وان عددهم كان يزيد على الألف، وفي بعض الروايات ان الناس كانوا لايخرجون من مكة حتى يخرج علي بن الحسين[٤] وانه كان يخرج مع سعيد بن المسيب أو غيره كما سننقل في عبادة الامام عليه السلام.

أقول: ان هذا السلوك كان للامام عليه السلام في بداية تصديه للامامة وهوالوقت الذي اختار فيه الانغزال عن الناس وسكن في خيمة خارج المدينة.

وقد يكون سبب هذا السلوك هوالوضع السياسي المهتز وفقدان الأمن كما هو معروف عن الحجاز حيث تعدد مراكز القوى، وقد يكون هناك سبب آخر هو فقدان الأنصار والأعوان كما بينا ذلك في الجزء الأول.

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٢٨٤.
(٢) بحار الانوار، ج٤٦، ص٦٥.
(٣) الجزء الأول من الكتاب للمؤلف.
(٤) المناقب، لابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٧٩.

لأن المعروف عن الامام بعد ذلك أنه أخذ موقع القيادة الدينية والرمزية الإجتماعية.

وأحاديث تزود الامام بالزاد والسويق وانه كان يطعم من معه في القافلة -كما بينا سابقا- تدل على ان الامام عليه السلام لم يحج لوحده.

والمشكلة في الروايات أنها لاتذكر الزمن الذي حدثت فيه هذه القصة، وانما يذكرونها مجردة عن ذلك، وعليه فانه من غير تحقيق يقع القارئ في تناقض حيث يقرأ شكلين لسلوك الامام عليه السلام في حركة واحدة، ولابد أنها في أزمان متعددة ولكن الرواة لايذكرون الزمن.

[٤]

# تنكّر الامام وعدم الأكل باسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وينقل عن الامام عليه السلام أنه كان اذا سافر فانه لايعرّف نفسه للقافلة التي يسافر معها بأنه علي بن الحسين عليه السلام[١].

وفي نقل آخر للرواة انه كان يشترط عليهم أن يكون من خدمة القافلة، وانه كان يقول: ماأكلتُ بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

عن الصادق عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام لايسافر إلا مع رفقة لايعرفونه، ويشترط عليهم أن يكون من خدم الرفقة، فيما يحتاجون اليه.

فسافر مرة مع قوم فرآه رجل فعرفه، فقال لهم: تدرون من هذا؟

قالوا: لا

قال: هذا علي بن الحسين عليه السلام، فوثبوا إليه فقبلوا يده ورجله.

وقالوا: يابن رسول الله أردت أن تُصلينا نار جهنم لو بدرت منا إليك يد أو لسان، أما كنا قد هلكنا إلى آخر الدهر؟ فما الذي يحملك على هذا؟

فقال: اني كنت سافرت مرة مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لا استحق، فاني أخاف ان تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحب الي[٣].

---

(١) انظر: بحار الانوار، ج ٤٦، ص ٩٣.
(٢) نفس المصدر.
(٣) عيون أخبار الرضا، ج١، ص ١٥٦.

وسُئل عليه السلام: اذا سافرت كتمت نفسك أهل الرفقة؟

فقال: أكره أن آخذ برسول الله ما لا اعطي مثله[١].

***

والذي يتدبر كلام الامام عليه السلام يفهم منه ان سبب عدم الاعلان عن شخصيته كابن رسول الله ﷺ حتى لايحسن الناس اليه في العطاء باعتباره ابن رسول الله ﷺ وعبارته: «لا أعطي مثله». أي لا اقدر أن أقابل هذا الاحسان باحسان في سلوكي تجاه الامة أو أقدم الخدمة لهم بالعطاء والاحسان.

واشتراطه أن يكون ضمن من يخدم القافلة هو إيجاد مساحة يحصل من خلالها على الأجر والثواب لخدمة المؤمنين، ولما كان أكثر سفر الامام الى أداء مناسك الحج أو العمرة أو زيارة قبر أبيه وجده، فالخدمة هي للشريحة المؤمنة حتى يشاركهم أجرهم كما في الروايات عن أهل بيت العصمة عليهم السلام.

والذي يظهر من تنكّره كما بينا آنفا أنه كان في المرحلة الأولى من امامته، والظاهر أن هذه كانت حيث الحجاز تحت تصرف ابن الزبير.

والامام عليه السلام بعد ذلك أصبح رمزا له من الاتباع والشيعة والتلاميذ والأعوان والعبيد ما مكنه أن يعرف في وسط الأمة، وأن واقعة مدح الفرزدق له عندما كان يطوف بالبيت الحرام وانشق الناس عنه حتى استلم الحجر الاسود في حين عجز عن ذلك هشام بن عبد الملك فان هذا يدل على معرفة الناس به.

والناس يحسنون إليه لانتسابه لرسول الله ﷺ، يظهر كان في المرحلة الأولى من حياته، حيث عرف عنه عليه السلام أنه كان يحسن للناس ويساعدهم ويهب الجوائز والهدايا ويعتق العبيد، ويمدهم بالمال ليدبروا معيشتهم بعد الاعتاق.

والاحسان الذي في الرواية السابقة لايعني العطاء والهدية التي لها قيمة عالية، لأن الكل في سفر والمسافر عادة يأخذ معه مالاً على قدر حاجته، فالاحسان كان جزئيا ولذلك عبر عنه الامام عليه السلام انه لايأكل بنسبه الى رسول الله ﷺ.

(١) مناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص٣٠٠.

ان كلمة الامام عليه السلام أنه لايقدر على أن يعطي مثله من الاحسان أو ما لا استحق، يفهم منها انه عليه السلام كان يريد أن يعلم الآخرين وإلا فان الامام عليه السلام هو في منتهى التقوى والايمان والاحسان، فكيف يعجز عن الاحسان، أو أنه لايستحق احسان الآخرين له.

خاصة اذا عرفنا ان الخمس قد اتفق الامامية على أنه يدفع الى ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم -على تفصيل- وقد جاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام حول آية الخمس أنه: ماكان لله فهو لرسوله، وماكان لرسول الله فهو لنا...[1]

فمن أحق من الامام زين العابدين عليه السلام بهذه الحقوق أو الهدايا؟

وعليه فانه عليه السلام عنى بذلك غيره أي الهاشميين أو آل أبي طالب أو العلويين، وخاصة ان الظروف السياسية والاقتصادية كانت سيئة بالنسبة اليهم في حقبة حكم ابن الزبير، وقصة ابن أم غانم التي نقلناها في امامة الامام زين العابدين[2] عليه السلام كانت تمثل مدى الحيف الذي كان يعيشه بنو هاشم عامة.

وكذلك المنازعات التي كانت بين الامام وأعمامه عمر وعبيدالله حول صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والامام علي عليه السلام تدل على الوضع الاقتصادي المتأزم.

ومن آل أبي طالب من التحق بعبيد الله بن الزبير وبايعه بعد ما قُتِل زيد بن الامام الحسن عليه السلام، بل وزوج أخته من عبد الله، وكذلك عمه عمر بن علي بن أبي طالب بايع عبد الله بن الزبير وبعده بايع الحجاج بن يوسف الثقفي، وعلي بن عبد الله بن العباس الذي التحق بعبد الملك بن مروان وغيرهم، وكل هؤلاء ينتسب بطريقة وأخرى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويريد أن يأكل ويعيش باسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وان امثال هؤلاء لايستحقون ولايقدرون على رد الاحسان، ولهم عنى الامام بالمقال.

---

(١) وسائل اشيعة، ج ٦، ص ٣٣٨.

(٢) كان غانم أبن أم غانم قد جاء المدينة وهو يسأل عن علي الهاشمي من دون ذكر اسم الأب فاعتقد شباب بني هاشم انه يحمل مالا فأخذوه الى علي بن عبد الله بن العباس وضربوه وأخذوا منه خاتماً كان معه. (مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٢٧٨).

ان حق السادة هو نصيب أبناء رسول الله ﷺ [١].

ولكن ابن رسول الله ﷺ يجب أن يكون بحق ابن رسول الله في سلوكه وتعامله والتزامه الديني ومواظبته على تأدية الفرائض الدينية والابتعاد عن المنكرات والمحرمات.

اما انه ينتسب الى رسول الله ﷺ وقت الحصول على المال، والحصول على الامكانيات باسم صاحب الرسالة، فان هذا ما رفضه الامام زين العابدين عليه السلام وترفضه الشريعة.

أو التدليل على أني ابن رسول الله ﷺ ويجب على الأمة أن تدفع لي الامكانيات، ان هذه المطالبة- الجرباء- قد يستفاد منها البعض سلبيا في التشهير في آل الرسالة لأن البعض يسيء في تصرفه، أو هو سيء السلوك والتعامل ولايقف عند حدود الله سبحانه ويطالب من الأمة احترامه وتقديره لأنه ينتسب الى صاحب الرسالة.

ان رسالة الامام عليه السلام كانت الى هؤلاء جميعا، والا فانه امام وزين العابدين وسيد الساجدين وأبو الائمة وآدم بني الحسين عليهم السلام.

---

(١) راجع الكتب الفقهية باب الخمس.

## الفصل الرابع

# الامام والحركة الإجتماعية

١ - عقبات في طريق الامام
٢ - الامام وتوسيع العلاقات الإجتماعية
٣ - الامام وشيعته
٤ - أخلاقية الامام
٥ - أدب الامام
٦ - الامام وضيوفه
٧ - الامام وحركة الأمة
٨ - الامام والموالي

[١]

# عقبات في طريق الامام

وقفت أمام السجاد عليه السلام في حركته الاجتماعية عدة عقبات يمكن إجمالها كالآتي:

**أولاً: نتائج واقعة الطف**

خرج الامام زين العابدين عليه السلام من كربلاء، وهو مثقل بمشاعر الوحدة حيث فقدان الأب والأعمام والأخوان والعشيرة الذين حصدهم الحقد الأموي وصفَّتهم الحسابات الجاهلية التي عبر عنها يزيد بـ: «يوم كيوم بدر»(١) أو قول أصحاب عمر بن سعد للامام الحسين عليه السلام: «نقاتلك بغضاً لأبيك وما فعل بأشياخنا يوم بدر وحنين»(٢) وقد ذاق هذا البغض سلالة النبيين.

كما آذاه الفراق والمعركة ومنظر الأشلاء والسبايا التي لم تفارق ذكريات الامام زين العابدين الى آخر أيامه.

وفقد أهل البيت من الرجال، يعني فقدان أدوات التحرك والعمل، حيث طبيعة أي تحرك بحاجة الى رجال يحيطون بالانسان ويتحركون معه وينفذون أوامره كما أن البقية الباقية من آل هاشم لم تكن على انسجام تام مع الامام زين العابدين عليه السلام حيث ظهرت منهم بوادر اساءة للامام عليه السلام من علي بن عبد الله بن العباس(٣) وكذلك الحسن بن الامام الحسن عليه السلام(٤).

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٢٢٩.

(٢) موسوعة كلمات الامام الحسين، ص ٥٩٣.

(٣) راجع الجزء الاول فصل إمامة زين العابدين عليه السلام.

(٤) وهذه بدورها تضع عقبة في مسيرة الانطلاق والتحرك.

## ثانياً: الارهاب

تدهورت الحالة الأمنية في العراق والمدينة المنورة بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام بشكل ملفت للنظر وحدثت مجموعة من الاحداث التي غيرت مجرى التاريخ وأصبحت دروسا تقرأ في المدارس.

ففي المدينة المنورة عاش الامام عليه السلام أحداث ثورة المدينة المنورة (الحَرة) والارهاب الذي كان قبلها وبعدها والذي تشمئز منه النفوس.

ولم تنتهِ أحداث الحرة حتى سيطر عبد الله بن الزبير على المدينة المنورة وبدأ يطارد معارضيه بما فيهم أهل بيته[1] وخلق جواً من الارهاب حتى عبر عنه الامام زين العابدين عليه السلام في حديثه مع النبي الخضر[2].

وما انتهت سلطة عبد الله بن الزبير حتى جاء الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على المدينة المنورة وبدأ يمارس جوره وارهابه وألفاظه البذيئة ضد أهل المدينة والمدينة المنورة نفسها.

ووصل الأمر به أن كتب الى عبد الملك بن مروان ينصحه في تصفية الامام زين العابدين عليه السلام[3].

وقد تراجع عبد الملك بن مروان عن قتل الامام زين العابدين عليه السلام ولكنه وضعه تحت الرقابة المستمرة حيث كان يكتب له بصورة مستمرة عن حياة الامام عليه السلام[4].

واستمرت هذه الحالة ضد أهل المدينة بصورة عامة وضد آل أبي طالب خاصة من قبل الولاة الذين تعاقبوا على ادارة المدينة المنورة حتى وصل الأمر الى الوليد حيث عزل هشام بن اسماعيل المخزومي وأوقفه ليقدم كل من له شكوى ضده، وكان أخوف ما يكون من أن يقدم الامام زين العابدين شكواه ضده لكثرة ما أساء الى الامام وأهل بيته،

---

(١) -راجع فصل ثورة عبد الله بن الزبير.
(٢) راجع فصل الامام زين العابدين وثورة المدينة.
(٣) راجع فصل الامام زين العابدين وحكام عصره.
(٤) المصدر السابق.

ولكن الامام عفى عنه ومما دفعه وهو الأموي الحاقد أن يقول (الله اعلم حيث يجعل رسالته) هذا فضلا عن اعتقال الامام وتسييره من المدينة الى الشام وهو مكبل بالأغلال.

وطبيعة الارهاب تحبس الانسان داخلياً في نفسه حيث تجعله يفكر في سلامة وأمن نفسه فضلاً عن أن يتحرك ويوسع قاعدته الشيعية.

## ثالثاً: الفساد الإجتماعي

عندما هلك معاوية وجاء ابنه يزيد الى الحكم لم يكن ليعبأ بالأمة ودينها وأخلاقها، فكان يمارس الفجور على رؤوس الأشهاد، وذهب البعض الى أنه كان تاركا للصلاة المكتوبة بشكل عام.[١]

وكان يزيد صاحب شراب فأحس معاوية بذلك فأحب أن يعظه في رفق فقال: يا بني ما أقدرك على أن تصل الى حاجتك من غير تهتك يذهب بمروءَتك وقدرتك ويشمت بك عدوك ويسيء بك صديقك ثم قال له يا بني:

انصب نهارا في طلاب العلى ... واصبر على هجر الحبيب القريب
حتى اذا الليل أتى بالدُّجى ... واكتحلت بالغمض عين الرقيب
فباشر الليل بما تشتهي ... فانما الليل نهار الأريب
كم فاسق تحسبه ناسكا ... قد باشر الليل بأمر عجيب
غطى عليه الليل أستاره ... فبات في أمن وعيش خصيب
ولذة الأحمق مكشوفة ... يسعى بها كل عدو مريب[٢]

واذا كان يزيد بن معاوية الحاكم الاول هذه سيرته فكيف بالولاة، لذلك أجمع المؤرخون على أن حالة الانحطاط الخلقي وصلت الى ذروتها في المدينة المنورة من غناء وطرب وشرب خمر وكل ذلك ترعاه السلطة ويتم تحت نظرها.

***

وبعد ان انتهت حركة مصعب بن الزبير في العراق وعبد الله بن الزبير في الحجاز

(١) العقدة القرشية في حركة احداث التاريخ، ص٨٠، لعبد الزهرة عثمان محمد.
(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨، ص ٢٥٠.

عاش الوضع السياسي استقراراً مشهوداً، وان كانت تعكر اجواءه حركة اهل العراق برمزية عبد الرحمن بن الاشعث ولكن الجو عموماً كان مستقراً وخاصة في الحجاز، يضاف الى ذلك الثراء الذي تدفق على الدولة الاسلامية نتيجة الفتوحات الاسلامية -كما اشرنا الى ذلك- فتوجه اصحاب رؤوس الاموال الى الترف وافترق الترف في هذه الفترة عن الترف الذي كان في زمن عثمان بن عفان، فقد تدفق المال على الدولة الاسلامية في حياة عثمان بن عفان من الفتوحات الجزئية في شمال افريقيا وفارس واصبح كبار الصحابة من الملاكين الكبار حيث جمعوا الذهب والاماء وبنوا القصور وجمعوا المواشي[١].

من امثال الزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله ومروان بن الحكم ولكن لم يعرف عن هؤلاء انهم استفادوا من رفاههم انهم احتفظوا بالغواني والراقصات او انهم سمحوا لهذا اللون من السلوك ان ينتشر في المدينة المنورة.

ولكن الثراء الذي تمتعت به الطبقات الراقية في المجتمع في زمن عبد الملك وابنه الوليد بن عبد الملك انساب الى ان يستثمر في هذا اللون من السلوك والتجارة به حتى اصبح امرا طبيعياً وشاع صيته في وسط الامة حتى إن صاحب الاغاني ينقل اوضاعاً من الحفلات الجماعية الماجنة.

وكذلك اشتركت بعض بنات رموز الصحابة في هذه العروض بل بعضهن كن حاسرات الوجه لتعرض جمال وجهها على الناس مثل عائشة بنت طلحة وانها كانت تسمر مع الرجال وتتحدث معهم من دون حاجز[٢].

وقد نقل الزبير بن بكار قصة فيها دلالة واضحة على مدى حالة الانحراف الخلقي والفساد وقال:

كان مصعب من أشد الناس اعجاباً بعائشة بنت طلحة ولم يكن لها شبه في زمانها حسناً ودماثة وجمالاً وهيئة ومتانة وعفة، وانها دعت يوماً نسوة من قريش فلما جئنها اجلستهن في مجلس قد نضد فيه الريحان والفواكه والطيب المهجد وخلعت على كل امرأة

(١) تاريخ الإسلام، حسن ابراهيم، ج١، ص٥٤٧.
(٢) راجع: مروج الذهب، خلافه عثمان بن عفان.

منهن خلعة تامة من الوشي والخز ونحوهما ودعت عزة الميلاء ففعلت بها مثل ذلك واضعفت ثم قالت لعزة هاتي يا عزة فغنينا فغنتهن في شعر أمريء القيس:

وثغر أغر شتيت النبات لذيذ المقبل والمبتسم
وما ذقته غير ظن به وبالظن يقضي عليك الحكم

وكان مصعب قريباً منهن ومعه اخوان له فقام فانتقل حتى دنا منهن والستور مسبلة، فصاح يا هذه انا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت، فبارك الله فيك يا عزة، ثم أرسل الى عائشة أما أنت فلا سبيل لنا إليك مع من عندك، وأما عزة فتأذنين لها أن تغنينا هذا الصوت ثم تعود اليك ففعلت وخرجت عزة اليه فغنته هذا الصوت مراراً وكاد مصعب ان يذهب عقله فرحاً ثم قال لها يا عزة انك لتحسنين القول والوصف وأمرها بالعود الى مجلسها وتحدث ساعة مع القوم ثم تفرقوا.(١)

كما نقل الزبير بن بكار قصة أخرى فيها دلالة واضحة على مدى حالة الانحراف الخلقي والفساد، قال:

قدم عثمان بن حيان المري المدينة والياً عليها وقال له قوم من وجوه الناس: انك قد وليت على كثرة من الفساد، فان كنت تريد أن تصلح فطهِّرها من الغناء والزنا، فصاح في ذلك وأجل أهلها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة، وكان إبن أبي عتيق غائباً وكان من أهل الفضل والعفاف والصلاح، فلما كان آخر ليلة من الاجل قدم فقال: لا أدخل منزلي حتى أدخل على سلامة النفس، فدخل عليها، فقال ما دخلت منزلي حتى جئتكم اسلم عليكم قالوا ما أغفلك عن أمرنا وأخبروه الخبر فقال:

اصبروا الى الليلة، فقالوا: نخاف أن لا يمكنك شيء وتنكص، قال: إن خفتم شيئاً فاخرجوا في السحر، ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حيان فأذن له فسلم عليه وذكر له غيبة وانه جاءه ليقضي حقه جزاه خيراً على ما فعل من اخراج أهل الغناء والزنا، وقال أرجو أن لا تكون عملت عملاً هو خير لك من ذلك، قال عثمان: قد فعلت ذلك وأشار به علي أصحابك، فقال: قد أصبحت ولكن ما تقول أمتع الله بك في امرأة كانت هذه صناعتها وكانت تكره على ذلك ثم تركته وأقبلت على الصلاة والصيام والخير، وأتى

(١) الاغاني، ج٨، ص٥٧.

رسولها اليك تقول: أتوجه اليك وأعوذ بك أن تخرجني من جوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومجده، قال فاني أدعها لك ولكلامك، قال ابن ابي عتيق لايدعك الناس، ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنظر اليها، فان رايت أن شأنها ينبغي أن تترك تركتها، قال: نعم، فجاء بها وقال لها اجعلي معك سبحة وتخشعي ففعلت، فلما دخلت على عثمان حدثته وإذا هي أعلم الناس بالناس، وأعجب بها وحدثته عن آبائه وامورهم ففكه لذلك، فقال لها إبن أبي عتيق: اقرأي للامير. فقرأت له. فقال لها: إحدئي له. ففعلت فكثر تعجبه، فقال: كيف لو سمعتها في صناعتها؟ لم يزل ينزله شيئاً شيئاً حتى أمرها بالغناء. فقال لها ابن أبي عتيق: غني فغنت:

سددن خصاص الخيم لما دخلنه بكل لبان واضح وجبين

فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها، ثم قال: لا والله ما مثل هذا يخرج ابن أبي عتيق، لا يدعك الناس يقولون: أبقى سلامة وأخرج غيرها، قال: فدعوهم جميعاً، فتركوهم جميعاً[1].

ومثل هكذا جو بعيد عن الحالة الايمانية يصعب فيه اقامة علاقات اجتماعية وتمتين الروابط مع الناس على اسس ايمانية، فالامام عليه السلام منهمك في جو ايماني مفعم بالروحانية، والناس تعيش جواً من الانحراف الرسمي.

---

(١) المصدر، ص١٠.

## [٢]

# الامام وتوسيع العلاقات الإجتماعية

وقد تكون هناك عوامل اخرى تضعف الحركة الإجتماعية، ولكن الامام عليه السلام مع كل ذلك تمكن من إقامة أفضل العلاقات الاجتماعية وتوسيع روابطه مع الأمة وبسط نفوذه في وسط الجماهير حتى أضحى الرمز الأول في المدينة المنورة ويشار اليه بالبنان.

ويعود ذلك الى أن الامام عليه السلام:

١- كان يحمل رسالة لابدله أن يؤديها في الأمة، وحامل الرسالة يبحث عن أي طريق ممكن يمرر عمله من خلاله ولاتقف دونه أي عقبة بل إنه ينحاز عن العقبات ويسعى نحو هدفه.

والامام زين العابدين عليه السلام حجة الله على خلقه وخليفته في أرضه له رسالة لابد ان يوصلها للأمة بالطرق المناسبة، وقد حملته رسالته مسؤولية توسيع القاعدة والبحث عن العناصر الطيبة في المجتمع والارتباط بها ومد الجسور من خلال ما يمكن الوصل بالجماهير عبرها.

نعم اذا كان الامام لايحمل رسالة وليس عليه مسؤولية والظروف بهذا الشكل المتعب أمنياً واجتماعياً فانه يجلس في داره ويغلق عليه الباب وبذلك يكون بعيداً عن هذه الأجواء كما يفعل الكثير من العلماء الذين لايحسون بالمسؤولية ولايحملون أي مشروع لأنفسهم أو لأمتهم أو أن يقال أنهم حملوا مشروعاً وفشلوا فأصبحوا جليسي الدار.

٢- لايمكن القول اطلاقاً بان التسديد الالهي غائب عن مسيرة الامام عليه السلام، ففي كل خطوة هداية ربانية ولطف الهي ومباركة لسعي الامام الايماني حيث (عبدي

منك الحركة ومني البركة).

وفي اللحظات الصعبة والعسيرة في حياة الامام كانت التسديدات الالهية واضحة في انقاذ الامام عليه السلام وابعاد الخطر عنه، وأولها كربلاء وفي الشام وفي واقعة الحرة وسلطة عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك.

مضافاً الى المعاجز التي منح الله سبحانه القدرة للامام في انجازها ومكّنت الامام من أدائها امام الملأ وفي أدق وأصعب الظروف هي من التسديد الالهي للامام عليه السلام.

٣- ان الله سبحانه وتعالى هو وحده الذي بيده كل مقادير الأمور ومفاتيح الحركة، ولم يعطها كلها يوماً بيد احد من جهة، فضلاً عن انه سبحانه قد أمر بالدعاء من جهة اخرى وانه وعد بالاستجابة. وفي الظروف الصعبة والمتعرجة والدقيقة يتوجه العبد الى ربه الذي ينقذه مما هو فيه من شدة ويفتح له باب فرج ويخرج من قبضة الطغاة سالماً، ثم إنّ الطغاة بشر محدودوا القدرة ويتأثرون بعوامل معينة إن لم تكن عوامل خير وإنسانية وعاطفية وصلة رحم فانهم يخضعون لعوامل أخرى تغير رأيهم في الأحداث، وعليه فان آراءَهم يمكن أن تتغير، ومواقفهم يمكن أن تتبدل.

ومن ذلك نفهم ان بالأمكان عمل شيء على الرغم من كل ظروف الارهاب، والامام زين العابدين عليه السلام بقدراته الذاتية وبتوجهه في الدعاء الى الله تمكن من الخروج بسلام من ارهاب الحكومة واتبع حسب الظروف التي كان يعيشها آنذاك طريقا مكنه من اقامة وتوسيع قاعدته الاجتماعية وايجاد أيادي عاملة معه.

## توسيع القاعدة الإجتماعية

والتكتيك الذي اتبعه الامام عليه السلام يخضع لمعادلات الزمان والمكان. ولعل الدعاء، وشراء العبيد من أفضل الوسائل التي مكنت الامام من ايجاد المادة البشرية بتثقيفهم واطلاق سراحهم حتى شكلوا قاعدة ملأت شوارع المدينة، وعندما كان يتعرض للامام متعرض يثور العبيد تأيداً للامام عليه السلام.

ان تطوير أساليب العمل هو من الوعي والشعور بالمسؤولية الذي يجب أن يتحلى به العاملون، ولا يجمدوا أنفسهم على نوع معين من العمل بحيث اذا تعطل توقفت

مسيرة العمل، ولابد هنا من اختيار وسائل أخرى تمكنهم من أداء دورهم ويصب جهدهم في نفس المسيرة.

ومن هنا مارس الامام عليه السلام عدة نشاطات بعضها أكمل البعض الآخر وتممه حتى وصل الى رمزية الأمة وقيادتها الروحية، والدائرة الأولى التي مارس فيها الامام دوره الاجتماعي باعتباره رمز أهل بيت النبوة والمتصدي للامامة هم أهل بيته، إنهم الدائرة الأولى الذين اصابهم الضرر بسبب مواقف أهل البيت عليهم السلام وهم أقاربهم المحيطون بهم وخاصة الذين تضرروا يوم كربلاء حيث صفتهم الأيادي الأموية.

وغير التصفية الجسدية كان الحصار الاقتصادي الذي ضربه عليهم معاوية بن أبي سفيان واستمر عليه ابنه يزيد.

## تفقّد الأقارب

ولذلك كان من الطبيعي أن يتفقد الامام زين العابدين عليه السلام أقاربه ويقدم لهم ما يتمكن عليه حتى يكونوا في السراء والضراء معا.

فقدنقل المؤرخون ان ما كان يصل للامام زين العابدين عليه السلام من هبات وهدايا من المختار بن أبي عبيدة الثقفي كان الامام يصل بها هذه الدائرة الأولى وخاصة ابناء عقيل حيث يبني دورهم التي هدمت أو أكل عليها الدهر، ويزوج أبناءَهم وبناتهم.

وقد عملت الظروف السلبية عملها ضد بني هاشم في الحصار والتضييق وأثرت في نفسية البعض مما خلق حالة سلبية تجاه الامام عليه السلام وهي حالة غير طبيعية، ولكن الامام بصدره الواسع وحلمه وتوفيق الله له في تسديد خطاه كان يتجاوز هذه الحالات ويتواصل مع أبناء عمه ويقدم لهم ما يتمكن من مساعدة مالية أو حسن خلق أو دعاء يصلح حالهم وينجيهم مما هم فيه من شدة، وهذا التصرف منهم تجاه الامام كان بسبب الظروف التي حاصرتهم سياسيا وأجتماعيا واقتصاديا، وليس الجميع من يملك الصبر والحلم كما عند الامام عليه السلام ولذلك كانوا يتلاومون فيما بينهم.

ومن جهة ثانية فان الامام كان أحسنهم حالا في الوجاهة الاجتماعية وفيما يصل اليه من هدايا وحقوق مما كان يثير في نفوسهم بدل الغبطة الحسد.

وهذه حالة طبيعية في المجتمع البشري، فكان عليه السلام يتواصل مع الذين جمدوا علاقتهم معه بالسر: «كان له ابن عم يأتيه بالليل متنكرا فيناوله شيئا من الدنانير فيقول: لكن علي بن الحسين لا يواصلني لا جزاه الله عني خيرا، فيسمع ذلك ويحتمل ويصبر عليه ولا يعرفه بنفسه»[١].

فلما مات علي عليه السلام فقدها، وحينئذ علم ان الذي كان يصله هو فذهب لقبره وبكى عليه»[٢].

وفي نفس الاتجاه كان الحسن المثنى يحمل شعورا فيه نوعٌ من الفتور تجاه الامام عليه السلام في فترة معينة، فوقف مرة أمام علي بن الحسين فأخذ يشتمه، ولكن الامام لم يكلمه، فلما انصرف قال لجلسائه:

لقد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أحب أن تبلغوا معي اليه حتى تسمعوا مني ردي عليه.

فقالوا له: نفعل، ولقد كنا نحب أن نقول له ويقول.

فأخذ نعليه ومشى وهو يقول: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٣]. فعلمنا أنه لا يقول له شيئا.

قال: فخرجنا حتى أتى منزل الرجل فصرخ به فقال:

قولوا له هذا علي بن الحسين. قال: فخرج إلينا متوثبا للشر وهو لا يشك انه انما جاء مكافئا له على بعض ما كان منه.

فقال له علي بن الحسين: يا أخي إنك كنت قد وقفت علي آنفاً فقلتَ وقلتَ، فان كنتَ قلتَ ما فيَّ فأستغفر الله منه، وان كنتَ قلتَ ما ليس فيَّ فغفر الله لك.

قال: فقبَّل الرجل بين عينيه وقال: بل قلتُ فيك ما ليس فيك وأنا أحق به[٤].

(١) بحار الانوار، ج ٤٦، ص ١٠٠.
(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة، حياة الامام السجاد، ج٢، ص٣٠٣.
(٣) آل عمران، ١٣٤.
(٤) الإرشاد، للشيخ المفيد، ج٢، ص ١٤٦.

وكان له موقف ايجابي مع ابن عم آخر هو محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، حيث انه على الرغم من أن عمر بن علي قد أساء الى الامام عليه السلام وأوصل الأمر الى الطاغية عبد الملك ولما رده عبد الملك وأعطى الحق للامام زين العابدين عليه السلام كذلك لم يسلم الامام من لسان عمه حيث تناوله وآذاه، ولكن الامام لم يرد عليه بشيء وبعد ذلك دخل محمد بن عمر على علي بن الحسين عليه السلام فسلم عليه وأكب عليه يقبله فقال علي: «يا ابن عم لاتمنعني قطيعة أبيك أن أصل رحمك فقد زوجتك ابنتي خديجة ابنة علي»[١].

## الدفاع عن آل أبي طالب

وعندما اشتدت الظروف السياسية على بني هاشم وبالذات على آل أبي طالب كانت لهم أصوات ترتفع فيوصل الوشاة الأمر مع الأضافة السيئة الى الولاة فَيُعتقلون ويُضربون.

وكان من هؤلاء الحسن المثنى بن الامام الحسن عليه السلام حيث اعتقله صالح بن عبد الله المري والي المدينة في زمن الوليد بن عبد الملك وأراد ضربه خمسمائة سوط ولكن الامام عليه السلام لحق به وعلمه دعاء قرأه ففرج الله تعالى عنه.

كتب الوليد بن عبد الملك الى صالح بن عبد الله المري عامله على المدينة: أَبرز الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب -وكان محبوسا في حبسه- واضربه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسمائة سوط.

فأخرجه صالح الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح المنبر يقرأ عليهم الكتاب، ثم ينزل فيأمر بضرب الحسن، فبينما هو يقرأ الكتاب اذ دخل علي بن الحسين عليه السلام فأفرج الناس عنه حتى انتهى الى الحسن فقال له: يا ابن عم ادع الله بدعاء الكرب يفرج عنك.

فقال: ما هو يا ابن عم؟ فقال: قل (وذكر الدعاء).

قال: وانصرف علي بن الحسين عليه السلام وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل، قال: أرى سجية رجل مظلوم. أخروا أمره وأنا أراجع أمير المؤمنين

(١) مناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص٣٠٨.

فيه، وكتب صالح الى الوليد في ذلك فكتب اليه: أطلقه[١].

وكان الامام يبادر الى الوقوف بجانب أبناء عمه في محنهم بما يمكنه من حل مشاكلهم وقضاء حوائجهم وتكفلهم عندما يعجزون.

فقد احتضر عبد الله فاجتمع غرماؤه فطالبوه بدين لهم فقال: لامال عندي أعطيكم، ولكن أرضوا بمن شئتم من ابني عمي علي بن الحسين وعبد الله بن جعفر.

فقال الغرماء: عبد الله بن جعفر مليّ مطول، وعلي بن الحسين رجل لامال له ولكنه صدوق فهو أحب إلينا، فأرسل إليه فأخبره الخبر، فقال عليه السلام أضمن لكم المال الى الغلة ولم تكن له غلة.

قال: فقال القوم: قد رضينا وضمنه فلما أتت الغلة أتاح الله له المال فأوفاه[٢].

والظاهر إن عبد الله المقصود به هو عبد الله بن العباس لأن اسم عبد الله المعروف هو عبد الله بن العباس.

وليس هناك ابن عم للامام بهذا الإسم ومعروف غير عبد الله بن العباس لان الاسم الآخر هو عبد الله بن جعفر واسمه في الرواية موجود.

## العلاقة مع الرموز والوجهاء

وعندما ننتقل الى الدائرة الثانية أي الذين لهم علاقة بالامام عليه السلام من رموز الأمة ووجهائها أو تلامذته وأصحابه نجد نفس الحالة عند الامام من التوجه الى حل مشاكلهم ومساعدتهم وتقديم ما يمكن تقديمه لهم، وهي ليست أكثر من قضاء حاجة وتسهيل أمر، وهذا ما يرضي الله سبحانه، وكذلك صحيح إن تقديم المساعدة وقضاء الحوائج هو بمثابة تقديم عطاء يساعد على تمتين الروابط ويعطي انطباعا عن مصداقية وقوف الانسان الى جانب الانسان في أوقات المحنة والشدة، ولكن ليس له علاقة بالإنتماء العملي والفكري.

(١) مهج الدعوات، ص٣٣١.

(٢) الكافي، ج٥، ص٩٧ ،وكذلك ابن شهر آشوب في المناقب، ج٣، ص٣٠١.

حيث تلك مساحات لاينتمي اليها الانسان الا بعد قناعة واطمئنان، لأن الرمز أو القائد في بعض الأحيان لايتمكن من أداء خدمة أو تسهيل أمر، اما للأوضاع الاقتصادية الضعيفة أو لضعف الوجاهة. أو أن هناك معوقات سياسية تحول دون فعل شيء، أو ان المصلحة السياسية تقتضي عدم الدخول في عمل شيء.

ولذلك فان هذا لايؤثر سلبا على العلاقة مع العمل والانتماء الفكري.

وتاريخنا الإسلامي حفظ لنا النوعين حيث سجل أسماء أولئك الذين قاتلوا من أجل زيتون أو تين الشام وخراج مصر أمثال معاوية بن أبي سفيان أو عمرو بن العاص أو الذين صمدوا في محنهم فكان يشاهدهم رسول الله ﷺ وهم يذوقون العذاب ويقول لهم: «صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة»[١].

أو جون مولى أبي ذر الذي كان مع الامام الحسين عليه السلام في كربلاء حيث سمح له الامام بترك ساحة المعركة والذهاب الى حيث يريد وقال له:

«أنت في إذن مني، فانما تبعتنا طلبا للعافية» فرد عليه جون وقال له: «أنا في الرخاء الحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم». ورفض ترك المعركة واستشهد بين يدي الامام عليه السلام[٢].

وهؤلاء أصبحوا رمز الخير وأعلام الدين والمناقب، وأولئك أضحوا أتباع الهوى والشيطان ويضرب بهم المثل في الشر والنفاق.

***

وهكذا نرى وقوف الامام زين العابدين عليه السلام في محنة من يعرفهم وقدم لهم ما يمكنه، وكان عند حسن ظنهم به من رمزية اجتماعية وموقع الهي.

فقد نُقِل انه لما حضرت محمد بن اسامة بن زيد الوفاة دخل عليه بنو هاشم فقال لهم: «قد عرفتم قرابتي ومنزلتي منكم، وعَليَّ دين فأحب أن تضمنوه عني».

فقال علي بن الحسين عليه السلام: «اما والله ثلث دَيْنك علي، ثم سكت وسكتوا».

---

(١) الغدير، الشيخ الأميني، ج٩، ص٢٠.

(٢) مناقب من الطف، للمؤلف، عن: بحار الانوار، ج٤٥، ص ٢٢.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: «عليّ دينك كله» ثم قال علي بن الحسين: «اما انه لم يمنعني أن أضمنه أولاً إلاّ كراهة أن تقولوا سبقنا»[١].

وكانت إمرأة من شيعة آل البيت معروفة قد أصابها وضح في وجهها -أي البرص- فوضع يده عليها فذهب.

قالت ثم قال: «يا حبابة ما على ملة ابراهيم غيرنا وغير شيعتنا وسائر الناس منها براء»[٢].

وكان الامام السجاد عليه السلام له اهتمامه الخاص بأصحابه والمقربين منه، وهم من الملتزمين وأهل العبادة والدين حيث تصيبهم مشاكل الحياة ودواهي الدهر وهم صابرون حامدون على ولائهم واعتقادهم فيتحرك الامام في حل مشاكلهم لتمشية أمورهم مادام يتمكن من ذلك وهم أهل لذلك حيث الصمود والصبر والاستقامة ظاهرة على سلوكهم.

فقد نقل أهل السير عن أبي خالد الكابلي الذي خدم الامام ثلاثة عقود من الزمن وكانت له أم يريد أن يزورها ولكن قلة ما في اليد تمنعه من ذلك ووصلت هذه الرغبة الى الامام عليه السلام فسهل الامام له هذه المهمة بالطريقة التالية:

شكى أبو خالد الكابلي الى الامام زين العابدين عليه السلام شدة شوقه الى والدته وسأله الاذن في الخروج اليها.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «يا كنكر إنه يقدم علينا غداً رجل من أهل الشام له قدر وجاه ومال وابنة له قد أصابها عارض من الجن وهو يطلب معالجاً يعالجها ويبذل في ذلك ماله، فاذا قدم فصر اليه أول الناس وقل له أنا أعالج ابنتك بعشرة آلاف درهم فانه يطمئن الى قولك ويبذل في ذلك» فلما كان من الغد قدم الشامي ومعه ابنته وطلب معالجاً فقال ابو خالد: أنا أعالجها على أن تعطيني عشرة آلاف درهم، فان أنتم وفيتم وفيت على أن لايعود اليها أبداً فضمن أبوها له ذلك، فقال علي بن الحسين: «انه سيغدر

(١) بحار الانوار، للمجلسي، ج٤٦، ص١٣٧.
(٢) بحار الانوار، ج٤٦، ص٣٣.

بك» قال: قد ألزمته.

قال الامام عليه السلام: «فانطلق فخذ باذن الجارية اليسرى وقل: يا خبيث يقول لك علي بن الحسين أخرج من هذه الجارية ولاتعد اليها».

ففعل كما أمره فخرج عنها وأفاقت الجارية من جنونها فطالبه بالمال فدافعه -أي لم يدفع له- فرجع (أبو خالد) الى علي بن الحسين عليه السلام فقال له: «يا أبا خالد ألم أقل لك انه يغدر، ولكن سيعود إليها فاذا أتاك فقل: انما عاد اليها لأنك لم تف بها ضمنت، فان وضعت عشرة آلاف على يد علي بن الحسين عليه السلام فاني أعالجها على أن لايعود ابدا فوضع المال على يد علي بن الحسين عليه السلام» وذهب أبوخالد الى الجارية فأخذ بأذنها اليسرى ثم قال: يا خبيث يقول لك علي بن الحسين عليه السلام: أخرج من هذه الجارية ولا تتعرض لها إلا بسبيل خير، فانك ان عدت أحرقتك بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة فخرج وأفاقت الجارية ولم يعد اليها، فأخذ أبو خالد ا لمال وأذن له في الخروج الى والدته، فخرج بالمال حتى قدم على والدته[1].

## مع الفقراء والمحرومين

كانت تلك حالات خاصة مع من له علاقة به، ولكن تلك الاشعاعات لم تكن شاذة في حياة الامام عليه السلام وانما هي اشراقات من سلوكه العام في التئامه الاجتماعي مع الأمة، حيث إن الامام عليه السلام يبادر في تقديم ما يمكنه ان يقدم للناس، وخاصة الفقراء والمحرومين الذين لم تمكنهم الظروف من تحسين وضعهم، والحصول على لقمة الخبز، اما لفقدان المعيل، أو مرضه، أو موته، أو..

وكان لهؤلاء مساحة في سلوك الامام عليه السلام حيث يذهب الى بيوتهم ويدفع لهم أو يرسل اليهم.

وكان علي بن الحسين عليه السلام اذا كان اليوم الذي يصوم فيه، يأمر بشاة فتذبح وتقطع أعضاؤها وتطبخ، واذا كان عند المساء أكب على القدور حتى يجد ريح المرق وهو صائم، ثم يقول هاتوا القصاع اغرفوا لآل فلان، واغرفوا لآل فلان، حتى يأتي على آخر

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص٣١.

القدور، ثم يؤتى بخبز وتمر فيكون ذلك عشاؤه[١].

عن سعيد بن المسيب قال: حضرت علي بن الحسين يوماً حين صلى الغداة فاذا سائل بالباب، فقال علي بن الحسين عليه السلام: «اعطوا السائل ولاتردوا سائلا»[٢].

وذلك واضحٌ حيث:

١- في الحديث الشريف: «لو صدق السائل ماأفلح من ردّه»[٣].

٢- التجربة المرة التي ينقلها لنا الله سبحانه في قرآنه المجيد عن النبي يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام، حيث دفع يعقوب ضريبة تخلف أهل بيته عن اعطاء الفقير الصادق صدقة -كما جاء في بعض الأحاديث-.

وفي نفس الاتجاه كان عليه السلام يقول: «صدقة السر تطفئ غضب الرب»[٤] فكان اكثر سلوكه هو عطاء العوائل من دون ان تعرف من اين يأتيها هذا العطاء، وهذا السلوك من الامام عليه السلام ينم عن خصلتين:

**الأولى**: انه يكون خالصاً لله سبحانه حيث لايعرفه أحد حتى يختلط بالرياء.

**الثانية**: يحافظ على ماء وجه الفقراء حتى لايخجلوا من الامام عليه السلام أو يحس أطفالهم أن فلاناً هو مصدر عيشهم.

ولكن بعد وفاة الامام عليه السلام وانقطاع عمل الخير وما كان يصل لهؤلاء، يحسون ان الامام كان وراء هذا العطاء.

«انه كان يقوّت مائة من أهل بيت المدينة، وقيل كان في كل بيت جماعة من الناس»[٥].

«انه كان في المدينة كذا وكذا بيتا يأتيهم رزقهم وما يحتاجون إليه لايدرون من أين

---

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص٧٢.
(٢) الكافي، ج٤، ص١٥.
(٣) شرح نهج البلاغة، ج١٩،ص٢١٠.
(٤) الكافي، ج٤، ص٨.
(٥) حلية الأولياء، ج٣، ص١٢٥.

يأتيهم، فلما مات زين العابدين عليه السلام، فقدوا ذلك فصرخوا صرخة واحدة»(١).

وزيادة في نكران الذات ومن أجل أن يكون العمل خالصاً لله سبحانه فان الامام عليه السلام كان يقوم بتوزيع المتاع على بيوت الفقراء وهو:

١- ملثم حتى اذا طرق الباب وخرج اليه أحد لا يعرفه.

٢- كان توزيعه وعطاؤه تحت جنح الظلام حيث الناس نيام والأزقة فارغة من الناس ولا يراه أحد أو يعترضه فيستفسر عنه من أين والى أين وماذا تحمل او اعطني مما تحمل.

«انه كان يخرج في الليلة الظلماء، فيحمل الجراب على ظهره حتى يأتي باباً فيقرعه ثم يناول من كان يخرج اليه وكان يغطي وجهه اذا ناول فقيراً لئلا يعرفه»(٢).

«انه كان اذا جنه الليل، وهدأت العيون، قام الى منزله، فجمع ما يبقى فيه من قوت أهله، وجعله في جراب ورمى به على عاتقه وخرج الى دور الفقراء وهو متلثم، ويفرق عليهم، وكثيراً ما كانوا قياماً على أبوابهم ينتظرونه فاذا رأوه تباشروا به، وقالوا جاء صاحب الجراب»(٣).

***

وليس الذي يوزعه الامام هو فقط ما بقي في داره من قوت يومه حتى يقول الناس إنه بقايا أكل، لأن فلسفة دافع الامام الى هذا العمل هو المشاركة في حل مشاكل الناس التي يأمر بها سبحانه، ولذلك نجد أن الامام عليه السلام كان يعطي ما هو ثمين للناس من الأكل بل حتى كان يدفع الصرر التي فيها الدراهم والدنانير.

كان علي بن الحسين عليه السلام، يتصدق بالسكر واللوز، فَسُئل عن ذلك فقرأ قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(٤). وكان عليه السلام يحبه(٥).

(١) الارشاد، للشيخ المفيد، ص٢٧٥.

(٢) انظر: بحار الانوار، ج٤٦، ص٦٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٩٣.

(٤) آل عمران، ٩٢.

(٥) بحار الانوار، ج٤٦، ص٨٩.

وكان «يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب فيه الصرر من الدنانير والدراهم حتى يأتي بابا بابا فيقرعه ثم يناول من يخرج اليه..»[١].

***

وزيادة في التقرب الى الله سبحانه وحتى لايشعر الفقير انه بشر من الدرجة الثانية كان الامام عليه السلام بالاضافة الى عتمة الليل والتلثم وغطاء الوجه كان يقبل السائل ثم يدفع اليه الصدقة.

«ان علي بن الحسين عليه السلام كان اذا ناول الصدقة قبّلها ثم ناولها»[٢].

كان يقبّل الصدقة قبل أن يعطيها السائل، قيل له: ما يحملك على هذا؟ فقال: «لست أقبّل يد السائل انما أقبّل يد ربي، انها تقع في يد ربي قبل أن تقع في يد السائل»[٣].

وكان هذا العمل هو عمل خير واحسان وثواب وقربة الى الله تعالى، فانه زاد الآخرة ومن الباقيات الصالحات، لذلك عندما يقوم الامام بهذا العمل كان يقول للسائل: «مرحبا بمن يحمل زادي الى الآخرة»[٤].

وكان عليه السلام يمارس دوراً اجتماعياً مع الناس بمختلف طبقاتهم المعيشية والإجتماعية، حتى أولئك الذين ينظر اليهم الناس نظرة تحتية ويبتعدون عنهم، من أجل أن يساهم في رفع الحالة المنكسرة في نفوسهم عنهم. (مر علي بن الحسين صلوات الله عليهما على المجذومين وهو راكب حماره وهم يتغدون فدعوه الى الغداء فقال: «أما إني لولا أني صائم لفعلت، فلما صار الى منزله أمر بطعام فصُنِع، وأمر أن يتنوقوا فيه، ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدى معهم»[٥].

قال نافع بن جبير لعلي بن الحسين: إنك تجالس اقواما دونا؟ فقال له: «إني أجالس

---

(١) علل الشرائع، ص٨٨.
(٢) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٩٣.
(٣) امالي الشيخ الطوسي، ص٦٠٤.
(٤) كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٢، ص٢٦٢.
(٥) بحار الانوار، ج٤٦، ص٥٥.

من أنتفع بمجالسته في ديني»[١].

و«كان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والأضراء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده، ومن كان منهم له عيال حمله الى عياله من طعامه، وكان لا يأكل طعاما حتى يبدأ فيتصدق بمثله»[٢].

وحالة العطاء للناس عند الامام عليه السلام لم يكن لها حد فكان يعطي ما يمكنه أن يعطي حتى ملابسه التي كان يلبسها يدفعها للفقراء بعد حول.

«كان إذا انقضى الشتاء تصدق بكسوته، واذا انقضى الصيف تصدق بكسوته، وكان يلبس من خز اللباس، فقيل له: تعطيها من لايعرف قيمتها ولايليق به لباسها، فلو بعتها فتصدقت بثمنها، قال: «إني أكره أن أبيع ثوبا صليت به»[٣].

«خرج ذات يوم وعليه مطرف خز فعرض له سائل فتعلق بالمطرف فمضى وتركه»[٤].

### الحياة المتواضعة

وكانت للامام حالة متواضعة، حيث كان يحب أن يمارس دوره كانسان صاحب عيال ورب بيت مسؤول عنهم وعليه أن يخدمهم، فكان عليه السلام على الرغم من أنه يملك من الخدم رجالا ونساءً ما يكفونه الخدمة ولكنه عليه السلام كان يصر على أن يخدم نفسه بما تسمح به الظروف.

«كان لا يحب أن يعينه على طهوره أحد، وكان يستقي الماء لطهوره ويخمره قبل أن ينام، فاذا قام من الليل بدأ بالسواك، ثم توضأ ثم يأخذ في صلاته»[٥].

رأى الزهري علي بن الحسين عليه السلام في ليلة باردة مطيرة وعلى ظهره دقيق وحطب

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٣٠٠.
(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ص٥١٨.
(٣) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٩٤.
(٤) الخصال، ص٥١٨.
(٥) كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٢، ص٢٦٢.

وهو يمشي.

فقال: يا ابن رسول الله ما هذا؟

قال: أريد سفرا اعد له زادا أحمله الى موضع حريز.

فقال الزهري: فهذا غلامي يحمله عنك، فأبى. قال: أنا أحمله عنك فاني أرفِّعك عن حمله.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: لكني لا أرفِّع نفسي عما ينجيني في سفري، ويحسن ورودي على ما ورد عليه، أسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك وتركتني. فانصرف عنه.

فلما كان بعد أيام قال له: «يا ابن رسول الله لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته اثرا» قال علي بن الحسين عليه السلام: بلى يا زهري، ليس ما ظننت ولكنه الموت وله كنت استعد، انما الاستعداد للموت تجنُّب الحرام وبذل الندى في الخير[١].

إن احساس الامام أن يؤدي دوره في نيل مرضاة الله لا يمنعه من أن يؤدي أيّة حركة كانت كبيرة أوصغيرة لأنها بالتالي تورد عليه الأجر والثواب.

«ولقد كان يمر على المدرة في وسط الطريق فينزل عن دابته حتى ينحيها بيده عن الطريق»[٢].

نعم إنه امتثالٌ للحديث الشريف: «إماطتك الأذى عن الطريق صدقة»[٣].

وكان من ألوان سلوكه في خدمة الناس السرية والعلنية ما لا يقف عند حد.

فمن خدماته السرية أنه عليه السلام كان ينقل الماء الى جيرانه الفقراء.

عن الزهري: «لما مات زين العابدين عليه السلام فغسلوه، وجد على ظهره محل، فبلغني انه كان يستقي لضعفة جيرانه بالليل»[٤].

---

(١) علل الشرائع، ص٨٨.
(٢) مناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص٣٠٠.
(٣) مستدرك الوسائل، ج٧، ص٢٤٢.
(٤) نفس المصدر.

## خدمة العيال

والذي يبذل جهده ليلا ونهارا، سرا وعلنا في سبيل في أن يقدم خدمة للناس فأولى به أن يقدم الخدمة لعياله ويسد ثغراتهم ولايجعلهم في حيرة من أمرهم.

والذي كان يقدم الخدمات للناس بيده ولايدع أحداً يشاركه في اسداء هذه الخدمات وانما هو يقوم بهذه الخدمات فعياله يأتون في الدرجة الأولى، وليس من حديث بوجود الخدم والأولاد ومن يتمكن من القيام بهذه الخدمة.

قال علي بن الحسين عليه السلام: لأن أدخل السوق ومعى دراهم ابتاع بها لعيالي لحما وقد قرموا اليه، أحب إليّ من أن اعتق نسمة[١].

وكان علي بن الحسين عليه السلام إذا أصبح خرج غاديا في طلب الرزق، فقيل له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله: اين تذهب؟

فقال: أتصدق لعيالي، قيل له: أتتصدق!

قال: من طلب الحلال فهو من الله عز وجل صدقة عليه[٢].

والانسان الذي هذه نظرته لخدمة الناس وهذا سلوكه مع عياله والناس، فمن المؤكد أن الناس وضعوا في قلوبهم محرابا له يذكرونه بالخير والحب والمدح والثناء.

نعم هناك الحسد الذي لايقتلع من نفسية الانسان ولايبتعد عنه إلا من عصمه الله ومع ذلك فان هؤلاء كانوا أمامه يتعاملون معه باحترام وان كانوا خلفه يتحدثون بدافع الحسد لاغير.

عن سفيان بن عيينة قال: قلت للزهري: لقيت علي بن الحسين؟

قال: نعم لقيته، وما لقيت أحدا أفضل منه، والله ما علمت له صديقاً في السر ولا عدواً في العلانية، فقيل له: وكيف ذلك؟

قال: لأني لم أر أحدا وان كان يحبه الا هو لشدة معرفته بفضله يحسده، ولا رأيت

---

(١) الكافي، ج٤، ص١٢.
(٢) نفس المصدر.

أحدا وان كان يبغضه إلا وهو لشدة مداراته له يداريه»[١].

***

وقد عرف الناس هذا الجهد والخدمة التي كان يقدمها الامام عليه السلام بعد وفاته حيث انقطعت الخدمات ولم يصل اليهم شيء وعرف ان صدقة السر انقطعت بعد وفاته.

«فلما مات علي بن الحسين عليه السلام فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل».

«سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين عليه السلام»[٢].

وفي الاتجاه الذاتي وجدوا آثار خدماته على ظهره واضحة من سواد وثفنات من كثرة ما كان يحمل على ظهره.

«لما مات علي بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون الى آثار سواد في ظهره وقالوا: ما هذا؟ فقيل: كان يحمل جرب الدقيق ليلا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة»[٣].

«لما وضع علي بن الحسين على السرير ليغسل نظر الى ظهره وعليه مثل ركب الابل مما كان يحمل على ظهره الى منازل الفقراء والمساكين»[٤].

إن الله سبحانه يأمر الانسان أن يؤدي عمله خالصا لله سبحانه، وهو سبحانه يتكفل بتعريف الناس بذلك وبطرقه سبحانه الخاصة.

فنحن ننظر الى الامام عليه السلام انه كان يمارس عدة أدوار ويحتاط بعدة أشكال من أجل أن لايعرف أحد ما يقوم به من خدمات للفقراء والمساكين فهو يقوم:

١- بالتوزيع ليلا.

٢- يتلثم.

٣- لايعلن عن نفسه.

---

(١) علل الشرائع، ج١، ص ٢٣١.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٩٣.

(٣) نفس المصدر، ص٢٩٤.

(٤) علل الشرائع، ج١، ص٢٣١.

ولكن الله سبحانه أظهر هذه الأعمال الخاصة له عند أهل بيت الامام عندما وجدوا على ظهره من آثار وكذلك عرف أهل المدينة ذلك عندما انقطعت الخدمات عنهم.

بل وأكثر من ذلك إننا الآن ننبش الكتب لنقرأ هذه الفضائل للامام وننشرها للناس.

فبقدر ما يكون الانسان مخلصا في عمله لله سبحانه، فان الله سبحانه يتولى بعنايته ولطفه نشر هذه الفضائل في الأمة.

# [٣]

# الامام وشيعته

وسَّع الامام زين العابدين عليه السلام قاعدته الشعبية ونمى القوى البشرية التابعة له، وكان التلقي الثقافي من الأمة مختلفاً نسبيا عند الناس حسب البنية الثقافية والذاتية والظروف لكل إنسان، ولذلك لم تكن الحالة الاعتقادية عند الناس تجاه الأئمة متساوية، وهذه الحالة لم تكن في عصر الامام زين العابدين عليه السلام فقط وانما ابتدأت من عصر الامام أمير المؤمنين عليه السلام وورثها الامام زين العابدين عليه السلام.

كما أن حركة الامام الاجتماعية شملت أصحابه ومعارفه الذين يترددون عليه، حيث كانت تمر بهم ظروف قاسية فيشتكون الى الامام عن رداءَة وضعهم والمشاكل التي يمرون بها فيساهم الامام في طريقة يحصلون من خلالها على ما يحل مشاكلهم، او بعبارة أخرى يدلهم على المنهجية الصحيحة لحل مشاكلهم أو يقدم لهم عونا.

عن الزهري قال: كنت عند علي بن الحسين عليه السلام فجاءه رجل من أصحابه، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «ما خبرك أيها الرجل»؟

فقال الرجل: خبري يا ابن رسول الله اني أصبحت وعلي أربعمائة دينار دَيْن لاقضاء عندي لها، ولي عيال، فقال: «ليس لي ما أعود عليك به» ثم قال: فبكى علي بن الحسين عليه السلام بكاءً شديداً.

فقلت له: ما يبكيك يا ابن رسول الله.

قال: «وهل البكاء إلا للمصائب والمحن الكبار»؟

قالوا: كذلك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: «فأية محنة ومصيبة أعظم على مؤمن من أن يرى بأخيه المؤمن خلة فلا يمكنه سدها ويشاهده على فاقة فلا يطيق رفعها».

قال: فتفرقوا عن مجلسهم ذلك.

فقال بعض المخالفين، وهو يطعن على علي بن الحسين عليه السلام: عجبا لهؤلاء يدعون مرة ان السماء والأرض وكل شيء يطيعهم وان الله لايردهم عن شيء من طلباتهم ثم يعترفون أخرى بالعجز عن اصلاح حال خواص إخوانهم.

فاتصل ذلك الرجل صاحب القصة وجاء الى علي بن الحسين عليه السلام فقال له: يا ابن رسول الله بلغني عن فلان كذا وكذا، وكان ذلك أغلظ علي من محنتي.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: «فقد أذن الله في فرجك، يا فلانة احملي سحوري وفطوري». فحملت قرصين، فقال علي بن الحسين عليه السلام للرجل: «خذها فليس عندنا غيرهما فان الله يكشف عنك بهما وينيلك خيرا واسعا منهما». فأخذهما الرجل ودخل السوق، لايدري ما يصنع بهما وهو يتفكر في ثقل دَيْنه وسوء حال عياله ويوسوس اليه الشيطان: اين موقع هاتين من حاجتك. فمر بسمّاك قد بارت عليه سمكة قد أراحت.

فقال له: سمكتك هذه بائرة عليك واحدى قرصيّ هاتين بائرة علي فهل لك ان تعطيني سمكتك هذه وتأخذ قرصتي البائرة هذه؟

فقال: نعم. فأعطاه السمكة وأخذ القرصة.

ثم مر برجل معه ملح قليل مزهود فيه فقال: هل لك أن تعطيني ملحك هذا المزهود فيه بقرصتي هذه المزهود فيها؟ فقال: نعم. ففعل فجاء الرجل بالسمكة والملح.

فقال: اصلح هذه بهذا، فلما شق بطن السمكة وجد فيها لؤلؤتين فحمد الله عليهما، فبينما هو في سروره ذلك اذ قرع بابه، فخرج ينظر مَنْ بالباب فإذا صاحب السمكة وصاحب الملح قد جاءا يقول كل واحد منهما له: يا عبد الله جهدنا أن نأكل نحن أو أحد من عيالنا هذا القرص فلم تعمل فيه أسناننا، وما نظنك إلا وقد تناهيت في سوء الحال ومرنت على الشقاء، قد رددنا اليك هذا الخبز وطيبنا لك ما أخذته منا.

فأخذ القرصين منهما فلما استقر بعد انصرافهما عنه قرع بابه، فإذا رسول علي بن الحسين عليه السلام فدخل عليه فقال: انه يقول لك: «إن الله قد اتاك بالفرج فاردد إلينا طعامنا فانه لايأكله غيرنا».

وباع الرجل اللؤلؤتين بمال عظيم قضى منه دينه وحسنت بعد ذلك حاله، فقال بعض المخالفين: ما أشد هذا التفاوت بين علي بن الحسين عليه السلام لايقدر ان يسد منه فاقة اذ أغناه هذا الغناء العظيم، كيف يكون هذا؟ وكيف يعجز عن سد الفاقة من يقدر على هذا الغناء العظيم؟

فقال علي بن الحسين عليه السلام: هكذا قالت قريش للنبي عليه السلام: كيف يمضي الى بيت المقدس ويشاهد ما فيه آثار الأنبياء من مكة ويرجع إليها في ليلة واحدة من لايقدر أن يبلغ من مكة الى المدينة إلا في إثنى عشر يوما؟ وذلك حين هاجر منها ثم قال علي بن الحسين عليه السلام: جهلوا والله أمر الله وأمر أوليائه معه..

ان المراتب الرفيعة لاتنال إلا بالتسليم لله جل ثناؤه وترك الاقتراح عليه والرضا بما يدبرهم به، ان اولياء الله صبروا على المحن والمكاره صبرا لم يساوهم فيه غيرهم فجازاهم الله عزّ وجل بأن أوجب لهم نجح جميع طلباتهم، لكنهم مع ذلك لايريدون منه إلا ما يريده لهم(١).

***

والامام يتصرف بما أودع الله سبحانه فيه من كفاءات، وبما سهل له من اجابة دعاء مع أصحابه بما يراه يخدم مصلحة الايمان، ويؤدي الى ترسيخ عقيدة الناس في أهل البيت عليهم السلام، وليس مهما حجم هذه المشكلة وما تتطلب من أداء الامام نفسه حتى لو وصل الأمر إلى اظهار حالة الأعجاز من خلال استعمال التواصل الخاص بين الله وبينهم عليهم السلام. ومن جانب آخر ان الامام يلاحظ الطرف الآخر الذي يرى فيه أهلية واستحقاقاً لهذه الخدمة، ويكون جهد الامام مقدَّراً عنده ومؤثراً فيه، وبعبارة أخرى ان عمل الامام من جهد ودعاء يؤتي أكله وننقل نموذجا من ذلك.

---

(١) آمالي الشيخ الصدوق ص٤٥٣

إن رجلا مؤمنا من أكابر بلاد بلخ كان يحج البيت ويزور النبي ﷺ في اكثر الأعوام، وكان يأتي علي بن الحسين عليه السلام ويزوره ويحمل اليه الهدايا والتحف ويأخذ مصالح دينه منه ثم يرجع الى بلاده.

فقالت له زوجته: أراك تهدي تحفا كثيرة ولايجازيك عنها بشيء فقال: إن الرجل الذي نهدي اليه هدايانا هو ملك الدنيا والآخرة وجميع ما في أيدي الناس تحت ملكه لأنه خليفة الله في أرضه وحجته على عباده وهو ابن رسول الله ﷺ وامامنا، فلما سمعت ذلك منه أمسكت عن ملامته ثم إن الرجل تهيأ للحج مرة أخرى في السنة القابلة، وقصد دار علي بن الحسين، فاستأذن عليه، فأذن له فدخل فسلم عليه وقبل يديه، ووجد بين يديه طعاما فقربه اليه وامره بالأكل معه فأكل الرجل ثم دعا بطست وابريق فيه ماء، فقام الرجل، وأخذ الابريق وصب الماء على يدي الامام عليه السلام فقال الامام عليه السلام: يا شيخ أنت ضيفنا فكيف تصب على يدي الماء؟ فقال: إني أحب ذلك. فقال الامام عليه السلام: لما أحببت ذلك فوالله لأرينك ما تحب وترضى وتقر به عيناك، فصب الرجل على يديه الماء حتى امتلأ ثلث الطست.

فقال الامام عليه السلام للرجل: ما هذا؟

فقال: ماء.

قال الامام عليه السلام: «بل هو ياقوت أحمر» فنظر الرجل، فاذا هو قد صار ياقوتا أحمر باذن الله تعالى، ثم قال عليه السلام: يا رجل صب الماء، فصب حتى امتلأ ثلث الطست.

فقال عليه السلام: ما هذا؟

قال: ماء.

قال الامام عليه السلام: بل هو زمرد أخضر، فنظر الرجل فاذا هو زمرد أخضر.

ثم قال عليه السلام: صب الماء، فصبه على يديه حتى امتلأ الطست فقال الامام عليه السلام: ما هذا؟

فقال: هذا ماء.

قال عليه السلام: بل هذا در أبيض.

فنظر الرجل اليه فإذا هو در أبيض.

فامتلأ الطست من ثلاثة ألوان: در وياقوت وزمرد فتعجب الرجل وانكب على يدي الامام عليه السلام يقبلهما.

فقال الامام عليه السلام: يا شيخ لم يكن عندنا شيء نكافيك على هداياك الينا، فخذ هذه الجواهر عوضا عن هديتك، واعتذر لنا عند زوجتك لانها عتبت علينا. فأطرق الرجل رأسه وقال: يا سيدي من أنبأك كلام زوجتي؟ فلا أشك انك من أهل بيت النبوة، ثم إن الرجل ودع الامام عليه السلام، وأخذ الجواهر وسار بها الى زوجته، وحدثها بالقصة فسجدت لله شكرا واقسمت على بعلها بالله العظيم أن يحملها معه اليه عليه السلام.

فلما تجهز بعلها للحج في السنة القابلة أخذها معه، فمرضت في الطريق وماتت قريبا من المدينة فأتى الرجل الامام عليه السلام باكيا وأخبره بموتها، فقام الامام عليه السلام وصلى ركعتين ودعا الله سبحانه بدعوات، ثم التفت الى الرجل وقال له: ارجع الى زوجتك فان الله عزّ وجل قد أحياها بقدرته وحكمته وهو يحيي العظام وهي رميم. فقام الرجل مسرعا فلما دخل خيمته وجد زوجته جالسة على حال صحتها، فقال لها: كيف أحياك الله؟

قالت: والله لقد جاءني ملك الموت وقبض روحي وهمَّ أن يصعد بها، فاذا انا برجل صفته كذا وكذا وجعلت تعد اوصافه عليه السلام وبعلها يقول: نعم صدقت هذه صفة سيدي ومولاي علي بن الحسين عليه السلام. قالت فلما رآه ملك الموت مقبلا انكب على قدميه يقبلهما ويقول: السلام عليك يا حجة الله في ارضه، السلام عليك يا زين العابدين. فرد عليه السلام، وقال له: يا ملك الموت أعد روح هذه المرأة الى جسدها، فانها كانت قاصدة إلينا واني قد سالت ربي أن يبقيها ثلاثين سنة اخرى ويحييها حياة طيبة لقدومها إلينا زائرة لنا، فقال الملك سمعاً وطاعة لك يا ولي الله، ثم أعاد روحي الى جسدي، وأنا أنظر الى ملك الموت قد قبل يده عليه السلام وخرج عني، فأخذ الرجل بيد زوجته وأدخلها اليه عليه السلام وهو بين أصحابه فانكبت على ركبتيه تقبلهما وهي تقول: هذا والله سيدي ومولاي وهذا هو الذي احياني الله ببركة دعائه[١].

---

(١) الخرايج والجرايح، للراوندي، ص٢٢٨.

# [٤]

# اخلاقية الامام

تمتع الامام زين العابدين عليه السلام باخلاق رفيعة عالية، لم يتمتع بها غيره وقد ظهر ذلك من خلال تعامله بداخل عائلته واهل بيته، وكذلك في روابطه مع الامة، وهذا الارتقاء الخلقي للامام زين العابدين عليه السلام مكمل لباقي جوانب شخصيته الأخرى التي فاق بها اهل زمانة.

حيث ان الامام وصلت اليه الامامة الدينية من رسول الله صلى الله عليه وآله عبر آبائه الطاهرين، وبذلك ورث اخلاقه صلى الله عليه وآله، فهو من اهل ذلك البيت الذي اذهب سبحانه عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ومن تلك المدرسة التي عبر سبحانه عن رمزها الأول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي قال: «ادبني ربي فأحسن تأديبي»[2].

ومن هنا يتضح ان الامام عليه السلام تخرج من هذه المدرسة التي رتب سبحانه لبناتها ونسج نظامها وصاغ هيكليتها، وعليه ما كان لافرادها ان يسلكوا غير السلوك الرفيع، بحيث لم تصدر عنهم غير مفردات الخير؟

واذا لم تكن المدرسة العلوية الهاشمية صاحبة الرمزية الاولى في الاخلاق، فإذن مَنْ غيرهم الاسوة والقدوة للامة، ليتعلموا منهم المعالم الرفيعة في الأخلاق؟

ولقد كان الامام حفيد اول مَنْ هشم الثريد لضيوف الرحمن حتى أصبح الاسم

---

(١) القلم، ٤.

(٢) بحار الانوار، ج١٦، ص٢١٠.

المعروف به في وسط الأمة وكتب التاريخ، وهو اول من دعى لردع الظلم وأخذ حق المظلوم، واسس حلف الفضول، بعد ان جرت تجاوزات على ضيوف الرحمن في مكة المكرمة.

***

ومن المعروف ان الحالة الخلقية تقاس بما يحيط الانسان من ظروف اجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وبذلك فان الاخلاق -عند بعض الناس- حالة نسبية. وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي مر بها الامام زين العابدين عليه السلام، من ظلم وحرمان وقلة ما في اليد في زمن معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد واستشهاد ابيه الامام الحسين عليه السلام ونهب كل ما كان في أيديهم، الى الظروف الصعبة التي مر بها عند احتلال المدينة المنورة من قبل الجيش الشامي، وبعد ذلك سيطرة عدو أهل البيت عبد الله بن الزبير على مقاليد الامور في المدينة المنورة ومكة المكرمة، مع كل ذلك لم يكتب المؤرخون عن الامام عليه السلام اية مفردة يشم منها نسيانه لأخلاقيته، او تركه لفضيلة ما، فضلاً عن ان يمارس سلوكاً مجافياً للخلق الكريم، ولقد كانت نفسه تتسامى.

مع أن عملية الضغط السياسي والضعف الاقتصادي والوحدة الاجتماعية التي مر بها الامام لفترة معينة كانت صعبة الى درجة كبيرة ولكنها لم تتمكن من النفوذ الى نفسية الامام عليه السلام وتنال منها حتى تضطره الى ممارسة سلوك غير معهود من أهل بيت الرسالة، بل العكس حيث كانت بعض مقاطع حياة الامام عليه السلام قد مكنته من أن يؤدي دورا طبيعياً في حياة المجتمع حتى أنه لم يلجأ إلى مقابلة الاساءة بالاساءة بل اخذ دوره المتوازن الذي لم يستجب لاستفزازات السلطة وكونه سليل صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم.

ورفض أن يستجيب لأحد او أي ردود فعل منفعلة كما سنتحدث عنه في مقطع العفو عند المقدرة، وعليه فان سلوك الامام الاخلاقي بقي سلوكاً متوازناً ولم تثلمه الظروف مهما صعبت، حيث من المعروف اجتماعياً عند بعض الناس انهم في وقت الشدة إنما يمارسون سلوكاً تسقط منه الفضيلة والاخلاقية.

## الاخلاق الرسالية

ان الأخلاقية التي كان يتمتع بها الامام عليه السلام اخلاقية (رسالية) ذاتية قائمة بنفسها

بعيداً عن أي مؤثرات خارجية او انها تخضع لقانون المصلحية مثلما انك تضحك بوجه من عندك معه مصلحة، وتقطب امام من لا ترغب في لقائه.

ذلك ان الاخلاقية الرسالية هي سلوك لتبيان قيم الرسالة الاسلامية وعظمة تعاليم السماء، والاخلاق بذاتها هي رسالة تؤثر في سلوك الامة، وعليه فان رسالية السلوك كانت معلما ممنهجا يؤديه الامام عليه السلام دون غيره، ورغم انه في بعض الاحيان يتعرض لاثارات متشنجة من قبل بعض اشقياء بني امية والزبير ولكن الامام ما كان ليسمح لنفسه أن يرد عليهم، وعندما يفقد من يسير معه صبرهم ويريدون الرد عليهم لم يسمح الامام لهم وذلك ان الامام صاحب رسالة لابد من تأديتها في الأمة، ويتطلب هذا الموقع (الامامة والدعوة الى الله) اخلاقية رفيعة حتى تتمكن من شق الطريق امام الامام عليه السلام ليؤدي رسالته، وهذا ما كان من سلوك الامام عليه السلام.

على ان الموقع بذاته يتطلب من الانسان ان تكون عنده اخلاقية معينة تناسب موقعه من سعة الصدر، والعفو، وكان من الطبيعي ان يتمسك الامام بهذه الحالة وهو المرشد الاول للامة في زمانه، ان هذه من مفردات الاخلاق وليست كلها، لان الاخلاق ليست تشريعاً يسن وانما هي حالة عقلية يتحكم بها الرشد العقلي، والذي يجب ان يتمتع به الانسان العادي فضلا عن صاحب الهدف والرسالة في الامة.

***

وعندما يراد قياس دقة الالتزام الخلقي عند الانسان ينظر الى حالة التوازن بين السلوك الشخصي للانسان مع نفسه وفي داخل عائلته وخارج البيت حيث الامة.

اذ من المعروف ان الكثير يتمتع باخلاق رفيعة مع عائلته ولكنه يخفق في ممارسة نفس الدور مع الامة، أو بالعكس حيث يعيش حالة انتعاش وانشراح مع الناس ولكنه سيء الخلق مع اهله حيث يكون طرقه الباب ووقع قدمه مما يخطف السرور والابتسامة والانشراح من اهل البيت، وهناك من هو سيء المعاملة والسلوك مع نفسه فضلاً عن البيت والناس.

والذي يعيش حالة الرسالية الخلقية لا يتغير سلوكه الخلقي اين ما كان ومع أي

شخص كان، بل انه يعيش حالة التوازن والتطابق الصادق مع القيم الخلقية التي رفعها الامام عليه السلام، فكان سلوكه مع عبيده وإمائه هو نفس المستوى من السلوك مع غيرهم من افراد الامة مهما كان موقعهم كما سنبين ذلك في اخلاق الامام مع امائه واهل بيته عليهم السلام.

# [٥]

## أدب الامام

ان الذي أدبه أدب الرسالة لايتمكن أن يؤدي نوعين من السلوك لينافق الامة من اجل تحقيق المصلحة الذاتية لانه يرى ان المنفعة تكمن في ذلك حتى يشق طريقه في الامة، فيكون سلوكه الخاص او مع عائلته او في الامة متباينا لاجل تحقيق تلك المصلحة، وهذا سلوك العاجز والمحتاج فيتحبب للناس وليس لله سبحانه وانما لمصلحة خاصة، واما الذي يتحبب للناس من اجل الله ورسالته والاخلاقية فهو المبدئي الهادف لتحقيق تلك الرسالة.

والامام زين العابدين عليه السلام كان في اخلاقه ذاتي الدفع والانطلاق نحو الآخرين، فلا ينتظر منهم شيئاً يحسنون به اليه او يقدمون له خدمة، بل نجد من المفردات التي سنذكرها انه كان هو المحسن والمعطي. كما انه عليه السلام كان يدفع بالتي هي احسن في سلوكه الاخلاقي وتعامله مع الاخرين من أقرباء واصحاب ومعارف وعامة الامة، لايرجو في ذلك غير رضا الله سبحانه والتودد اليه فقط.

فعرف عنه مسيره في الطرقات مشي المتزن وكأنّ على راسه الطير بحيث لايدفع يديه الى الامام والخلف: «وكان علي بن الحسين عليه السلام يمشي مشية كأن على رأسه الطير لايسبق يمينه شماله» و «ما رؤي علي بن الحسين قط جايزا بيده فخذيه وهو يمشي»[١].

وفي تعامله مع مربيته كان يرفض الاكل معها، فانتشر الخبر بداخل العائلة والمعارف، فظن البعض انه عملية استعلاء وتكبر او حالة من اللامبالاة بها، خاصة وأنه

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب، ج٣،ص ٣٠١.

متزوج وعنده عدة زوجات فليس من حاجة الى الاكل معها.

فعاتبه البعض من المطلعين على احواله العائلية، ولم يذكر المؤرخون المعاتب وانما يذكرون كلمة قيل له، والظاهر ان الذي قال له ذلك كان من معارفه ويعرف اخلاق الامام عليه السلام ومنزلته، وكان عتابه بدافع حب واخلاق.

قيل له -أي الامام عليه السلام-: انك ابر الناس ولا تاكل مع امك في قصعة وهي تريد ذلك؟.

والظاهر ان مربيته سربت الخبر الى عائلته ومعارفه وهي تتمنى ان يقبل الاكل معها لأنها أحست الحالة السلبية التي ذكرناها آنفا، فأوضح لهم الامام عليه السلام الدافع الايماني لذلك وهو أن لايكون عاقاً لها ولو مجرد ايجاد مساحة قد تسبب العقوق. قال الامام عليه السلام: «اكره أن تسبق يدي الى ما سبقت اليه عينها فأكون عاقاً لها»[1].

ولما فسر الامام سبب الامتناع عن الأكل مع مربيته في طبق واحد، وعرف في الوقت نفسه ان مربيته تحب أن يأكل معها جاهد نفسه في الوصول الى طريقة تبعده عن الوقوع في العقوق اليها بعد ذلك:

«فكان بعد ذلك يغطي الغضارة -أي الاكل او الصحن- بطبق ويدخل يده من تحت الطبق ويأكل»[2].

ويظهر أن مربية الامام عليه السلام كانت لها منزلة خاصة في بيت الامام من الاحترام والتقدير، ولكن في الواقع العملي فلا هي أَمَة فتأكل وتنام مع الاماء لان الامام يرِّفعها عن ذلك، ولا هي من حيث النسب والحسب تمت للامام بصلة تمكنها ان تطالب بحقوقها، لانها في واقعها -أَمَة- ولذلك كانت تحس بالاحراج مما دعاها لتسريب خبر عدم اكل الامام معها، وعالجه الامام كما اسلفنا استجابة لهذه الرغبة وبدافع التقدير والاحترام لها لسد الشعور الذي كانت تعيشه.

وأعتقد ان الامام عليه السلام اسدى لها خدمة كمل من خلالها ما كان يعجز عنه هو

---

(١) المصدر، ص٣٠٠.
(٢) نفس المصدر.

وذلك حينما طالبها في الافصاح عن رغبتها في الرجل واستجاب لرغبتها وزوّجها وبقي احترامه لها كمربية في محله.

وسلوك الامام هذا نحن نقرأه ونكتبه ونتحدث عنه، ولكن في ارض الواقع لايتمكن العمل به الا آل البيت عليهم السلام، ولذلك بقوا هم لوحدهم أئمة الهدى واسوة التقاة وقدوة اهل الورع.

**مفردات أدب الامام**

ولنذكر بعض مفردات أدب الامام فيما يأتي:

**١- الإحسان العلوي**

من المعروف والمسلّم به تأريخيا ان اهل بيت النبوة عاشوا معاناة عميقة من البيت الاموي، وكانت قمة المأساة في قتل الامام الحسين عليه السلام واهل بيته بتلك الطريقة المروعة، وان لحالة التآمر رموزا عُرِفت بقيادتها للحقد والبغض لاهل البيت ومن تلك الرموز مروان بن الحكم واهل بيته.

والامام زين العابدين عليه السلام لم يقابل الاساءة المروانية بمثلها وانما تعامل مع الاساءة الاموية المروانية باحسان علوي هاشمي رسالي قرآني وذلك في موقفين:

**الأول**: عندما انتفضت المدينة المنورة ضد الطاغية يزيد وخلع الناس بيعته وحاصروا بني امية وأرادوا إبعادهم من المدينة، التجأ مروان بن الحكم وهو انذاك الرمز الاول لآل أمية في المدينة المنورة الى عبد الله بن عمر لكي يضم عائلته الى عيال الاخير، ولكن عبد الله بن عمر تململ ولم يقبل هذا الطلب، فلم يجد مروان امامه سوى الامام زين العابدين عليه السلام الذي قبل طلبه وضم اهل البيت الاموي مع عياله وكانت فيهم زوجة مروان وهي عائشة بنت عثمان بن عفان حيث اخرج معها الامام اكبر ابنائه عبد الله بن علي بن الحسين عليهما السلام واصطحبها حتى لايتعرض لها احد واوصلها الى ينبع حيث عيال الامام زين العابدين عليه السلام.

**الثاني**: عندما سيطر عبد الله بن الزبير على المدينة المنورة، كذلك خاف مروان على

عياله وحماهم الامام زين العابدين حيث ضمهم الى عياله.

وفي كلتا الحالتين تحدثت إحدى نساء بني امية عن واقع الخدمة التي كانت تقدم لهم في ضيافة الامام زين العابدين عليه السلام، وانها افضل مما كانوا يعيشون في بيوتهم مع ما رآى الامام زين العابدين ما فعله الامويّون بعيال ابيه وعماته في الاسر والسبي بعد استشهاد ابيه الامام الحسين عليه السلام وبتلك الطريقة المشبعة بالحقد والانانية، حتى ما فتأ يذكر تلك المواقف طيلة حياته.

والانسان العادي يقبل ان ينزل باعدائه ما نزل به ويحب أن يرى عيال اعدائه بنفس الحالة التي وضعوا اهل بيته بها، ولكن اخلاق الامام الرسالية ورسالية تلك الاخلاق عند الامام عليه السلام تعالت عن ذلك ولم يرد الاساءة الا بالاحسان الى المسيء[1].

وفي فترة من التعنت والاضطهاد الاموي للامام واهل بيته عليهم السلام كان يمارسها والي المدينة من قبل -هشام بن اسماعيل المخزومي- حيث اصبح من سماته السياسية هو ممارسة المطاردة والظلم والاساءة الى الامام زين العابدين عليه السلام لسنوات عدة.

ولظروف معينة عزله الوليد بن عبد الملك وامر بايقافه للناس حتى يأتي كل صاحب مظلمة ياخذ بحقه منه، فما كان يخاف من شكاية احد كخوفه من الامام زين العابدين عليه السلام للقسوة التي كان يتعامل بها مع الامام عليه السلام.

ولكن عندما عرف الامام خبر وقوفه لرد طلبات الناس ارسل الامام اليه من يقول له: يمكننا ان نساعدك في رد بعض المطالب المالية، وأنه لايصلك مني ومن خواصي ومن يطيعني سوء، وهذا نص الخبر:

كان هشام بن اسماعيل المخزومي يؤذي علي بن الحسين عليه السلام في امارته، فلما عُزِل امر به الوليد أن يوقَف للناس.

فقال: ما أخاف إلا علي بن الحسين، وقد وقف عند دار مروان، وكان علي قد تقدم الى خاصته الا يعرض له أحد منكم بكلمة، فلما مر ناداه هشام: الله اعلم حيث يجعل رسالته.

---

(١) راجع فصل الامام وواقعة الحرة في ج١ من الكتاب.

فقال له الامام: «يا ابن العم عافاك الله، لقد ساءني ما صنع بك فادعنا الى ما احببت».

كما انفذ اليه: «انظر إلى ما اعجزك من مال تؤخذ به فعندنا ما يسعك، فطب نفسا منا ومن كل من يطيعنا». فنادى هشام: الله اعلم حيث يجعل رسالته[1].

كانت فرصة الامام عليه السلام -إن لم يتكلم هو- أن ياذن لاحد من خاصته ان يتكلم بالشكوى لأنها فرصة ليشفي غليله من هذا الطاغية، ولكن العفو عند المقدرة هو من صفات الامام عليه السلام وليس رد الاساءة بمثلها، وكانت كلمات هشام المخزومي ابلغ من الاساءة حيث عبر عن ندامته واعترف للامام عليه السلام انه صاحب رسالة والله سبحانه اختاره على غيره.

### ٢- التجاوز عن المسيء

بناء على الطغيان الاموي والزبيري الذي خيم على مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث كان الامام بعد لم يرتب وضعه الإجتماعي، مما اعطى انطباعا عند هؤلاء واتباعهم - كل حسب الفترة التي حكم فيها- ان الامام عليه السلام يعيش حالة من الضعف، وفي مرحلة لاحقة اصبح الامام صاحب نفوذ إجتماعي ورمز جماهيري وامام دين يخضع له فقهاء المدينة.

وقد تركزت هذه المفاهيم اكثر عندما حدثت ثورة المختار بن ابي عبيدة الثقفي حيث كان يرسل للامام بعض الامكانيات.

ولكن العداء والبغض من هؤلاء- الامويين والزبيرين- ما كان ليختفي، وانما تستعر شدته عبر الكلمات السيئة التي كانت تخرج من افواههم من دون شعور، وهم يحاولون الاساءة فيها الى الامام عليه السلام.

ولكن الامام كان اكبر من ان ينزل الى مستواهم او ينجر الى ما كانوا يريدونه عبر الاساءة الى الامام وتحويل هذه الاساءة الى حدث اجتماعي تتناقله الافواه وتسير به الركبان، بأنّ فلاناً اعتدى على الامام زين العابدين عليه السلام والامام رد عليه باسلوب كذا،

---

(١) انظر: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٣٠١، و: كشف الغمة، ج٢، ص٣١٢.

وعند ذاك يأتي انصار كل طرف ليعينوه على عدوه، وبالتالي خلق جو متشنج يضيِّع على الامام دوره في تأدية رسالته في الامة، فكان رد الامام هو التجاوز عن المسيء واشعاره بأن الرد هو عدم الرد.

ومن نماذج ذلك انه «خرج الامام عليه السلام ذات يوم من مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالقتاه رجل فشتم الامام عليه السلام وسبه واعاب عليه، ولكن الامام عليه السلام ظل سائرا في طريقه وقد اعتقد الاموي ان الامام عليه السلام لم يفهم ان الاساءة عليه فناداه: اياك اعني، اي إن السب موجه اليك. فرد عليه الامام عليه السلام: وعنك اغض»[1].

انها كلمة اكبر من الرد باللسان او باليد، وما كان ليحسن ان يتحدث بها غير الامام عليه السلام، وهنا يريد ان يقول الامام بكلمته هذه اني سمعت بذاءة لسانك وتجرأك علي، ولكني اكبر من ان انزل الى مستواك حتى تقول اني تخاصمت مع علي بن الحسين، فمن انت حتى اخاصمك وعلى ماذا اخاصمك؟

### ٣- عدم رد الإساءة

وفي جو الاستعلاء الزبيري تعرض نفر الى رجل من آل الزبير وأسمعه كلمات سيئة، فاعرض الزبيري عنه ولم يرد عليه لانه رأى نفسه اكبر من الرد على الرجل لشخصه او للمفردات التي استعملها في كلامه.

ثم استمر الحديث فسب ذلك الزبيري الامام عليه السلام، فأعرض عنه الامام ولم يجبه، فقال له الزبيري: ما يمنعك من جوابي؟

فقال الامام عليه السلام: ما يمنعك من جواب الرجل؟[2]

اعتقد الزبيري انه كبير في شأنه وعليه أن لا ينزل الى مستوى من يتعرض له بالاهانة، واذا هو تعرض لاحد فعليه ان يتكلم معه ويجيبه، والظاهر انه لم يفهم ان هناك من هو اكبر منه في نفسه وشأنه واخلاقه لذلك استغرب من الامام عليه السلام عندما رفض الرد عليه.

والذي يُفهم من القصة ان الامام عليه السلام بكلامه معه انه لماذا لم يرد على الرجل هل

---

(١) مناقب بن شهر آشوب، ج٣، ص٢٩٦.
(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٢ ، ص٣١٩.

كان السبب علو الشخصية؟ اوالكلمات التي استعملها او كلاهما؟ فان ذلك هو نفس السبب والدافع الذي يمنع الامام عليه السلام من اجابته، وفي هذه الطريقة تعلم الطرف الآخر انه يعيش مستوى هابطاً ويتحدث بمفردات لاتليق الرد عليها.

### ٤- رحابة الصدر

الانسان ذو الصدر الرحب والهمة العالية وصاحب الرسالة له عقلية اكبر من ان يتأثر بكلام من رجل مندفع لايعرف الواقع، ولكن عامة الناس ليسوا بهذا المستوى من الفهم وسعة الصدر ولذلك فانهم يتعاملون مع بعضهم بنفس المستوى من السلوك، او انهم يملكون سلوكا رفيعاً ولكنهم لا يملكون صدرا واسعا فينجرون الى الحديث الذي يجب ان لا ينجروا اليه.

خرج الامام يوما فلقيه رجل فسبّه، فثارت اليه العبيد والموالي.

فقال الامام عليه السلام: مهلا كفوا.

ثم اقبل على ذلك الرجل فقال: ما ستر عنك من امرنا اكثر، الك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل فالقى اليه الامام خميصة كانت عليه، وامر له بألف درهم، فكان ذلك الرجل بعد ذلك يقول: اشهد انك من اولاد الرسل[١].

وهذا ادب قرآني رفيع حيث الانسان عبد الاحسان، وقد يندفع في عدائه من دون ان يعرف الواقع فاذا عرف الواقع تغير موقفه، وافضل وسيلة هو الزيادة في الاحسان حيث يقول سبحانه: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[٢].

### ٥- رد الشتم بالموعظة

شتم رجل الامام زين العابدين عليه السلام فقال الامام له: يا فتى ان بين ايدينا عقبة كؤودا، فان جزتُ منها فلا ابالي بما تقول، وان اتحير فيها فانا شر مما تقول.[٣] ان هذا الرد من

---

(١) المصدر، ص٢٩٣.
(٢) فصلت، ٣٤.
(٣) مناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٩٦.

الامام قفز بالرجل الى موقع الآخرة حيث المستقر الدائم، وحيث الحساب هناك، والفائز هناك هو بحق الفائز الابدي. اما في هذه الدنيا فان هذه الكلمات التي تثير المخاصمة من سمات وصفات واخلاق المتكلم فهناك تظهر بين يدي الله سبحانه، والذي لا يعبر العقبة -اي الامتحان- فهو بحق يستحق اسوء النعوت حيث ليس هناك اسوء من عاقبة جهنم.

### ٦- الصبر على الإساءة

ان تجنب الامام عليه السلام الرد على المسيئين اليه، او الرد في بعض الاحيان وبمزيد من الاحسان، تكمن وراءه فلسفة اخلاقية عميقة ورفيعة المستوى لايفهمها الا اصحاب الهمم العالية والنفوس الكبيرة التي وهبها الله سبحانه اشراقات من نور.

ويضع الامام اصبعه على موقع الفهم لعدم الرد بأنه يورث الذل، حيث ان المعتدي باليد او بالكلمات يثير بعمله هذا كوامن الغيظ في نفسية الإنسان، وان استعمال أداة الغيظ هو من السمات السيئة التي تورث الذل.

ولا يقابل الذي ينال الانسان الشريف ملء اليد ذهبا، وفي المقابل فان الرد على المسيء يعني القبول بوضع الانسان نفسه مقابل المعتدي المسيء، وهذا يأنف منه الرجل ذو الهمة العالية وصاحب الرسالة.

يقول الامام زين العابدين عليه السلام:

ما أحب أنَّ لي بِذُلِّ نفسي حمر النعم، وما تجرعت من جرعة احب إليّ من جرعة غيظ لااكافيء بها صاحبها[١].

نعم ان صاحب الرسالة في الامة وداعية التغيير في المجتمع يجب أن يتحمل جرعات وغصات الالم ولايسير وراء هواه في النزول الى المستوى الهابط الذي يعيشه البعض، ومن هنا يأتي الصبر على المشاكل بانه يمثل رأس الايمان، ومن لا يصبر فان ايمانه ضعيف كما قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، فمن لا صبر له لا ايمان له[٢].

(١) الكافي، ج٢، ص١٠٩.
(٢) تحف العقول، ابن شيعة الحراني، ص٢٠٢.

# [٦]

# الامام وضيوفه

يسجل الامام زين العابدين عليه السلام اشراقة اخلاقية من سلوكه الايماني في تعامله مع ضيوفه وأصهاره، وكيف يقبل عليهم بوجهه الطلق مرحبا بهم، ولايدع احدا يعكر الجو الضيافي على ضيوفه مهما كان السلوك الذي يصدر من الضيف مادام لم يتعد حدود الله سبحانه.

كما انه عليه السلام كان يشغل وقت ضيفه بالاقبال عليه والتحدث معه وعدم اشعاره بالوحدة وعدم الاعتناء به، ومجموع هذه المساحات تشكل ارضية طيبة وسُنّة حسنة في التعامل مع الضيف وهذه نماذج من تعامله مع ضيوفه:

١ - «كان علي بن الحسين عليهما السلام إذا أتاه ختنه (أي: صهره) على إبنته او على أخته بسط له رداءه وقال: مرحبا بمن كفى المؤونة وستر العورة»[١].

والامام عليه السلام يشعر هذا القريب انه شريك معه في حمل الاعباء الاقتصادية للعائلة، وكذلك متعاون مع العائلة في ستر عورتها وصيانة شرفها، وهذه تعابير ومفردات تعبر عن واقع الحالة الاجتماعية في عوائلنا ومجتمعاتنا.

ويثبت الامام عليه السلام سلوكا خاصا لاصحاب الفضل والمعروف -وهم من كفى المؤونة وستر العورة- انه يفرش رداءه له ليجلس عليه، وهذا زيادة في الاحترام كما فعل جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع شيماء ابنة حليمة السعدية عندما أُسِرَت حيث رد معروف امها

(١) الكافي، ج٥، ص٣٣٨.

حين فرش لها رداءه واجلسها عليه[١] وهذه حالات خاصة يمارسها اهل العصمة مع من اسدى المعروف لهم.

٢- دخل على الامام زين العابدين عليه السلام نصر الطائي فسأله الامام عن انتمائه فأجابه: من طي.

فرحب به الامام بقوله: حياك الله وحيا قوما عزيت اليهم.. نعم الحي حيك.

فرد الطائي السؤال على الامام عليه السلام وقال: من أنت؟

اجابه الامام: علي بن الحسين.

عاد الطائي يسأل: او لم يُقتل بالعراق مع أبيه؟

اوضح له الامام: لو قُتِل يا بني لم تره..[٢].

ويظهر من لفظ الامام (يا بني) ان السائل كان شابا واللقاء كان في العقد الاخير من عمر الامام عليه السلام، كما ان سؤال الطائي بـ (من أنت؟) لم يستنكره الامام، بل اوضح له اسمه وما لبس عليه من حادثة كربلاء.

٣- دخل على الامام زين العابدين عليه السلام احد اعدائه فقال له:

هل تعرف الصلاة؟

فانبرى ابو حازم وهو من اصحاب الامام فاراد الوقيعة به فزجره الامام وقال له: «مهلا يا ابا حازم، ان العلماء هم الحلماء الرحماء» ثم التفت الى الرجل بلطف وقال له: نعم اعرفها.

سأل الرجل عن بعض خصوصيات الصلاة فاجابه الامام عنها فخجل الرجل، وراح يعتذر للامام ويقول له: ما تركتَ لأحدٍ حُجّة[٣].

والمشكلة عند البعض انه يعتقد ان الناس كلهم في حالة واحدة من الفهم والمعرفة

---

(١) البداية والنهاية، إبن كثير، ج ٤، ص٤١٨.
(٢) تاريخ دمشق، ج٣٦، ص١٤٥.
(٣) الامام زين العابدين، باقر شريف القرشي، ص٦٨.

ولذلك يريد ان يتعامل مع الآخرين بنفس المستوى لاهل المعرفة والعلم. والواقع ان الناس ليسوا هكذا حيث الكثير منهم لا يملكون هذا المستوى الثقافي.

وكذلك يتصورون ان الذين يعتقدون بهم من الائمة الاطهار صلوات الله عليهم او علماء الأمة تعرفهم الناس كافة بنفس الحالة من الاعتقاد الذي هم يعيشونه ويتعاملون به معهم، والواقع ان هناك اعداء وجهال ومغرر بهم وكل هؤلاء يتحدثون مع الأئمة الأطهار او العلماء بطريقة غير لائقة، ولكن بعد سماع الرد وطريقة الرد فانه يغير رأيه بالامام والعالم، وعليه لابد من اعطاء الفرصة للمتحدث ليعبر عن افكاره ثم يرد بالذي هو من شأن المتحدث.

وامثال هذا السلوك كثيرا ما عاشه رسول الله ﷺ والائمة الاطهار عليهم السلام، حيث كانت طريقة ردهم سببا في هداية البعض للاسلام او رجوعهم لخط اهل البيت عليهم السلام، وقد صادفتُ مرارا في رحلات الحج ان البعض وعندما نعيش معه في غرفة واحدة خلال فترة موسم الحج يسأل مني انت شيخ فلان؟ اقول له: نعم. وقبل الذهاب الى عرفات يطلب مني براءة الذمة فأسأله عن سبب ذلك فيقول: رايت منك امورا هي على خلاف ما كان ينقله البعض عنك، فأجيبه ان التنافس يخلق هكذا حالة وغفرالله لنا جميعا.

وحالة الاستماع للضيف والرد الايجابي هي التي عبر عنها الامام عليه السلام بقوله: ما جلس إليّ أحد قط الا عرفت له فضله حتى يقوم[1]. لان لكل قادم كرامة، والانسان عبد الاحسان، والله سبحانه يقول: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[2].

## أدب التعامل الإجتماعي

وهذا هو أدب القرآن والإسلام وسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين يتمنون على شيعتهم أن يسلكوها في التعامل الاجتماعي فيما بينهم او مع غيرهم.

---

(١) أدب المجالسة، ابن عبد البر، ص٣٤.

(٢) فصلت، ٣٤.

وقد عُرِف عن الامام زين العابدين عليه السلام تميزه في معاملته الاخلاقية الرفيعة مع الضعفاء وخاصة مع إمائه، حيث من المعروف ان هؤلاء يشكلون طبقة اوطأ من الخدم حيث هم -حسب قانون ذلك الوقت- ملك يتصرف بهم ويحاسبهم بالطريقة التي يراها سيدهم ومالكهم، ولكن الامام عليه السلام كان يتعامل معهم بكل رحمة ولطف وحنان، وخاصة عندما تصدر منهم بعض الاخطاء ولا يلتزمون بواجباتهم او يسيؤون التصرف، فان الامام عليه السلام تتجلى موقعية امامته في التصرف معهم من منطلق العفو والصفح عنهم والاحسان اليهم.

وكانت هذه الظاهرة بادية في سلوك الامام عليه السلام معهم. وهذه نماذج من سلوك الامام:

١- عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ان ابي ضرب غلاماً له قرعة واحدة بسوط، وكان بعثه في حاجة فأبطأ عليه، فبكى الغلام وقال: الله يا علي بن الحسين تبعثني في حاجتك ثم تضربني؟ قال: فبكى ابي وقال: يا بني اذهب الى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فصل ركعتين ثم قل: اللهم اغفر لعلي بن الحسين خطيئته يوم الدين. ثم قال للغلام: اذهب فانت حر لوجه الله.[١].

٢- كسرت جارية له قصعة فيها طعام فاصفر وجهها فقال لها: اذهبي فانت حرة لوجه الله[٢]. وبذلك اعاد لها توازنها النفسي، لتستقر وتؤدي دورها في الحياة كامرأة لها قيمتها في المجتمع.

٣- كان عند الامام زين العابدين عليه السلام قوم اضياف فاستعجل خادما له بشواء كان في التنور، فاقبل به الخادم مسرعا فسقط السفود (حديدة يشوى عليها اللحم) منه على رأس بني لعلي بن الحسين عليه السلام تحت الدرجة فأصاب رأسه فقتله، فقال علي بن الحسين عليه السلام للغلام -وقد تحير الغلام واضطرب-: انت حر فانك لم تتعمده. واخذ في جهاز ابنه ودفنه[٣].

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص٩٢.
(٢) مناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٩٦.
(٣) كشف الغمة في معرفة الائمة، ج٢، ص٢٧٣.

٤- كان اذا سافر يصلي ركعتين ثم يركب راحلته واذا بقي مواليه يتنفلون وقف ينتظرهم فقيل له: ألا تنهاهم؟ فيقول: اني اكره ان انهى عبدا اذا صلى، والسُّنّة أحبّ الي[١].

هذا السلوك من الامام عليه السلام مدرسة تربوية الى اولئك الذين عندهم خدم وعمّال يقدمون لهم الخدمات حيث يسلبون منهم تمتعهم في اجراء مراسم العبادة بما يشبع روحهم ويملأ الفراغ الذي يحسون به هم وليس الاخرون.

هذه خصلة لايفهمها الا من وهبه سبحانه ايمانا صادقا ورسالية ربانية، والا فان الناس ينظرون الى هذه الشريحة من الناس على انهم طبقة ثانية في الامة لامن حيث المستوى الثقافي والعلمي والاقتصادي وانما من حيث الخلقة والتركيب النفسي، لذلك لايعيرون لهم ادنى اهتمام كما يظهر من الذين رافقوا الامام عليه السلام حيث طلبوا منه عليه السلام ان يردع مواليه من التشبع من العطاء الروحي للصلاة حيث يؤدون النوافل.

وكان رد الامام عليه السلام ليس فقط دعهم يكملوا النوافل بل رسم سنة حيث قال: (والسُّنّة -اي النوافل- احبُّ الي).

٥- دعا الامام زين العابدين عليه السلام مملوكا له مرتين فلم يجبه وفي الثالثة قال له الامام: يا بني اما سمعت صوتي؟

أجاب المولى: بلى.

قال الامام: فما بالك لم تجبني؟

قال المولى: امنتك؟

فقال الامام عليه السلام: «الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني»[٢].

## التسامح من اخلاق المعصومين

وبذلك نكون قد عرفنا عن الامام عليه السلام مدى تسامحه مع خدمه وذلك: اما انه

(١) المحاسن، ج١، ص٢٢٣.

(٢) تاريخ دمشق، ج٣٦، ص١٥٥.

بحلمه وعفوه لاينزل العقوبة بالمسيء منهم بل يسامحه، او انه عليه السلام يستعمل حالات تأديبية عليهم من اجل التنبه والتذكر وحتى لا يسيئووا الادب او يشعروا ان مولاهم ضعيف الشخصية وغير قادر على ضبطهم وادارتهم، ولكنه عليه السلام بعد ذلك يعطف موقفه بالاحسان اليهم اما بالعتق او تقديم هدية ويرفقها بهدية وعتق او طلب الصلاة والدعاء له بغفران الذنوب.

وطبيعة الضربة التأديبية هي غير قاسية ويأتي بعدها اعتذار من المولى مع عتق او هدية فهي اربح من العفو وحده في حساب الموالي ولذلك ففي كلا الحالتين ليس هناك هدف جدي من الامام عليه السلام في العقوبة وهذا ما عبر عنه هذا المولى بقوله: أمنتك، وفي رواية اخرى امنت عقوبتك. والمؤسف ان بعض الذين يعملون في تقديم الخدمات لايصل ادراكهم الى مستوى التعامل بالعطف والحلم، وانما يستغلون هذه الحالات ليس باعتبارها حالات اخلاقية وانما يحسبونها حالات ضعف وعجز فيتصرفون بعدم المبالاة والالتزام والاساءة، وهنا تاتي حالات الحزم الاداري والموقف المتشدد من اجل توازن الامور وطبيعة العلاج ترجع الى المستوى الاخلاقي للمسؤول ومقدار تقديره للامور.

والذي عُرِف عن سلوك المعصومين عليهم السلام انهم لم يسمحوا لانفسهم باستعمال الفاظ نابية او قوة ضد امثال هؤلاء (العبيد) وانما كانوا يشعرون امثال هذه الشريحة انهم في سلوكهم هذا يأبقون من الدين كما يخرج السهم من القوس، وفي احيان اخرى كان يرسم لهم مستقبلهم الاسود كمؤشر على انحرافهم وابتعادهم عن الحق:

١- ففي حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء رجل يُعرف بذي الخويصرة او ذي الثدية واسمه حرقوش بن زهير، واخذ بتلابيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إعدل يا محمد. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قد عدلت، فقال له ثانية: اعدل يا محمد فانك لم تعدل، فقال عليه السلام: ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

سيخرج من ضئضئ هذا -اي من جنس هذا- قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر احدكم الى نصله فلا يجد شيئا، فينظر الى نضيه- اي السهم قبل ان يريش- فلا يجد شيئا ثم ينظر الى القذذ - ريش السهم- فكذلك، سبق الفرث والدم،

يخرجون على حين فرقة من الناس، تُحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم، وصومكم عند صومهم، يقرؤون القرآن لايجاوز تراقيهم،آيتهم رجل اسود -او قال ادعج- مخدج اليد، احدى يديه كأنها ثدي امرأة او بضعة تدردر)[١].

وحدثت معركة النهروان بقيادة أمير المؤمنين عليه السلام، فلما فرغ أمر اصحابه ان يلتمسوا المخدج، فالتمسوه فقال بعضهم: ما نجده. حتى قال بعضهم: ما هو فيهم، وهو يقول: «والله إنّه لفيهم، والله ما كَذِبْتُ ولا كُذِّبْت» ثم انه جاء رجل فبشره، فقال يا أمير المؤمنين قد وجدناه، فوجدوه في حفرة على شاطئ النهر في خمسين قتيلا، فلما استخرجه نظر الى عضده فاذا لحم مجتمع كثدي المرأة، وحلمة عليها شعرات سود، فاذا مدت امتدت حتى تحاذى يده الطولى ثم تُترك فتعود الى منكبيه.

فلما رآه قال: «الله اكبر ما كَذِبْتُ ولا كُذِّبْت»[٢].

٢- عندما اشتدت فتنة الخلافة في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ناشد الناس في رحبة القصر -او قال رحبة الجامع بالكوفة- ايكم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»؟.

فقام اثنى عشر رجلا فشهدوا بها، وانس بن مالك في القوم لم يقم، فقال له علي بن أبي طالب: يا انس، ما يمنعك ان تقوم فتشهد، ولقد حضرتها؟ فقال انس بن مالك: يا أمير المؤمنين كبرت ونسيت. فقال علي بن ابي طالب: «اللهم ان كان كاذبا فارمه بها بيضاء لاتواريها العمامة». قال طلحة بن عمير: فوالله لقد رأيت الوضح به بعد ذلك ابيض بين عينيه[٣].

ويروي غيره انه كان كلما ينزل العمامة ليغطي الوضح كان الوضح ينزل الى اسفل ويظهر للناس. والامام وهو في موقف حرج -ظاهريا- امام الناس وبحاجة الى جمهور الشهود وانس منهم وتخلّف عن الشهادة، ولكن الامام لم يستعمل كلمات جارحة، وانما دعا عليه ان كان كاذبا وهذا ابلغ من الكلام.

(١) شرح نهج البلاغة، لابن ابي الحديد، ج٢، ص٢٦٦، نقلا عن المبرد في الكامل
(٢) الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٤٨.
(٣) شرح نهج البلاغة، لابن ابي الحديد، ج٤، ص٧٤.

٣- ان عليا عليه السلام رأى الحسن البصري وهو يتوضأ للصلاة وكان ذا وسوسة فصب على أعضائه ماءً كثيراً.

فقال الامام عليه السلام: أرقت ماءً كثيرا يا حسن؟

فقال الحسن البصري: ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين اكثر؟

قال الامام عليه السلام: أو ساءك ذلك؟

قال الحسن البصري: نعم.

قال الامام عليه السلام: فلا زلت مسوءا.

قالوا: فما زال الحسن البصري عابساً قاطباً مهموماً الى ان مات[١].

وكذلك هنا، الامام عليه السلام لم يستعمل الفاظا جارحة او كلمات غير لائقة وانما دعا عليه مما جعله عبرة لغيره الى ان مات، بل هو ذكر لاستجابة دعاء الامام عليه السلام الى ان تقوم الساعة.

٤- قال نصراني للامام الباقر عليه السلام: انت بقر؟

قال الامام عليه السلام: انا باقر.

قال النصراني: انت ابن الطباخة؟

قال الامام عليه السلام: ذاك حرفتها.

قال النصراني: انت ابن السوداء الزنجية البذية.

قال الامام عليه السلام: «ان كنتَ صدقت غفر الله لها، وان كنتَ كذبت غفر الله لك».

قال الراوي: فاسلم النصراني[٢].

---

(١) المصدر، ص٩٥.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص٣٣٧.

[٧]

# الامام وحركة الامة

يوجد في الصحيفة السجادية دعاء تحت عنوان الدعاء لاهل الثغور، اي لأولئك الذين يحرسون الحدود ويرابطون عند منافذها لحراستها ومراقبة تحركات العدو، وهو عمل مستحب شرعا ويفضل للمؤمنين الرساليين تأدية هذا الدور. والذي يتوقف عند الدعاء ويتدبر بواعث الامام عليه السلام لتأدية هذا اللون من الدعاء يطلع على مكامن ذلك.

فمن المعروف ان الامام عزف عن الدخول في العمل السياسي والوقوف وجها لوجه وعلنا امام السلطة، بل توجه الى مهام اخرى- كما بينا في فصول الكتاب- وعليه فان الامام كان يدعو للحالة العامة التي تعيشها الامة.

حيث ان الامام عليه السلام عاش اكثر فترات امامته في حكم الطاغية عبد الملك بن مروان من سنة ٦٥هـ الى سنة ٨٦ هـ.

في مواجهة التهديدات

وفي زمن عبد الملك تعرضت الحدود الاسلامية الى تهديد من قبل الامبراطورية الرومية وقد استعان عبد الملك بن مروان عبر واليه على المدينة الحجاج بن يوسف الثقفي في الرد على امبراطور الروم بالامام زين العابدين عليه السلام.

اذ كتب ملك الروم الى عبد الملك: أكلتُ لحم الجمل الذي هرب عليه ابوك من المدينة، لأغزونّك بجنود مائة الف ومائة الف ومائة الف. فكتب عبد الملك الى الحجاج ان يبعث الى زين العابدين عليه السلام ويتوعده ويكتب اليه ما يقول ففعل.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: ان لله لوحا محفوظا يلحظه في كل يوم ثلاثمائة لحظة، ليس منها لحظة الا يحيى فيها ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء، واني لأرجو ان يكفيك منها لحظة واحدة.

فكتب بها الحجاج الى عبد الملك.

فكتب عبد الملك بذلك الى ملك الروم فلما قرأه قال: ما خرج هذا الا من كلام النبوة[١].

كما ان اوسع الفتوحات الاسلامية كانت في زمن عبد الملك بن مروان حيث وصل الفتح الإسلامي الى الاندلس، واصبحت راية الإسلام هناك خفاقة وقد تعرضت الجيوش الاسلامية الى تهديد وحصار حتى استقر لها الامر وفتحت القلاع المرموزة التي وجدت في بعضها الواح تحمل وثائق دينية فيها اسماء اهل البيت[٢] عليهم السلام.

وفي تلك الفتوحات تعرض الجيش الإسلامي الى صعاب وابادة، كما أُسِر قسم منهم على يد ملكة افريقيا (الكاهنة) واتخذت أحدهم إبنا لها «فقُتِل المسلمون جميعهم، لم يفلت منهم احد، وأُسِر محمد بن اوس في نفر يسير»[٣].

وقد ورد في التاريخ: «واقتتلوا أشد قتال رآه الناس، فانهزم المسلمون وقُتِل منهم خلق كثير، واسر جماعة كثيرة اطلقتهم الكاهنة سوى خالد ابن يزيد القيسي وكان شريفا شجاعا فاتخذته ولدا»[٤].

كما ان الروم اغاروا على الدولة الاسلامية في افريقيا وقتلوا المسلمين واسروا جماعة منهم واخذوهم معهم الى بلادهم[٥].

«واغار-الروم- على برقة فأصابوا منها سبيا كثيرا وقتلوا ونهبوا وعاد الروم بما غنموا الى القسطنطنية».

---

(١) العقد الفريد، ج٢، ص٢٠٣.
(٢) صحيفة الابرار، ص٢٣٦.
(٣) الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٠٨.
(٤) الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٧٠.
(٥) الكامل في التاريخ، لابن الاثير، ج٤، ص١٠٨، فتح افريقيا.

مثلما وقع هذا في شمال افريقيا ايضا وكذلك وقع في شمال الدولة الاسلامية وفي شرقها وغربها في المعارك التي كانت تقع بين المسلمين وبين الروم والسند واواسط آسيا[١].

## ضعف الحالة الأمنية

وكان أحد اسباب ذلك ما حدث في وسط الزحام بين التيارات السياسية داخل الامة مما اضعف الحالة الامنية حتى تمكن قائد من ضواحي دمشق من القيام بالعصيان واعلان التمرد واتبعه جماعة من الجراجمة والانباط والروم والعبيد[٢]. والذي يقرا التاريخ ويتدبر الحالة الامنية يرتسم عنده ما يلي:

١ - ان ترامي الحدود الاسلامية شرقا الى الهند والسند، وشمالا الى روسيا الحالية، وغربا الى الاندلس، وجنوبا الى وسط افريقيا، حيث كانت تجري حروب مؤلمة دفع المسلمون فيها الكثير من التضحيات، وخاصة عند حالة الانكسار التي تقع بهم حيث كانت تُسبى فيها النساء والعذارى بحيث يتطلب الامر اقالة قائد الجيش، ولم تكن تهدأ هذه الحالة، فما تسكن جبهة حتى تثار جبهة اخرى وتمرد في موقع آخر وهذه الحالة كانت مستمرة.

نعم ان الحالة لم تكن كلها انكسارات حيث مؤشرات الانتصار واضحة في اتساع الرقعة الاسلامية ولكن الذي نقوله ان هذه الانتصارات لم تأتِ مجانا وانما دفع المسلمون ثمنا غاليا من ارواحهم واهلهم حتى تمت لهم.

٢ - ان الجبهة الداخلية في الفترة التي عاشها الامام زين العابدين عليه السلام من ٦٢ - ٩٥هـ شهدت تصدعا كبيرا، خاصة في العقد الاول ٦٢ - ٧٢ هـ حيث الصراعات الداخلية التي اكلت من المسلمين عشرات الالاف وسلبتهم الامن والاستقرار[٣].

وخاصة في قلب العالم الإسلامي وهو العراق والحجاز والشام، فما انتهت المعارك

(١) نفس المصدر، ص١١٠.

(٢) نفس المصدر، ص٣٠٤.

(٣) كتبنا ذلك في الجزء الاول من الكتاب

بين عبد الله بن الزبير وبني امية التي وقعت في الأعوام ٦٣-٦٧ هـ حتى بدأت حركة الخوارج التي اكلت الاخضر واليابس في العراق وجنوب فارس التي قادها شبيب الشيباني والتي عبرت عن ذلك زوجة الوليد بن عبد الملك في حديثها مع الحجاج الثقفي حيث قالت له: «ولطالما نفض نساء أمير المؤمنين المسك عن غدائرهن وبعنه في الاسواق حتى أخرج في أرزاق البعوث اليك»[1].

وما أن انتهت معارك الخوارج حتى ثار اهل العراق برمزية وقيادة عبد الرحمن بن الاشعث واستمرت اكثر من عشر سنوات، وكانت هذه الحالة في مناطق اخرى من العالم الإسلامي، والذي يراجع كتب التاريخ يلاحظ ذلك وان الدماء التي تسيل على الحدود او على جبهات الداخل انما هي دماء اسلامية، والامام زين العابدين عليه السلام بعنوانه إمام الأمة تهمّه هذه الاحداث وان كان ليس له دخل فيها ولكن الانسان المسلم العادي يهتز ضميره لما يجري فكيف بالامام عليه السلام.

ودعاء الامام عليه السلام لأهل الثغور يعبر عن هذا الوعي والاهتمام بأمور المسلمين، حيث اننا وعندما نقرأ فقرات الدعاء يظهر لنا هذا الوعي والمسؤولية، وهذا الوعي من الامام عليه السلام ليس المعني به الحاكم الاموي وانما هي الامة الاسلامية وطاقتها البشرية التي كانت تتعرض للتلف والخسران.

وعلى الرغم من ان الامام زين العابدين عليه السلام لم يكن هو المتصدي للحكم وليس له علاقة ايجابية معه بل علاقته سلبية ولكن كيان الامة السياسي كان يهم الامام عليه السلام فهو يدعو لحفظ كيان الامة وليس الحاكم.

في الوقت الذي نرى في عصرنا الحاضر ان الامام الخميني تمكن من انجاز عظيم هوتأسيس دولة اسلامية في ايران يحكم فيها مذهب اهل البيت عليهم السلام نرى ان بعض علماء الدين -بسبب التنافس لا غير- يحاولون النيل من هذا الكيان وتسليط الضوء على سلبيات التجربة والنيل منها، على الرغم من ان عزتهم بهذا الكيان وامنهم ببركة هذا الكيان، حيث يوفر لهم كل مستلزمات الامن ولكن ليس هناك من عصمة.

وسلوك الامام عليه السلام يظهر عظمة الائمة ونظرتهم الثاقبة وتجردهم من العواطف

(١) مروج الذهب، للمسعودي، ج٣، ص١٥٩،

وذوبانهم في ذات الله، ونحن بحاجة الى الاقتداء بالائمة الاطهار عليهم السلام في هكذا موقف تهم الوجود الإسلامي والدفاع عن هكذا مفردات.

مثلما نرى في تاريخنا المعاصر ان علماءَنا -رضوان الله عليهم- مارسوا مواقف استقوها من حياة ائمة اهل البيت عليهم السلام حيث وقفوا مع الدولة العثمانية ضد الانكليز عندما احتل الانكليز العراق على ما كان بين علمائنا والعثمانين من عدم التفاهم بسبب العصبية التركية ومجابهتهم لمذهب اهل البيت[1] عليهم السلام.

(١) راجع الكتب التي تحدثت عن ذلك امثال ثورة ١٥ شعبان لعباس كاظم وقيام الدولة القومية في العراق لحسن العلوي.

[٨]

# الامام والموالي

شكّل الموالي (أي العبيد) ظاهرة بارزة في الامة، حيث كثرة العدد والتواجد الظاهر في المجتمع، إذ كانت ظاهرة استعمالهم للخدمة والعمل في البيوت حالة واضحة وخاصة بيوت الاشراف والرموز الإجتماعية.

وفي زمن الامام زين العابدين عليه السلام الذي عاصر حكم عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بن عبد الملك، توجّه عبد الملك بن مروان -وبالذات بعد قضائه على الحركة الزبيرية في الحجاز والعراق- توجه صوب توسعة الرقعة الاسلامية وخاصة في افريقيا وتمكن من ان يغنم من الاموال ما لايعد من الذهب والمجوهرات وحتى كانت عبارات المؤرخين (ما الله اعلم به)[١].

وفي الاندلس تمكن طارق بن زياد وموسى بن نصير من العثور على مائدة وعرش سليمان وهذه الثروة بطبيعتها ترفع من المستوى المعاشي للمجتمع وخاصة اصحاب الوجاهة والرموز الاجتماعية في الامة حيث يدفع لهم الحاكم الهدايا والعطايا ويقضي حوائجهم هذا فضلا عن العطاء الثابت سنويا.

وكذلك غنم المسلمون من هذه البلاد اكثر من ٦٠ الف مسبي، وتحول كل هؤلاء الى موالي بداخل الامة، ونص عبارة ابن الاثير هي: فبلغ الخمس ستين ألف رأس من السبي ولم يذكر احد ان سمع بسبي اعظم من هذا[٢]. وتكفي حالة واحدة نقلها ابن

(١) الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ج٤، ص٥٤٠.

(٢) المصدر، ص٥٤١.

الاثير انه عندما عاد الجيش الإسلامي الى دمشق جلب معه ٣٠ الف جارية بكر[١].

وهذا العدد الهائل من النساء تحولن الى بيوت المسلمين كل حسب حظها من حيث الخبرة والمهارة والجمال، وهذا يؤكد ان العرض للموالي كان متوفرا وبجانبه المال الوفير الذي وصل لدار الحكم وبعد ذلك وزع على الوجوه كما بينا، هذا فضلا عن الاماكن الاخرى في الشرق والشمال التي كان يحصل فيها ما يقارب ما يحصل في الاندلس وافريقيا.

## الامام وتغيير النظرة الى الموالي والإماء

وقد كانت ظاهرة الانجاب من الموالي غير مرغوب فيها من قبل اهل المدينة للوضع الاجتماعي الذي كان انذاك، ومن اهم اسبابه هو عدم الرغبة في ان يكون الولد وفيه عرق غير عربي، وكانوا يرون ان ذلك يؤثر على موقع الابن بين الامة في كفاءته او احترام الناس اليه، حتى كان موقع الامام زين العابدين عليه السلام فتغيرت نظرتهم لذلك.

«وكان اهل المدينة يكرهون اتخاذ الاماء امهات لأولادهم حتى نشأ فيهم علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه، وفاق اهل المدينة فقها وعلما وورعا فرغب الناس في اتخاذ السراري»[٢].

واصبحت ظاهرة الموالي في المدينة المنورة واضحة جلية بسبب ان المدينة كانت تعتبر العاصمة العلمية للدولة الاسلامية حيث قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي يتزاحم عليه اهل العلم والدين ويفضلون العيش بالقرب منه مثلما ان العاصمة السياسية هي دمشق، كما كانت المدينة المنورة مدرسة التابعين والفقهاء الذين تخرجوا منها والتي ادارها الفقهاء السبعة الذين عرفوا بالتابعين او عموم الفقهاء الذين كانوا في المدينة المنورة[٣]، وماتوا فيها او حولها، وكان الحكام وبشتى الدوافع يعمدون الى مد الجسور معهم لارضائهم حيث يصلوهم بالهدايا والعطاءات، كما ان المدينة المنورة تضم ابناء واحفاد المهاجرين والانصار واصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهؤلاء يشكلون رمزية التاريخ الإسلامي

(١) راجع مروج الذهب او الطبري.
(٢) تاريخ الإسلام، ج٢، ص٤٣٣، حسن ابراهيم حسن.
(٣) ستتعرض لذلك في فصل الدور الثقافي للامام.

والانتماء الجهادي الاول، وبالتالي فانهم يشكلون رمزية الامة، والعطاء لهم امر لابد منه، والا فانهم يشكلون معارضة مقدسة ضد الحكم في الشام، خاصة وقد عرفوا بذلك.

«حيث انهم كانوا لارتباطهم باليمانيين من العرب في نسبهم يكرهون بني امية ويعتبرونهم مغتصبين للحكم وخاصة بعد واقعة الحرة»(١).

بل انهم اعتقدوا بشكل اعمق واكثر من هذا، حيث غصب الخلافة، لمعرفتهم ان معاوية بن ابي سفيان طليق لايستحق الخلافة، وان سيرة معاوية معهم كانت بغلق منافذ العطاء عليهم الا القليل، وان حياة يزيد بن معاوية عرفت عندهم بانها مليئة بالفحش والمجون والخمر وترك العبادة(٢).

ولما كانوا هم والفقهاء لاينسجمون مع السلطة في الشام فانهم دائما ما كانوا في محل لوم وعتاب، بل انهم كانوا يتعرضون لتطاول الحكام عليهم في بعض الاحيان من امثال الحجاج الثقفي وعبد الملك بن مروان وخالد القسري وقدنقلنا مفردات الفاظهم سابقاً.

كما ان في المدينة المنورة رمزية الرسالة واهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبنو هاشم الذين كان لهم المقام المقدس في نفوس الامة وكل صاحب دين. ومجموع هذه العوامل كانت تأتي المدينة بالاموال التي تمكنهم من اقتناء الموالي والاستفادة منهم في تقديم الخدمات في البيوت والضيع والاعمال.

### ١- تأثير الاجواء الاجتماعية على الموالي والعبيد

وكان الموالي يتأثرون في الجو العائلي الذي يقعون فيه، ويصطبغ سلوكهم على ضوء ذلك على العموم، حيث انهم مملوكون يفقدون القدرة على الرفض كما -بينا- حيث ان الكفاءة عند الرجال منهم كانت تدفع بهم الى مواقع مهمة، كما ان الجمال والصوت والمهارات المنزلية كانت تشكل عاملا في ان تأخذ الجارية قسطا من الموقع الهام في داخل العائلة، كأن تكون ام اولاد الرجل حيث يتزوجها سيدها وينجب منها.

والبعض منهن كن يعلّمن ويثقفن ويدربن على الرقص والغناء، وكان يتم بيعهن

(١) تاريخ الإسلام، ج٢، ص٦، حسن ابراهيم حسن.
(٢) راجع فصل ثورة المدينة.

بأجور باهضة حسب الجمال والغناء والرقص، وكان الامويون يدفعون بهذا اللون من الفتيات الى المدينة ليشغلن الناس حتى يعرضوا عن التدخل في الشؤون العامة للدولة، وسنعرض لذلك في فصل آخر.

وبسبب الوضع الاجتماعي المنحل في بيوت الحكام والامراء الامويين فانهم كانوا ياخذون الموالي المخصصين للخدمة في البيوت ويخصونهم حتى تتوقف الشهوة الجنسية المادية وليس الروحية عندهم، فلايقدرون على عمل شيء من الممارسة الجنسية مع النساء وان طلبن هن ذلك، وطبعا هذه سُنّة مارسها كل الحكام واصبحت ظاهرة في بيوت الحكام والامراء والرموز الاجتماعية على طول التاريخ الإسلامي من امويين وعباسيين وعثمانيين و.. «واتخذ الخصيان امناء في قصره»(١).

والمؤسف ان هذه الحالة مورست حتى في بعض خدم بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف حيث يوجد بعضهم الى الان ويعرفون بزيهم الخاص وطبعا ان هذا العمل مما اجمع عليه علماء الامة انه عمل محرم لايجوز شرعا(٢).

### ٢- الامام وظاهرة العبيد

والامام زين العابدين عليه السلام تعامل مع هذه الحالة بصورة ايجابية حيث اقتنى منهم الكثير واحسن التصرف معهم حتى يشعر المرء ان الامام عليه السلام كان عنده معهد لهؤلاء يربيهم وبعد سنة يعتقهم وقد تخرجوا من مدرسته.

وعندما يعتقهم يبقون على ولائهم للامام عليه السلام يدافعون عنه عقائديا، او حينما يتعرض الى اذى. واقتناء الامام عليه السلام لهذه الاعداد الكبيرة منهم وعتقهم -حسب الظاهر- كانت تكمن خلفه مجموعة من العوامل الدينية والاجتماعية و..

فالعامل الديني واضح، إذ فيه الاجر والثواب لمن يقدم على عتق رقبة في سبيل الله تعالى، والإسلام حث وبشكل مستمر على تحرير العبيد، وجعل كفارة كثير من الاعمال عتق رقابهم، والذي يتضح ان بعضهم كان يقتنيهم الامام عليه السلام لهذه الغاية -الثواب

(١) تاريخ الإسلام، ج١، ص٥٤٦، حسن ابراهيم حسن.
(٢) راجع كتاب شبهات حول الإسلام لمحمد قطب.

والعتق- فقط حيث كان يأخذهم قبل موسم الحج ويستفيد منهم في موسم الحج ويعتقهم في عرفات.

وكان يشتري السودان وما به اليهم من حاجة، يأتي بهم عرفات فيسد بهم تلك الفرج والخلال، فاذا أفاض أمر بعتق رقابهم واهدى جوائز لهم من المال[١].

### ٣- الإعتزاز بالعبيد

والدافع الثاني كان للحالة الاجتماعية السائدة آنذاك، حيث كان كل رمز اجتماعي يملك من هؤلاء الموالي ما يعبر عن عزه وكرامته، والامام هو اكبر رمز وكان لابد له من ان يعز نفسه ويكرمها امام اولئك الذين تكمن عقولهم في عيونهم ويقيسون شخصية الانسان بمقدار ما يملك من ظواهر الدنيا، والامام كان عنده من امثال هذا السلوك، وقد مر ان الامام عليه السلام كان يشتري الدابة بمائة دينار يكرم بها نفسه امام ضعفاء النفوس، والا فان الامام عليه السلام في نفسه وقدراته الالهية فوق ذلك.

### ٤- تزوّج الإماء

ان الامام عليه السلام كان والحالة الاجتماعية آنذاك هي إقتناء الإماء، فكل شخص كان يتخذ الأمَة ذات المواصفات النفسية والجمالية والادبية زوجة له وينجب منها، والامام عليه السلام كان بحاجة الى هذا اللون من النشاط الاجتماعي حيث هو الوحيد الذي بقي من ولد ابيه، وكان عليه ان يواصل نسل ابيه ويخلق منهم جماعة يأنس بهم وتقر عينه ويملأ اعين الناس، ويفاخر بهم، ويخلق جواً اجتماعياً منسجماً معه من اولاده واحفاده، خاصة وان الامام عليه السلام كان يتعرض الى حالات سلبية من اقربائه[٢].

وقد تمكن الامام عليه السلام بهذه الطريقة ان يكون له قاعدة اجتماعية واسعة شكلت به متراسا وامتدادا في الامة.

«ووجدنا ولد علي بن الحسين عليه السلام اليوم على حداثة عصره وقرب ميلاده اكثر

(١) إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس، ج١، ص٤٤٥.

(٢) راجع فصل اخلاق الامام.

عددا من قبائل جاهلية، وعمایر قديمة(١) حتى طبقوا الارض، وملؤا البلاد، وبلغوا الاطراف»(٢).

### ٥- الاستفادة من قوة العبيد

وفي حالة اخرى ان تعامل الامام عليه السلام مع هذه الشريحة من الموالي كان يشكل قوة في داخل الامة، فمن المعروف ان خط اهل البيت عليهم السلام قد عمل الامويون على تصفيته وكان قمة ذلك هو واقعة كربلاء حيث حصد البغض الاموي ليس اصحاب الامام الحسين فقط وانما اهل بيته كذلك وقد عبر الامام الصادق عليه السلام عن ذلك بقوله: ارتد الناس بعد الحسين إلا ثلاثة... ثم ان الناس لحقوا وكثروا(٣).

والظاهر ان الارتداد هو ترك الاتصال باهل البيت عليهم السلام، وكان واضحا موقف قريش والانصار من اهل البيت عليهم السلام، فهو اما امتداد للبغض الاموي الموروث تجاه اصحاب الرسالة او ان المصالح الحياتية من جاه ومال وحكم كانت بيد غيرهم، وهذه طبيعة الناس حيث يدورون وراء مصالحهم، وكان تعبير الامام الحسين عن ذلك في عرصات كربلاء في منتهى الدقة حيث قال: الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على السنتهم، يحوطونه ما درت معايشهم، فاذا مُحِّصوا بالبلاء قلّ الديانون(٤).

كما ان عصر الامام شهد من التضاريس السياسية والولاءات المتعددة الشيء الكثير حيث ان الكل مشغول في التعبئة السياسية، واستمرت هذه الحالة الى سنة ٨٦هـ حيث صفيت حركة اهل العراق برمزية ابن الاشعث، ولكن الموالي لم يكن لهم موقف مسبق او موروث ضد اهل البيت عليهم السلام لذلك نجد انهم كانوا يشكلون ارضية خصبة لامتداد افكار اهل البيت عليهم السلام.

وبالفعل نجد انهم في حركة المختار كانوا يشكلون القاعدة الواسعة الصلبة التي تحركت لنصرة أهل البيت عليهم السلام، وقد قتل مصعب ابن الزبير عدداً كبيراً منهم صبرا

(١) العمایر: جمع عميرة ويعني البطن من القبائل، او الحي العظيم.
(٢) الكافي، ج١، ص٣٠٣.
(٣) رجال الكشي، ص٨١.
(٤) بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٨٣.

وذلك حين أعطاهم الامان ثم غدر بهم فأخذوهم واحدا بعد واحد للقتل وهم اكثر من ٧ الاف[١].

بل كانت للموالي مواقف معادية لاعداء المختار بن أبي عبيد، اما لطريقة تعاملهم الظالم مع الموالي ويضاف اليه حبهم لاهل البيت عليهم السلام، او هو الظلم وحده دفعهم الى موقفهم الايجابي مع المختار، وقد تحدث عن هذا الواقع كعب بن ابي كعب الخثعمي عندما جاءه شبث بن ربعي ومحمد ابن الاشعث وشمر بن ذي الجوشن وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس يستشيرونه في الخروج الى البصرة حيث مصعب بن الزبير فقال لهم:

«.. ثم معه -اي المختار- عبيدكم ومواليكم وكلمة هؤلاء واحدة، ومواليكم اشد حنقا عليكم من عدوكم، فهم مقاتلوكم بشجاعة العرب وعداوة العجم»[٢].

وعداوة العرب تظهر الحالة الشعوبية ونعرة الجاهلية التي كانت عند هؤلاء حتى دفعتهم لكرههم، وتحدث عن ذلك محمد بن الأشعث مع المهلب بن أبي صفرة حيث قال: «.. ان نساءنا وابناءنا وحرمنا غلبنا عليهم عبيدنا»[٣].

وكانت للامام عليه السلام تجربة معهم في المدينة المنورة حينما حاول الاعداء النيل من الامام عليه السلام والاعتداء عليه فثارت عليهم العبيد والموالي ومنعوهم من ان يصلوا الى الامام عليه السلام اوالنيل منه[٤].

### ٦- قضية الإماء والنيل من الامام

ان سلوك الامام عليه السلام في التوجه صوب الموالي وتشكيل قاعدة منهم اثار النعرة الجاهلية عند الحكام الامويين حيث كانوا يشعرون ان من امثال الامام عليه السلام يجب ان لايتعاطى هذا النوع من السلوك وهو بهذه المنزلة الرفيعة في الامة او اهل بيته وهم بنو هاشم.

وان الاثارة التي استعملها عبد الملك ضدالامام زين العابدين عليه السلام وعتب عليه

---

(١) راجع فصل ثورة المختار.

(٢) تاريخ ابن الاثير، ج٣، ص٢٣١.

(٣) نفس المصدر، ص٢٦٨.

(٤) بحار الانوار، ج٤٦، ص٩٩، رقم٨٧.

انه يتزوج الاماء تظهر حالة قوة العصبية الجاهلية مقابل التعاليم الاسلامية التي يصدع بها القرآن حيث يقول: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾(١).

كما تُظهر عدم معرفة عبد الملك في العلوم القرآنية او تاريخ الإسلام وما كان قد فعله رسول الله ﷺ في تزويج اقاربه من بنات عمته للموالي ومن هم دونهم في الوضع الإجتماعي.

انه لايعترض على زواج معاوية بن ابي سفيان من (ميسون) الكلابية وهي مسيحية حتى تربي يزيد على الثقافة المسيحية وهو ابن حاكم المسلمين وبعد ذلك اصبح هو الحاكم الإسلامي(٢).

وعُرِف بنو امية بشعوبيتهم وتعاملهم الشعوبي واثارة هذه النعرات بداخل الامة، بل اكثر من هذا اثارة القبائل بعضها ضد البعض الآخر من اجل تثبيت الوضع السياسي لآل امية(٣).

ولكن اثارة العصبية اعطت نتائج عكسية، حيث سببت تمزق الدولة الاموية واستمرارية تفاعلات تلك النعرة، فنجد ان الكلبيين مالوا الى بني امية مع مروان بن الحكم، ولكن القيسيين مالوا الى الضحاك بن قيس الذي دعا الى عبد الله بن الزبير، وكانت واقعة مرج راهط سنة ٦٥هـ فتأجج هذا التعصب العشائري(٤).

ولكن قضية الموالي فرضت نفسها على الواقع الإسلامي في داخل البيت الاموي فضلا عن بني العباس حتى ان الحكام الامويين تزوجوا من الموالي واولدوا منهن.

### ٧- الإنجاب من الإماء

كانت قضية الموالي من المسائل التي تطرح للنقاش وخاصة الانجاب منهن فكان

---

(١) الحجرات، ١٣.
(٢) راجع كتاب الامام الحسين لعبد الله العلايلي
(٣) نفس المصدر.
(٤) راجع تاريخ الإسلام، ج٢، ص٩، حسن ابراهيم حسن.

الوسط العام لايحبذ هذا اللون من النهج وسبب ذلك هو حالة العصبية، وعندما عُرِف عن الامام زين العابدين عليه السلام ان أُمّه غير عربية وله هذا المقام الرفيع في العلم والتقوى والامامة تغيرت هذه النظرة حيث يرد ما ذكرناه سلفا بلفظ آخر انه:

«كان اهل المدينة يكرهون اتخاذ امهات الاولاد حتى نشأ فيهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد بن ابي بكر ففاقوا اهل المدينة فقها وورعا فرغب الناس في السراري»[1].

ورصد عيون عبد الملك بن مروان الذين بثهم والي المدينة لمراقبة رموز الامة وعلى رأسهم الامام زين العابدين عليه السلام ان الامام تزوج امته.

«كان لعبد الملك بن مروان عين بالمدينة يكتب اليه بأخبار ما يحدث فيها، وان علي بن الحسين عليه السلام اعتق جارية له ثم تزوجها، فكتب العين الى عبد الملك، فكتب عبد الملك الى علي بن الحسين عليه السلام: اما بعد فقد بلغني تزوجك مولاتك، وقد علمت انه كان في اكفائك من قريش من تُمجَّد به في الصهر، وتستنجبه في الولد، فلا لنفسك نظرت ولا على ولدك ابقيت والسلام».

فكتب اليه علي بن الحسين عليه السلام: «واما بعد، فقد بلغني كتابك تعنفني بتزويجي مولاتي، وتزعم انه قد كان في نساء قريش من اتمجد به في الصهر، واستنجبه في الولد، وانه ليس فوق رسول الله صلى الله عليه وآله مرتقى في مجد ولامستزاداً في كرم، وانما كانت ملك يميني خرجت متى اراد الله عزوجلمني، بأمر ألتمس به ثوابه، ثم ارتجعتها على سنته، ومن كان زكيا في دين الله فليس يخل به شيئ من امره، وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة، وتمم به النقيصة، واذهب اللؤم، فلا لؤم على امرئ مسلم، انما اللؤم لؤم الجاهلية. والسلام».

فلما قرأ الكتاب رمى به الى ابنه سليمان فقرأه، فقال: يا أمير المؤمنين لشد ما فخر عليك علي بن الحسين؟

فقال عبد الملك: «يا بني لاتقل ذلك فانها السن بني هاشم التي تفلق الصخرة وتغرف من بحر، وان علي بن الحسين عليه السلام يا بني يرتفع من حيث يتضع الناس»[2].

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب، ج٣، ص٣٠٠.
(٢) الكافي، ج٥، ص٣٤٤.

وفي رواية اخرى ان عبد الملك دمج في العتاب بين زواج الامام من مولاته وتزويج مولاه من امه.

فرد الامام عليه: لنا اسوة برسول الله ﷺ فقد زوّج زينب بنت عمه زيدا مولاه، وتزوَّج مولاته صفية بنت حيي بن اخطب(١).

واما قضية تزويجه أُمّهُ، فقد بحثناها في فصل ازواج الامام واولاده عليه السلام والذي يظهر لي ان الخبر اما موضوع او انه مغرض، لان المتحدث هو عبد الملك بن مروان وهو ليس بعيد اجتماعيا عن الامام زين العابدين عليه السلام حيث كل منهم يعرف الآخر حق المعرفة، يضاف اليه ان الامام زين العابدين عليه السلام ليس بالرجل النكرة وانما امام ورمز متكامل الكفاءات ومثله لا يُجهل حاله.

والمعروف أن لعبد الملك عيونا على هؤلاء ويسالون عنهم في كل صغيرة وكبيرة، اما للاطلاع او البحث عن النواقص ليعاب بها، وعبد الملك متزوج من لبابة بنت عبد الله بن جعفر الطيار وهي بنت عم الامام عليه السلام فلها خبر عن وضع الامام عليه السلام.

ويظهر لي ان التهمة مغرضة يراد بها الاثارة على الامام عليه السلام وانها منسجمة لان الامام عُرِف بتعامله مع الموالي في التزويج، ومشت هذه الشائعات التي كان يروجها الامويون ثم العباسيون حتى سُئل الامام الرضا عليه السلام عن ذلك ففصل الامر.

عن عون بن محمد، عن سهل بن القاسم النوشجاني، قال قال لي الرضا: نفست شهربانو بعلي بن الحسين عليه السلام – أي: ماتت في نفاسها- فكفل عليا بعض امهات ولد ابيه فنشأ وهو لايعرف أمّاً غيرها ثم علم انها مولاته، وكان الناس يسمونها أمّه، وزعموا انه زوّج أمّه، معاذ الله، انما زوّج هذه على ما ذكرناه سلفا.

وكان سبب ذلك انه واقع بعض نسائه ثم خرج يغتسل، فلقيته أمّه فقال لها: ان كان في نفسك شيء من هذا الامر فاتقي الله وأعلميني.

فقالت: نعم، فزوّجها.

فقال ناس: زوّج علي بن الحسين عليه السلام أمّه.

---

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص١٤٠.

قال عون: قال لي سهل ابن القاسم: ما بقي طالبي عندنا الا كتب عني هذا الحديث عن الرضا[1].

ان اروع تصرف ينم عن وعي ومسؤولية هو الذي مارسه الامام مع هذه المرأة، ان الامام يقسم عليها بتقوى الله سبحانه ان تقول الواقع الذي يختلج في نفسها من اجل ان يعالجه الامام وهكذا كان، ان هذا السلوك الايماني خير ام الكبت او الممارسات اللامشروعة التي تمارسها النساء في قصور الحكام؟

وحال الغطرسة الاموية كانت بادية في ثقافتهم وسلوكهم مع الاخرين، فنجد ان الوليد بن عبد الملك جلد علي بن عبد الله بن العباس لانه تزوج ابنت عمه لبابة او- ام ابيها- بنت عبد الله بن جعفر الطيار حينما طلقها عبد الملك لسبب تافه يذكره المؤرخون هو: ان عبد الملك كان جالسا يوما وكانت هي عنده، فعض تفاحة ورمى بها الى لبابة لتكمل أكلها فطلبت سكينا، فسألها عبد الملك عن سبب طلبها السكين فقالت: لأميط عنها الأذى. فسألها عن الاذى فقالت له: انك ابخر- اي رائحة فمك كريهة - فطلقها، فارادت الرجوع الى المدينة المنورة فصادف وجود علي بن عبد الله بن العباس في دمشق فحصل اقتراح ان تتزوجه حتى يوصلها الى المدينة لانه ابن عمها.

واراد عبد الملك ان ينكل بها بعد زواج علي بن عبد الله بن العباس منها حينما ارسل احد مواليه واوصاه إن رأى لبابة بنت عبد الله بن جعفر الطيار جالسة مع علي بن عبد الله بن العباس أن يرفع على حين غرة قلنسوة علي بن عبد الله بن العباس من رأسه حتى تظهر صلعته فيعيب عليه صلعته وعليه خيارها، وبالفعل تربص مولى عبد الملك هذه الفرصة فحصل عليها ورفع قلنسوة علي بن عبد الله بن العباس وظهرت صلعته وفهمت لبابة بنت عبد الله بن جعفر الطيار الرسالة فقالت لمولى عبد الملك: هاشمي أصلع أحب إليّ من اموي ابخر[2].

وبعدها جلد الوليد بن عبد الملك علي بن عبد الله بن العباس وقال له الوليد: انما تتزوج بامهات الخلفاء لتضع منهم، فقال علي بن عبد الله: انما ارادت الخروج من هذا

(١) عيون اخبار الرضا، ج٢، ص١٢٨.
(٢) راجع: بلاغات النساء، ص١٨١.

البلد وانا ابن عمها فتزوجتها لأكون لها محرما[١].

وهذه الثقافة الجاهلية كانت معشعشة في تلافيف المخ الاموي حيث ينقل لنا التاريخ الحوار الذي جرى بين هشام بن عبد الملك وبين زيد بن علي بن الحسين عليه السلام.

دخل زيد بن علي بن الحسين عليه السلام على هشام بن عبد الملك، وقد جمع له هشام اهل الشام، وأمر ان يتضايقوا في المجلس حتى لايتمكن من الوصول الى قربه، فدخل زيد بن علي وسلم ورأى طريقة الجلوس، فاحس بالتآمر وان الجلوس غير طبيعي، فتوجه نحو هشام ابن عبد الملك وقال له: إنه ليس من عباد الله احد فوق ان يوصى بتقوى الله، ولا من عباده أحد دون أن يوصى بتقوى الله، وأنا أوصيك بتقوى الله يا أمير المؤمنين فاتقه. فقال له هشام: انت المؤهل نفسك للخلافة! الراجي لها، وما انت وذاك لا أم لك، وانما انت إبن أَمَة؟.

فقال له زيد بن علي: اني لا اعلم احداً اعظم منزلة عند الله سبحانه من نبي بعثه وهو ابن امة، فلو كان ذلك يقصر عن منتهى غاية لم يبعث، وهو اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام، فالنبوة اعظم منزلة عند الله ام الخلافة يا هشام؟

وبعد فما يقصر برجل ابوه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن علي ابن ابي طالب[٢].

### ٨- تأهيل العبيد ثم تحريرهم

تعامل الامام زين العابدين عليه السلام مع امائه وعبيده معاملة خاصة تكتنفها الرحمة، والعفو، والاحسان، والحالة الإنسانية بكل ما تحمل الكملة من معنى. وكان الامام عليه السلام يتبع في ذلك:

ألف: عملية التأهيل النفسي والتربوي من خلال المعاشرة الطويلة معهم التي تستمر لمدة سنة وفي خلال هذه المدة كان يعيش معهم ويعلمهم ويدلهم على الخير، كما انهم كانوا يرون الامام عليه السلام وطريقة تعامله الحياتي معهم ومع غيرهم من الاحسان واللطف والتوجه العبادي والتضرع الى الله والخشوع، والمعروف ان الذي يعاشر قوماً

(١) وفيات الأعيان، إبن خلكان، ج٣، ص٢٧٦.
(٢) الارشاد، الشيخ المفيد، ج٢، ص١٧٣.

اربعين يوما يصبح مثلهم، اي يتعلم سلوكهم ومنهجية حياتهم فضلا عن سنة.

وكما مر في فصل اخلاق الامام انه كان يزوّج إماءَه من عبيده، حتى مربيته التي عُرِفت انها أُمّه زوّجها حتى لايمارس الظلم عليها وهي بشر بحاجة الى حضن رجل تكتمل من خلاله شخصيتها.

وحالة الاحترام التي كان يعاملهم بها، بحيث كان لا يمارس التأديب الذي فيه نوعٌ من القوة الا ويعود ويطالبهم بالعفو عنه حتى وصل الامر بهم انهم ما كانوا يغشونه وهو مقابل ذلك كان يحمدالله على ان ليس احد يخاف منه، كما بينا.

بل انه يصل الامر به انه يوقفهم ويسالهم حوائجهم حتى ينفذها لهم وخاصة الاماء، حتى ان التي تخجل ان تقول ما تريده منه فانه يأمر نساءَه بالاستفسار منها باعتبار ان المرأة سر المرأة.

ان هذا التعامل الطبيعي كان يعيد لهم الثقة بالنفس ويجعلهم في وضع يمكنهم من العيش مع الآخرين بحرية متكافئة وتعامل الند بالند، فيكون احد ثمار معاشرة الامام عليه السلام لهم هو عودة التأهيل والتوازن النفسي، وثانيا اكتساب التربية والعلم والمعرفة من خلال ما يتحدث به الامام معهم او ما يمارسون هم معه من عبادات وطقوس دينية، والحضور المستمر في مشاهد الله سبحانه عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وبيت الله الحرام.

باء: عُرِف عن الامام عليه السلام انه ما كان يقول لاحد اذهب انت حر الا بعد ان يهيئ له الاسباب التي تمكنه من العيش كباقي الناس، اي ان الامام يدفع له مقداراً من الامكانيات المالية والمادية التي تجعله يعمل ويكسب بها ويعيش حياة عادية من دون ان يكون عالة على المجتمع ويتسول من هذا وذاك، وبحالة التسول يصبح الرجل عنصراً مضراً في المجتمع لما سيمارس من سلوك شاذ يمكنه من مواصلة حياته.

ولذلك ادرك الامام هذه الحالة فجعل يمارس دور الضامن لهم للحرية واعطاء الامكانيات، ومن خلال مجموعة من المفردات التي نقلها لنا التاريخ عن سلوك الامام مع امائه وعبيده يتجلى لنا ما تحدثنا عنه.

١ - فاذا كان يوم الفطر اجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في ايدي الناس، وما

من سنة الا وكان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأسا الى اقل او اكثر(١).

«ولقد كان يشتري السودان وما به اليهم من حاجة، يأتي بهم عرفات فيسد بهم تلك الفرج والخلال، فاذا أفاض امر بعتق رقابهم وجوائز لهم من المال»(٢).

٢- ان مولى لعلي بن الحسين عليه السلام كان يتولى عمارة ضيعة له فجاء ليصلحها فاصاب فيها فسادا وتضييعا كثيرا فغاضه من ذلك ما رآه وغمه، فقرع المولى بسوط كان في يده وندم على ذلك فلما انصرف الى منزله ارسل في طلب المولى فأتاه فوجده عاريا والسوط بين يديه، فظن انه يريد عقوبته فاشتد خوفه، فأخذ علي بن الحسين السوط ومد يده اليه وقال: يا هذا قد كان مني اليك ما لم يتقدم مني مثله وكانت هفوة وزلة، فدونك السوط واقتص مني، فقال المولى: يا مولاي والله ان ظننت الا انك تريد عقوبتي وانا مستحق للعقوبة، فكيف اقتص منك؟

قال الامام: ويحك اقتص؟ قال المولى: معاذ الله انت في حل وسعة.

فكرر ذلك عليه مرارا والمولى في كل ذلك يتعاظم قوله ويجلله، فلمّالم يره يقتص، قال له الامام: اما اذا ابيت فالضيعة صدقة عليك واعطاه اياها(٣).

٣- جعلت جارية لعلي بن الحسين عليه السلام تسكب الماء عليه وهو يتوضأ للصلاة فسقط الابريق من يد الجارية على وجهه فشجه فرفع علي بن الحسين راسه اليها.

فقالت الجارية: ان الله عزّ وجل يقول: والكاظمين الغيظ.

فقال لها الامام: قد كظمت غيظي. قالت الجارية: والعافين عن الناس.

قال لها الامام: قد عفى الله عنك. قالت الجارية: والله يحب المحسنين قال لها الامام: اذهبي فانت حرة(٤).

(١) إقبال الأعمال، ج١، ص٤٤٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) مناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٩٧.
(٤) امالي الشيخ الصدوق، ص٢٠١.

والحوار الذي ادارته هذه الجارية في منتهى الذكاء في تسلسل الافكار التي طرحتها على الامام عليه السلام حيث طالبت منه كظم الغيظ، والعفو عن الاساءة والاحسان اليها، كما انها صاحبة معرفة دقيقة بشخصية الامام عليه السلام، حيث تعرف انه ممن يقبل هذه الافكار ويتعامل معها ايجابيا والتي انتهت بعتق رقبتها.

وبالتالي فهي خريجة مدرسة الامام زين العابدين عليه السلام.

«في يوم حمل غلامه اناءً فيه شيء من المرق وكان يغلي من شدة الحرارة فعثر الغلام باحد اطفال الامام، فتوفي الطفل في الوقت فارتفعت الصيحات من العلويات وكان الامام يصلي فلما انفلت من صلاته أخبر بوفاة ولده فأسرع عليه السلام الى الغلام فرآه يرعد من شدة الخوف فقابله بلطف وحنان وقال له:

لقد ظننت بعلي بن الحسين الظنون، ظننت انه يعاقبك ويقتص منك، اذهب فانت حر لوجه الله، وهذه اربعة الاف دينار هدية اليك، واجعلني في حل من الخوف الذي داخلك من اجلي»[(١)].

## ٩- العتق السنوي للعبيد

كان الامام زين العابدين عليه السلام يمارس دوره مع هذه الشريحة بصورة مستمرة حيث يقتني منهم الاعداد ويعيشون معه مدة ثم يطلق سراحهم، والذي يظهر من الروايات ان الامام عليه السلام لم يكن له موعد محدد لبدء دورته التربوية فقد يقتني منهم في اول السنة او في وسطها، ولكن كان له موعد نهائي معهم هو نهاية شهر رمضان المبارك حيث يجري مهرجانا روحيا معهم ينتهي صبيحة عيدالفطر المبارك ثم يطلقهم احرارا ولم يبقهم الى سنة اخرى.

ويظهر من سلوك الامام ان هؤلاء الذين كان يعتقهم بعد سنة من التربية كان يعتقهم خصيصا ليكونوا امثال الجارية الانفة الذكر من التربية والفطنة والمنهجية الذكية، والذين كان يقتنيهم في موسم الحج ويعتقهم بعد انتهائه بموقف عرفات كانوا من نوع آخر ومهمة اخرى اشرنا اليها سابقا وهي الثواب.

(١) حياة الامام الباقر، ج١، ص٣٦ لباقر شريف القرشي، و: إقبال الأعمال، ج١، ص٤٤٥.

«وما من سنة الا وكان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين راسا الى اقل او اكثر..»[١].

وما استخدم خادما فوق حول، وكان اذا ملك عبدا في اول السنة او في وسط السنة، اذا كان ليلة الفطر اعتق واستبدل سواهم في الحول الثاني، ثم اعتق، كذلك كان يفعل حتى لحق بالله تعالى[٢].

### ١٠- التواضع مع العبيد

وظاهرة الامام والعبيد على الرغم من انها ظاهرة عامة مارستها الامة ككل واهل بيت العصمة عليهم السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله الى اخر امام وتخرج من مدرستهم نماذج ممن يشار اليهم بالبنان في التقوى والورع والشجاعة والوفاء والعلم، ولكن لم يتحدث عنها المؤرخون كظاهرة في حياتهم عليهم السلام ولم ينقلوا تفاصيل القصص ومفردات الاحداث كما نقلوا ذلك عن الامام زين العابدين عليه السلام.

وعليه فان ظاهرة الاماء والعبيد عند الامام زين العابدين ظاهرة متميزة تختلف عما هي عند الائمة الاخرين، وهذا الاختلاف يظهر من المفردات التي نقلناها سابقا وان ذلك لم يكن حالة عفوية وانما هي ضمن منهجية الامام عليه السلام التي رصد لها امكانيات ولوازم من اجل تحقيق الاهداف التي املتها الظروف والذي كان الامام يعيشها وورثها من قبل.

وبالفعل فان الامام عليه السلام مارس سلوكا متميزا مع العبيد والموالي من حيث الزواج والمعاملة والمعاشرة، والتي ما كان يقصد من ورائها غير الحالة الدينية وما يرد على دينه بالنفع، وعلى الرغم من ان الوضع الاجتماعي والسياسي ما كان يسمح له ان يمارس هذا الدور، ولكنه كسر هذا الحاجز الجاهلي وقفز على الحالات النفسية واللؤم الجاهلي وتعاشر مع العبيد. قال نافع بن جبير لعلي بن الحسين عليه السلام: انك تجالس اقواما دونا؟

فقال له الامام: اني اجالس من انتفع بمجالسته في ديني[٣].

---

(١) إقبال الأعمال، ج١، ص٤٤٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب، ج٣، ص٣٠٠.

وهذا حديث اجتماعي يدور في المجالس بأنّ الرمز الاجتماعي عليه ان يجالس الرمز المماثل وهكذا، واذا بالامام يجالس هذه الشريحة، ولذلك كان سلوكه عليه السلام يثير الجدل ويكون عادة مادة دسمة في المجالس او التقارير التي ترفع كما بينا.

ولكن الامام كان يتطلع الى رضوان الله سبحانه فقط.

**١١- تعاطف العبيد مع الامام**

والموالي -كما غيرهم من شرائح المجتمع- لهم قنواتهم الخاصة بهم، حيث يتواصلون فيما بينهم وتربط بعضهم مع البعض وشائج خاصة فتجمعهم كموالي، ومن ثم كأبناء بلد واحد، او لغة واحدة، كما هي اليوم في الدول التي يستخدم فيها الخدم بكثرة كدول الخليج حيث يجتمعون في ايام معينة، فمثلا المسيح منهم يلتقون في يوم الاحد امام كنائسهم، وبعضهم عنده هاتف البعض الآخر يتصل به، وهكذا.

والذين اقتناهم الامام عليه السلام كانوا ينقلون الى شرائحهم سلوك واخلاقية الامام المتميزة معهم والتي تنم عن دين ومروءة وانصاف واخلاق عالية، وهذا ما ساعد على ان هذه الطبقة كانت تتعاطف مع الامام عليه السلام وافكاره في رفع الظلم و..

ولذلك كان للامام عليه السلام مؤيدون من هذه الشريحة تحدثنا عنهم في فصل سابق، وهذه حالة طبيعية حيث هم يعيشون حالات الكبت والاهانة والاستصغار ثم يتعاهدهم الامام بسلوكه العالي فيتعاطفون مع الامام عليه السلام.

وقد نقلنا نماذج التعاطف في ثورة المختار ابن ابي عبيدة الثقفي وغيرها من مفردات كان موضع الحديث فيما سلف.

## الفصل الخامس

# مفاهيم الشفاعة والولاية والعبادة والتضرع عند الامام

١ - إهتمام الامام بأصحابه وشيعته

٢- الشفاعة

٣- ولاية أهل البيت

٤- الامام خليفة الله ومفزع العباد

٥- الثقافة الحياتية

٦- عبادة الامام

٧- الامام والتضرع المميز

[١]

# إهتمام الامام بأصحابه وشيعته

لقد كانت هناك حالة من الطموح الواعد تشد ائمة اهل البيت عليهم السلام نحو شيعتهم من اجل رفع مستواهم الى حالة نموذجية تحقق اهدافهم في شيعتهم لكي يرونهم قد نالوا من الكمالات الرفيعة بحيث يكونوا نماذج يضرب بها المثل في الاقتداء والاسوة العملية في الحياة.

وهذا الاهتمام من الائمة عليهم السلام تجاه اصحابهم نابع من الحرص عليهم، لانهم يحيطون بالائمة ويشكلون الحلقات التي تلتف حولهم، وتمثل المتراس الذي يدفع عن ائمة اهل البيت الاذى، كما يشكلون النبراس الذي يُستضاء بنوره في عتمة الجهل والضياع، لان هؤلاء قريبون من ائمة اهل البيت وبالتالي فهم اللبنات الاولى لهيكلية اهل البيت عليهم السلام.

ان هذه الشريحة تتعرض الى الامتحان والابتلاء والفتنة بسبب التزامها الديني وتقيدها بتعاليم الإسلام اكثر من غيرها من شرائح المجتمع، وطبعا ان ذلك يرجع الى عظمة ايمانهم وتعشقهم الى ما عند الله سبحانه.

كما انهم يتعرضون الى الاذى والتضحية والصبر على ما يلقون نتيجة حبهم وودهم وتمسكهم بأئمة اهل البيت حتى يصل الامر بهم انهم يعيشون فقدان الامن مع عوائلهم طوال حياتهم، وهؤلاء ومن هم في خطهم الولائي لاهل بيت النبوة عليهم السلام يشكلون خط اهل البيت عليهم السلام في الامة.

وقد امتحن الله سبحانه هؤلاء فوجدهم لما امتحنهم صابرين راضين بما قسم الله

سبحانه لهم، وقد دفع هؤلاء وعوائلهم ضريبة الايمان باهل البيت من حيث حمل راية اهل البيت عليهم السلام، وقبلوا صعاب الولاء وامواج الامتحان، وزُهقت ارواح رموز هؤلاء دون أن ينبسوا بشطر كلمة تنال من ائمة اهل البيت عليهم السلام.

وكانت تجري اعنف حملات التصفية، واشدها قسوة، في زمن الامام زين العابدين عليه السلام حيث مجموعة ائمة النفاق والفسق والجور كانوا يحكمون في بؤر الايمان: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والكوفة.

فقد عاشر الامام عليه السلام زمن الطاغية عبد الملك وذيول اجرامه امثال الحجاج بن يوسف الثقفي والمخزومي، كما بيَّنا.

١- فعندما تُعتقل زوجات المختار ويهدَّدن بالقتل تتراجع بعضهن من الولاء للمختار للنجاة بانفسهن، وتبقى منهن من تصر على ولائها للمختار لولائه لاهل بيت النبوة وترفض خيار التبرأة وتفضل الموت حيث اللقاء مع المختار واهل بيت الرسالة في جنان الخلد، وكانت نموذج ذلك هي عمرة ابنت النعمان بن بشير الانصاري[١].

٢- واخذ الحجاج موليين لعلي بن ابي طالب فقال لاحدهما: إبرأ من علي؟

فقال المولى: ما جزاي ان لم ابرأ منه؟

فقال الحجاج: قتلني الله ان لم اقتلك؟ فاختر لنفسك: قطع يديك او رجليك؟

قال المولى: هو القصاص فاختر لنفسك.

قال الحجاج: تالله اني لارى لسانا وما اظنك تدري من خلقك؟ اين ربك؟

قال المولى: هو بالمرصاد لكل ظالم.

فامر الحجاج بقطع يديه ورجليه وصلبه.

ثم قدم -الحجاج- صاحبه الآخر، فقال الحجاج: ما تقول؟ فقال المولى: انا على رأي صاحبي.

---

(١) راجع تاريخ ابن الاثير، ج٣، ص٢٧٥.

فامر الحجاج ان يضرب عنقه ويصلب[١].

٣- وقتل مصعب بن الزبير عبد الرحمن وعبد الرب ابني حجر بن عدي، وعمران بن حذيفة بن اليمان، قتلهم صبرا بعد قتل المختار وقتل اصحابه[٢].

وهذا يعني ان ذلك حصل بعد ان انتهت حركة المختار بن ابي عبيدالثقفي حيث القي القبض عليهم وقتلوا بسبب ولائهم وكونهم من شيعة علي بن ابي طالب.

ان هذه التضحيات كانت تصل الى أسماع الامام عليه السلام ويطلع عليها، افلا يستحق هؤلاء ان يقف الامام عليه السلام معهم ويثمن نهجهم ومتاعبهم ودماءَهم بما يقدر عليه، وهو بتلك الحالة من الطوق الامني المفروض عليه، فكان يقف معهم بدعائه لهم والابتهال الى الله سبحانه ان يوفقهم لكل خير.

كما انه كان يقف معهم بالممكن في مشاكلهم الحياتية من حاجة وقلة ما في اليد[٣].

وبالوقت نفسه كان عليه السلام ينبههم بمكان الخطأ او التوقعات التي قد لاينالونها وهم على حالة عدم الانسجام مع تعاليمهم عليهم السلام، وكانت تعاليمه وتمنياته ودعاؤه لهم هكذا:

أبلغ شيعتنا انه لن نغني عنهم من الله شيئاً، وأنّ ولايتنا لا تُنال الا بالورع، وتحدث الامام مع جماعة وفدوا عليه عرّفوا انفسهم انهم من الشيعة، فقال لهم الامام: شيعتنا يُعرفون بعبادتهم وشعثهم، وقد قرحت العبادة منهم الآناف، ودثرت الجباه والمساجد، خمص البطون، ذبل الشفاه، قد هيجت العبادة وجوههم، واخلق سهر الليالي وقطع الهواجر جثثهم، المسبّحون اذا سكت الناس، والمصلّون اذا نام الناس، والمحزونون اذا فرح الناس، يُعرفون بالزهد، كلامهم الرحمة، وتشاغلهم بالجنة[٤].

ومقابل هذه المقاييس يتحدث الامام عما يجنيه محبّوا وشيعة اهل البيت عليهم السلام:

(١) امالي الشيخ الصدوق، ص٣٠٢.
(٢) تاريخ ابن الاثير، ج٣، ص٢٨٠.
(٣) راجع فصل: الامام والحركة الإجتماعية.
(٤) صفات الشيعة، الشيخ الصدوق، ص٢٩.

مَنْ احبنا لله أسكنه الله في ظل ظليل يوم لا ظل الا ظله، ومن احبنا يريد مكافأتنا كافأه الله عنا الجنة، ومن احبنا لعوض الدنيا آتاه الله رزقه من حيث لايحتسب[١].

وكذلك يتحدث الامام عليه السلام عن موقفه من شيعته الذين يزلون ويخطؤون ويقترفون المعاصي بعمد او غير عمد. قال لأم فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر -أي زوجة إبنه الامام الباقر عليه السلام-: اني لأدعو لمذنبي شيعتنا في اليوم والليلة مائة مرة، لانا نصبر على ما نعلم ويصبرون على ما لايعلمون[٢].

(١) نور الابصار، للشبلنجي، ص١٢٧.
(٢) الكافي، ج١، ص٤٧٢.

# [٢]

# الشفاعة

إحتلت الشفاعة لاهل بيت النبوة مساحة واسعة في نقاشات علماء الإسلام، فمنهم من وقف منها الموقف السلبي بحيث لايعتقد في نفع رسول الله ﷺ بعد وفاته فضلا عن ائمة اهل البيت، ونراهم يسخرون من ذكر اسم رسول الله ﷺ في جعله وسيلة وواسطة لاستجابة الدعاء.

وذهب آخرون بعيدا بحيث يقف احدهم امام ضريح الامام الحسين عليه السلام ويقسم على الامام بامه فاطمة الزهراء عليها السلام ان لايشفع للشمر بن ذي الجوشن قاتل الامام، وكأنه يعتقد ان الامام بواسع عطفه ومنزلته عند الله سبحانه قد يشمل الشمر بن ذي الجوشن بشفاعته ويدخله الجنة؟ وتوقف آخرون وفصلوا في ذلك.

وقد تطرَّق الله سبحانه الى الشفاعة في كتابه المجيد وجعلها جزءاً من صلاحياته ورحمته يوم القيامة، حيث قال: ﴿**قُلْ لله الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[١].

واستنادا الى الرحمة الالهية يوم القيامة على عباده في ان يعفو عن بعض المذنبين، وانه سبحانه منح رسوله وائمة اهل البيت عليهم السلام واهل التقوى والورع والايمان صلاحيات الشفاعة تقديرا واحتراما لخدماتهم الايمانية في الحياة الدنيا، وكل حسب موقعه ومكانته الدينية المقدرة عند الله سبحانه وليس عند البشر، لانه سبحانه هو يعرف واقع الايمان في نفس الإنسان، والله سبحانه لاينظر للظواهر فقط «ان الله لاينظر إلى

(١) الزمر، ٤٤.

صوركم ولا إلى أموالكم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم»[١].

وعليه فان الشفاعة ككل هي بيده سبحانه وتنتهي اليه، حيث لاتجري الشفاعة الا بعلمه واذنه. وما يقدمه اهل الايمان من عطاء، ويتحملون من مشاق في سبيل اعتقادهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وائمة اهل البيت لايذهب سدى من دون ان يرد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وائمة اهل البيت عليهم السلام الجميل، وذلك عبر التسامح عن الهفوات التي تصدر منهم.

والحسابات الدقيقة عنده سبحانه، حيث كما تحدث سبحانه عن الرحمة والشفاعة كذلك تحدث عن جهنم والنار والمعاندين والناصبين العداء او الولاء بشرطه وشروطه.

ومع كل ذلك فان رحمته سبحانه وسعت كل شيء وسبقت غضبه، وبالتالي فهم عباده. والحديث عن مقام رسول الله وائمة اهل البيت عليهم السلام واهل الايمان يوم القيامة وبيان منزلتهم وما سيمنحهم سبحانه من صلاحيات الشفاعة هو جزء من التكريم والتبجيل لهم صلوات الله عليهم.

## علاقة الشفاعة بالعمل

ولكن الذهاب بعيداً في التركيز على الشفاعة من دون التركيز على نبذ المحرمات والمنكرات، والسعي الحثيث للقيام بالعمل الصالح والاجتهاد في ذلك اشد اجتهاد، حالة فيها تأمل، وذلك:

١ - ان شفاعة الرسول واهل بيته عليهم السلام هي اوسع واعمق مما نعرفها نحن، كما ان موقعهم ومنزلتهم عندالله سبحانه هي فوق ما نتصور.

٢ - ان سيرة الرسول وائمة اهل البيت عليهم السلام واهل الايمان هي السعي والاجتهاد في طاعة الله والتوسل لقبول طاعتهم واعمالهم وهم يشفعون دعاءَهم، بالبكاء الساخن كما هو معروف، وكما سنتعرض اليه في عبادة الامام زين العابدين عليه السلام.

وهذا لايعني أنهم لايعتقدون بالشفاعة ولكن هناك تكاليف في الدنيا شرعها الله سبحانه لعباده وعليهم اقامتها، وبعد ذلك يأتي دور الشفاعة.

(١) مستدرك الوسائل، ج ١١، ص ٢٦٤.

٣- إنّ الإهتمام بدور الشفاعة في الدنيا والتركيز عليها من دون ان يكون هناك تركيز على واجب الالتزام بالطاعة لله سبحانه، ان هذا التركيز سيخلق حالة من عدم الالتزام الديني بأهل الشفاعة، وتخلق حالة من النفاق الاجتماعي والديني بين رفع الشعار الديني وانحراف المسلمين عن واقع الإسلام وتعاليم اهل البيت عليهم السلام، وبالتالي فان هذا يخلق جواً تخريبياً اجتماعياً ودينياً في وسط الأمة كما يعطي انطباعاً سيئاً عن وضع الامة.

٤- هل إن الذين يرفعون هذا الشعار ويتثقفون بهذا اللون من الفكر على إستعداد لان يبتعدوا عن إقامة فرائضهم الدينية بحجة إنتظار الشفاعة؟

واذا كانت هذه المنهجية صحيحة، فلماذا لم يتبعها أهل التقوى والصلاح؟ ولماذا لم يرسموا لها منهجية في تقربهم الى الله سبحانه، من دون تأدية الواجبات؟ ولا أعتقد ان هناك من يذهب الى هكذا منهجية، ولكن عدم التدبر في الحديث عند البعض، والجهل عند آخرين هو سبب هذا الطرح.

## لمن تكون الشفاعة؟

**ان سلوك أهل البيت عليهم السلام، يتم عبر إجهاد النفس في طاعة الله سبحانه وإقامة** الفرائض، وحتى النوافل التي هي مندوبة شرعا، فهم يمارسونها كواجب عليهم، كصلاة الليل التي هي مستحبة ولكنهم يدأبون على أقامتها على انها من الواجبات في عبادتهم.

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام: ما تركت صلاة الليل منذ ان قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الليل نور[1].

أو قول الامام زين العابدين عليه السلام حينما أقبل عليه جابر بن عبد الله قائلا: يا ابن رسول الله أما علمت أن الله إنما خلق الجنة لكم ولمن أحبكم، وخلق النار لمن ابغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك؟ فقال له الامام عليه السلام: اما علمت ان جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلم يدع الاجتهاد له، وتعبد بابي هو وامي حتى انتفخ الساق وورم القدم، وقيل له: اتفعل هذا وقد غفر الله لك ما

(١) ميزان الحكمة، باب الدعاء، ص٤٢١.

تقدم من ذنبك وما تأخر)؟ قال: افلا أكون عبداً شكوراً[١].

إن هذا السلوك من الائمة عليهم السلام هو الذي رسم لنا سيرة اهل الدين والتقوى، وتعلم الناس منهم كيفية الدعاء والصلاة.

وكانوا عليهم السلام يتحدثون عن صفات من يكون معهم يوم القيامة ويركزون حول مفهوم من يريد ان يكون معهم يوم القيامة بقولهم: فليعمل عملنا، والأقوال في ذلك كثيرة منها:

١- قال الامام الصادق عليه السلام: إنّ شفاعتنا لاتنال مستخفاً بالصلاة[٢].

٢- «من سرّه أن يعلم أنّ الله يحبه فليعمل بطاعة الله وليتبعنا...»[٣].

٣- وقال رسول الله صلي الله عليه وآله: الشفاعة لاتكون لأهل الشك والشرك، ولا لأهل الكفر والجحود، بل تكون للمؤمنين من أهل التوحيد[٤].

وهذا اللون من الأحاديث يتكرر بالفاظ متعددة عن أهل البيت عليهم السلام.

## أحاديث الشفاعة

ولكن بجانب هذه الاحاديث، توجد أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، تركز مفهوم الشفاعة حتى في الانسان المؤمن الذي يشفع في مثل ربيعة ومضر، هذا فضلا عن العلماء والمجاهدين وأهل الصلاح والمقام المحمود عند الله.

وتنقل عشرات الأحاديث والقصص عن شفاعة أهل البيت عليهم السلام:

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وأما شفاعتي ففي أصحاب الكبائر ما خلا اهل الشرك والظلم[٥].

---

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص٧٨-٧٩.
(٢) ميزان الحكمة، ج٥، باب الشفاعة، ص١١٧.
(٣) الكافي، ج٨، ص١٤ (عن الامام الصادق عليه السلام).
(٤) ميزان الحكمة، ج٥، ص١١٧
(٥) الخصال، الشيخ الصدوق، ص٣٥٥.

٢- وقال ﷺ: لكل نبي شفاعة وانا خبّأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة[١].

٣- يقول الامام الباقر عليه السلام: إن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر، وإن المؤمن ليشفع حتى لخادمه، ويقول: يارب حق خدمتي، كان يقيني الحر والبرد[٢].

٤- قال رسول الله ﷺ: ياعبد الله انما يعرف الفضل لاهل الفضل اهل الفضل، ثم قال ﷺ لسعد بن معاذ: أبشر فان الله يختم لك بالشهادة، ويهلك بك امة من الكفرة، ويهتز عرش الرحمان لموتك، ويدخل بشفاعتك الجنة مثل عدد شعور حيوانات بني كلب[٣].

٥- عن الامام الباقر عليه السلام: يشفع الرجل في القبيلة، ويشفع الرجل لأهل البيت، ويشفع الرجل للرجلين على قدر عمله، فذلك المقام المحمود[٤].

٦- وقال عليه السلام: إن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنسانا، فعند ذلك يقول اهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[٥].

٧- وقال رسول الله ﷺ: إن أقربكم مني غدا وأوجبكم عليّ شفاعة: أصدقكم لسانا، وأداكم للأمانة، وأحسنكم خلقا، واقربكم من الناس[٦].

***

ان الله سبحانه يحب عباده، ويدعوهم الى نيل الخير، والسير في طريق الصلاح للوصول الى رضوانه سبحانه، ولذلك نجد سبحانه فتح لهم أبواب المغفرة والتوبة حتى يمحو ذنوبهم ويتوب عنهم، والقرآن الكريم تحدث عن ذلك بقوله: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ

(١) ميزان الحكمة، ج٥ ص١٢٥، عن: امالي الطوسي، ص ٣٨٠، الحديث ٨١٥.
(٢) بحار الانوار، ج٨، ص٣٨.
(٣) بحار الانوار، ج٢٧، ص٩٩.
(٤) بحار الانوار، ج٨، ص٤٣.
(٥) المصدر، ص٥٧.
(٦) ميزان الحكمة، ج٥، ص١٢٥، عن: بحار الانوار، ج٦٩، ص٣٨١.

**الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[١].

وسار على نفس هذا المنهج الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله حيث كان يصفح ويعفو، وليس أوضح من قبوله الصبر عندما قُتِل ومُثِّل بعمه حمزة (رضوان الله تعالى) وفَضَّله على ممارسة الثأر في الدنيا، حيث سجل ذلك سبحانه في القران الكريم بقوله: **﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾**[٢]. هذا فضلا عن الدعاء لأمته بالمغفرة.

وقد سار الأئمة الأطهار بمنهجية جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله في العفو والصفح عن المذنب والمسيء والدعاء لهما بالهداية والانابة، والعودة للطريق المستقيم والرشد.

ولذلك نجد أن الامام زين العابدين عليه السلام يمارس نفس تلك المنهجية الرسالية وخاصة عندما يقول في دعائه:

اللهم اني اعتذر اليك من مظلوم ظُلِم بحضرتي فلم انصره، ومن معروف أُسدي الي فلم اشكره، ومن مسيء اعتذر اليّ فلم اعذره، ومن ذي فاقة سألني فلم أوثره، ومن حق ذي حق لزمني لمؤمن فلم أوفره، ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم استره، ومن كل اثم عرض لي فلم اهجره، اعتذر اليك يا الهي منهن ومن نظائرهن اعتذار ندامة يكون واعظا لما بين يدي من اشباههن، فصل على محمد وآله واجعل ندامتي على ما وقعتُ فيه من الزلات، وعزمي على ترك ما يعرض لي من السيئات توبة توجب لي محبتك، يا محب التوابين[٣].

---

(١) الزمر، ٥٣.

(٢) الشورى، ٤٠.

(٣) الصحيفة السجادية، دعاؤه في الإعتذار، رقم٣٨.

## [٣]

## ولاية اهل البيت عليهم السلام

تعرَّض مفهوم الولاية الى الكثير من النقاش والجدل والتساؤل، على الرغم من السنين الطويلة من حياة الامة ماضياً وحاضراً، وليس السبب هو النقص في المحتوى الثقافي او الدليل في اثبات ولاية اهل البيت عليهم السلام وانما كان ذلك بسبب المصالح السياسية التي تبناها الحكام، وشرائهم ضمائر بعض ليضعوا لهم احاديث وروايات ما سمعوها من احد ولانطق بها الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولكن هذه الدنانير والدراهم، والجاه والموقع من طرف آخر، والسوط والقوة من جانب ثالث، حالت دون النطق بالحقيقة والواقع.

وكل تلك العوامل كانت سببا في مصادرة الحرية الفكرية والقدرة على قول الحقيقة، فضلا عن القيام للإصلاح بالتصدي من اجل اصلاح هذا الواقع المر. وهكذا وُجِدَ من كان سببا للفتنة، وخلق الاحاديث الكاذبة لتكبير ونفخ الاخرين والنيل من اهل بيت النبوة، ابتداء من أمير المؤمنين عليه السلام الى باقي أئمة اهل البيت، رغم أنه ما وُجِدَ في الحكمة وامتلاك المواصفات الخيرة من يفوقهم، بل كانوا هم الأبرز تاريخا وجهادا وعلما وورعا وتقوى وديانة.

وكان لكل واحد من الحكام قول أو قصة في ذكر فضائل اهل البيت عليهم السلام وسنذكر بعض ذلك بشكل سريع كنموذج لهذه الحقيقة:

يُروى ان هارون كان يصعد سطحا مشرفا على الحبس الذي سجن فيه الامام موسى بن جعفر عليه السلام، فقال للربيع وزيره: ما ذاك الثوب الذي اراه كل يوم في ذلك الموضع، قال: يا أمير المؤمنين ما ذاك بثوب وانما هو موسى بن جعفر، له كل يوم سجدة

بعد طلوع الشمس الى وقت الزوال، قال الربيع: فقال لي هارون: أما ان هذا من رهبان بني هاشم، قلت: فما لك فقد ضيقت عليه في الحبس، قال: هيهات لابد من ذلك(١).

إنّ الولاية -القيادةالدينية- هي في الائمة المعصومين عليهم السلام نص من الله سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه وآله الذي ذكر اسماءَهم كما بينا في فصل إمامة الامام زين العابدين عليه السلام وكيف أن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر اسمه كما ذكر الائمة الباقين باسمائهم وتحدث عنهم.

ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم لحالة عاطفية او نسبية فقط وانما هي تشمل حالة أخرى هي امتلاك هؤلاء للمواصفات التي تؤهلهم لأن يكونوا في الموقع الأول لادارة أمور البلاد ولاينقصهم شيء من مؤهلات ذلك من العلم والورع والتقوى والعبادة والشجاعة وكفاءة الادارة.

ولعل تجربة أمير المؤمنين عليه السلام في الحكم خير دليل على تكامل شخصيته، حتى انه لم يجرؤ احد على ذكر نواقص فيه، ولا هو تحدث عن ذلك بشيء حتى يُستدل ان في شخصيته ثغرة يمكن الاشارة اليها، فهو القائل في خطبته المعروفة بالشقشقية: وإن محلي منها (الخلافة) محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولايرقى اليّ الطير(٢). وهو القائل: سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض(٣).

ولكنك لاتجد أحدا لم يتطرق الى ضعف أو نقص في علم وسيرة الآخرين من أول حاكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الى أن وصلت الخلافة اليه،حتى كان المميز من دون الباقين(٤).

## الولاية واختيار الرب

إنّ هذا المنهج رباني الاختيار، لما دل عليه سبحانه في كتابة الكريم بقوله: ﴿إِنَّمَا

(١) بحار الانوار، ج٤٨، ص٢٢٠، رقم٢٤.
(٢) نهج البلاغة، صبحي الصالح، الخطبة الشقشقية
(٣) نهج البلاغة، الخطبة١٨٩.
(٤) راجع كتاب: الغدير، ج٦، فصل نوادر الاثر في علم عمر.

وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[١].

وأقره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين طبّق أمر الله سبحانه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢].

وقال بعض الصحابة في بيعة الغدير: «بخ بخ لك يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»[٣] وجرى إقرار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذلك حيث تحدث في مختلف المواقع والمساحات فقال:

انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لانبي بعدي[٤].

اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله[٥].

وعندما رفض البعض هذا الطرح واعتقد انه حالة من العلاقات العائلية، وتحدث مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطريقة غير مؤدّبة وتنمّ عن جهل وحقد أنزل سبحانه: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنْ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾[٦].

مما يدل على أن واقع هذه المنهجية الالهية يؤكد ضمان سلامة المسيرة وقبول الله سبحانه وتأييده لعباده المؤمنين حقا ووضع الكفوء في موضعه لخلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وولاية المؤمنين وفي راس السلطة هو: عالم، عادل، زاهد، متقي، كفوء، و...

وهل في من يحمل هذه المواصفات موضع للنقاش لأولي الألباب؟ ثم انه ليس في هذا الطرح غير المنفعة للأمة والصلاح لحياتها وضمان مسيرتها وقبول الله سبحانه لأعمال عباده.

(١) المائدة، ٥٥.
(٢) الحجر، ٩٤.
(٣) بحار الانوار، ج٢١، ص٣٨٨.
(٤) الكافي، ج٨، ص١٠٧.
(٥) موسوعة الغدير، ج١، ص٨.
(٦) المعارج، ١-٣.

## الولاية للأمة

إن هذه الأطروحة الالهية لعباده، حيث عين مرشحيه لخلافة الأرض وهم الائمة الاثنى عشر وهم -كما بينا- يملكون من المواصفات التي افتقدها غيرهم في العلم والعبادة والكفاءة، وأقر لهم بها حكام عصرهم، بما اظهر انها أطروحة متكاملة المواصفات والاسماء، إن قبلتها الأمة فانهم قد ساروا على المحجة البيضاء حيث سعادة الدنيا والآخرة.

وإن رفضتها الأمة فان هذا لايعني تخلي الله سبحانه عنها أو تنازل اصحابها عن حقهم وانما هي باقية لأنها جزء من الرسالة التي مارسها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتبقى هي الا طروحة المثلى كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الحسن والحسين امامان قاما أو قعدا[1]، فهو موقع رسالي لا يحق لأحد أن يملأه غيرهم كما أنه لايغير المعادلة الرسالية التي رسمها قائد المسيرة صلى الله عليه وآله وسلم.

ولئن كانت الامة قد غُلِبت على امرها فان ذلك لايسلب هذا الحق من الائمة الاثني عشر عليهم السلام لأن النص في بُعديه: المواصفات، والأشخاص، جاء بحقهم. نعم إن الامة عندما غُلِبت على أمرها ولم تستطع أن تصل الى الرشد الفكري وامتلاك القوة للوقوف بجانب الأئمة عليهم السلام ليكونوا القادة السياسيين فهذا لايعطل دورهم في الحق ولكنهم عليهم السلام عندما لم يسمح لهم في تأدية الدور السياسي فانهم واصلوا دورهم في باقي مناحي الحياة.

وإن عدم اعلان العصيان السياسي والعسكري منهم ضد حكام عصرهم جاء لمجموعة ظروف وعوها كل في زمانه، حيث لم ير بعضهم المصلحة في ذلك، وقد اوضح بعض منها الامام أمير المؤمنين عليه السلام عندما عاد الأمر اليه، كما أنه اجرى تجربة مع الذين كانوا يدفعونه الى القيام بالأمر والتصدي بالقوة له.

إن الامام عليه السلام كان يدفعه للقيام بالأمر بالقوة مجموعتان:

المجموعة الأولى: وهي التي لم تكن تفهم المعادلات وبعض أفرادها من أمثال أبي

---

(١) بحار الانوار، ج٤٣، ص٢٩١.

سفيان الذي كان يريد إحراق الأخضر واليابس من الأمة، فهو يريد إنزال الضرر بالأمة، لذلك رفض الامام هذا العرض الذي جاء به ابو سفيان.

المجموعة الثانية: مجموعة من الموالين للامام ولكنهم لم يصلوا الى واقع تركيب الناس، ولذلك قبل منهم وطلب منهم ان يعدوا بها فيه الكفاية من العدة والعدد وهم اربعون رجلاً ولكنهم لم يحققوا طلبه إلا أربعة نفر هم:

١- سلمان
٢- أبو ذر
٣- الزبير بن العوام
٤- المقداد، وتخلّف الباقون[١].

## ولاية الفقهاء

وبعد أن إنتهى عصر الائمة عليهم السلام إنتهى دور النص على الاسماء وبقي دور المواصفات التي يجب أن يتمتع بها القائد الإسلامي والتي ذكرها الامام الثاني عشر الحجة المنتظر عليه السلام وعجل الله تعالى فرجه وهم الذين تعرض لهم بنصه الشريف:

أما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظا لدينه، مخالفا على هواه، مطيعا لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه[٢].

ومع امتلاك القائد لمواصفات العلم والورع ومخالفة هواه، لابد له من الكفاءة على فهم الكتاب والحديث فهما الأساس لتطبيق حكم الله تعالى.

ويأتي هنا دور الأمة في اختيار من ينسجم معها وتنسجم معه في طرحه ومنهجيته، والاختيار يأتي في دائرة (الفقهاء) الذين يقدرون على إعطاء الرأي الإسلامي الذي تكون الامة عند إتباعه له بريئة الذمة عند الله تعالى.

واذا ما وفق الله سبحانه فقيها لأن يعتلي موقع القيادة، فعلى الآخرين من الفقهاء أن يقبلوا بالحالة القيادية له والتنفيذ لأمره في الامة، والا فان الامور تفسد وتحدث

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج١١، ص١٤.
(٢) التفسير الصافي، ج١، ص١٤٨.

الفوضى، وتفشل التجربة. وهنا تطرح قضيتان:

**اولا: قضية الرقابة**

إن القائد مهما كان، فانه غير معصوم من الخطأ وعليه لابد من ايجاد منهجية لبلورة رأي الامة في رقابة القائد والنظر في وضعه، وقدرته على إدارة الأمور، وضمن التجربة التي حصلت في الجمهورية الاسلامية تبلورت مؤسسة الخبراء الذين انيطت بهم هذه المسؤولية، ووضعت لهم شروط خاصة من سلامة الدين، مضافاً الى وصول بعضهم لدرجة الاجتهاد والرمزية الإجتماعية، وانتخاب الامة، ولكن المشكلة في هذه المؤسسة أنها تضم فقط ايرانيين والتي أثار الإسلاميون في البلدان الأخرى هذا الاشكال عبر وسائل مختلفة.

ولكنه تبلور جيد حيث اعطيت الامة مساحة للرقابة على القائد وقد تطورت الحاجة الى وضع آخر مع الزمن ومعطيات التجربة.

**ثانياً: رأي الامة**

من الواضح أن للأمة رأي في اختيار قائدها وذلك من خلال مفهوم البيعة التي يحتاجها القائد ليكون ولياً شرعياً عليها، والأمة محتاجة اليه لأن من حقها أن تعطي رأيها في قائدها.

وفي المقابل فان القائد الإسلامي في الوقت الذي هو قائد سياسي لكنه يحمل رسالة الإسلام. واذا اعطت الامة رأيا لغير صالح الإسلام فما هو موقف القائد الإسلامي؟ هل يقبل برأي الامة؟ أم عليه أن يسير بسيرة الإسلام؟

لا اشكال في أن رأي الامة محترمٌ ما زالت تتحرك ضمن دائرة الإسلام، اما اذا تحول الموقف الى اعطاء رأي مخالف للأسلام فهنا يتحمل القائد مسؤولية الرسالة الاسلامية والدعوة الى الإسلام والعمل على تطبيق مناهجه بما يملك من قوة وبسط يد.

**أهل البيت أمان أهل الأرض**

وعندما لا تسمح الظروف لصعود الائمة المنصوص عليهم -الائمة الاثنى

عشر – الى القيادة السياسية أو أن الامة بعد ذلك لم يسمح لها أن تختار القائد الفقيه، فهذا لايعني أن الأمر انتهى وأصبح جزءاً من التراث او تاريخاً يقرأ وانما هي النظرية الاسلامية التي يجب ان تطرح ويركز عليها في كل موقع ويتوجب ان نثقف عليها الاجيال، بل هي جزء من عقيدة الإسلام والديانة التي نتعبد بها الى الله سبحانه.

ومن هنا نجد أن رسول الله والائمة عليهم السلام طرحوا هذه الثقافة وركزوا عليها عبر أحاديثهم عليهم السلام فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **افضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر**[١].

وكان للامام زين العابدين عليه السلام مساحته في الرأي بمبدأ الولاية كفكرة ومواصفات واسماء واعتبارها البوابة الى ثقافة الإسلام والوصول الى رضوان الله سبحانه، حيث انهم عليهم السلام كلمة الله في الارض وحجته على العباد، كما انه عليه السلام كان مقابل محاولات عبد الله بن الزبير في تجاوز اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فانه عليه السلام ركز على ذلك ولم يدعُ بشيء الا وذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ذكرنا ذلك مفصلا في فصل الصلاة على محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فانه عليه السلام ركز على دور الائمة في الامة وانهم حجج الله في الارض، ومفتاح الامة الى رضوان الله تعالى.

قال الامام زين العابدين عليه السلام: نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغرّ المحجّلين، وموالي المؤمنين. ونحن أمان أهل الارض، كما أن النجوم أمان لأهل السماء، وبنا يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه، وبنا يمسك الارض أن تميد بأهلها، ولم تخلُ الأرض منذ ان خلق الله الارض من حجة لله فيها، ولولا ذلك لم يُعبد الله[٢].

وقد عبّر الامام عليه السلام عن هذه الفكرة بأشكال متعددة وعبارات مختلفة، ولكنها تصب في الاتجاه نفسه. فقد قال الامام زين العابدين عليه السلام:

ربِّ صلِّ على اطايب أهل البيت، الذين اخترتهم لأمرك وجعلتهم خزنة علمك، وحفظة دينك، وخلفاءك في أرضك، وحججك على عبادك، وطهرتهم من الرجس

---

(١) الكافي، ج٥، ص٦٠.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق، ص١١٢.

والدنس، تطهيرا بارادتك وجعلتهم الوسيلة اليك والمسلك الى جنتك.

ربِّ صل على محمد وآله صلاة تجزل لهم بها من نحلك وكرامتك، وتكمل لهم الاشياء من عطاياك ونوافلك، وتوفر عليهم الحظ من عوائدك وفوائدك، رب صل عليه وعليهم صلاة لا أمد في اولها ولاغاية لأمدها، ولانهاية لآخرها[١].

اللهم فاني اتقرب اليك بالمحمدية الرفيعة، والعلوية البيضاء، وأتوجه اليك بهما ان تعيذني من شر كذا وكذا، فان ذلك لايضيق عليك في وجدك، ولايتكأدك في قدرتك، وانت على كل شيء قدير[٢].

اسألك اللهم بأنّ لك الملك والحمد، لااله الا انت، أن تصلي على محمد وآل محمد، عبدك ورسولك وحبيبك وصفوتك وخيرتك من خلقك، وعلى آل محمد الابرار الطاهرين الاخيار[٣].

(١) الصحيفة السجادية، دعاؤه في يوم عرفة، الرقم(٤٧).
(٢) الصحيفة السجادية، دعاؤه في دفع كيد الأعداء، الرقم(٤٩).
(٣) نفس المصدر.

# [٤]
# الامام خليفة اللّٰه ومفزع العباد

الايمان بالله سبحانه في مفهومه العام هو «ما وقر في القلب وصدّقه العمل»[١] وفي داخل مساحة الايمان توجد درجات ومراتب يتمتع بها المؤمنون، اما في ساحة الانبياء فتوجد حالة من الافضلية، ولذلك سمي بعضهم انبياء وآخرون رسل وقسم ثالث اولو العزم وذلك حسب المهمة التي وكل بها فمنهم كان لنفسه ومنهم لعشيرته وآخر لاهل مدينته وبعضهم للبشرية جمعاء، وهؤلاء الذين يعبر عنهم باولي العزم من نوح وابراهيم وموسى وعيسى وخاتمهم واشرفهم نبينا محمد ﷺ وعليهم اجمعين.

وحالة الايمان ترصد في اوقات المحنة والشدة فينظر الانسان كيف يتصرف وماذا يظهر منه من سلوك.

فعندما يحدثنا القرآن الكريم عن خليله ابراهيم في الاطمئنان الايماني بقدرة الله سبحانه يحاوره الله سبحانه وينقل لنا هذا الحوار في قرآنه المجيد:

قال النبي ابراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى

قَالَ: أَوَلَمْ تُؤْمِنْ؟

قَالَ: بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي

قَالَ: فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنْ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾[٢].

---

(١) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الاحسائي، ج١، ص٢٤٨.

(٢) سورة البقرة، ٢٦٠.

فالنبي ابراهيم الخليل كان يملك ايمانا راسخا ولكن أراد ان يرى قدرته سبحانه بعينه وعندما قرر نمرود إحراق النبي ابراهيم في تلك النار العظيمة التي كانت تأكل الطير وهو في كبد السماء، القي النبي ابراهيم عليه السلام في النار من بُعد وبواسطة منجنيق عملاق صُنِع خصيصا لهذه المهمة.

وهنا تلقاه الملك جبرائيل وقال له: ألك حاجة؟

أجابه النبي ابراهيم عليه السلام: أما إليك فلا[1]. فتدخل سبحانه لانقاذ عبده وخليله وامر النار ان تكون بردا وسلاما على ابراهيم عليه السلام.

نعم بردا وسلاما، وإلا لو كان الأمر بالبرد وحده لتحولت طبيعة النار الى زمهرير يجمد ابراهيم الخليل ويكون بدل الاحراق، التجميد ولكن الأمر كان البرد مع السلامة.

وعندما خمدت النار وإذا ابراهيم عليه السلام جالس في وسطها يسبح الله تعالى. إن الفرق واضح بين ان يطلب من جبرائيل أو يطلب من الله سبحانه، على الرغم من أن قدرة جبرائيل هي من قدرة الله سبحانه، ولكنه خليل الله وليس خليل جبرائيل. هذا هو المحك والتجربة الناجحة في وقت المحنة والشدة، إنها فقط من الله سبحانه.

ونفس تجربة الشدة والضيق تعرض إليها النبي يوسف عليه السلام عندما القي في السجن بتهمة التعرض لزوجة العزيز، وان اختلفت أدوات التجربة، نجد أن النبي يوسف عليه السلام على سبيل التذكرة قال لأحد المسجونين الذي فسر له الحلم أذكرني عند ربك، حيث ان السجن محنة مؤلمة ويزداد ألمها انه سجن بتهمة باطلة يضطر فيها للعيش مع اناس ليسوا في مستوى كمالاته النبوية، مما يحزنه نفسيا فيطلب ان يذكروه عند العزيز ولكن الأمر بيد الله سبحانه وليس بيد العزيز.

وبسبب نتائج هذه التجربة طالت مدة سجن يوسف عليه السلام، ومن خلال التجربتين يتضح لنا الفرق في سلوك الأنبياء عليهم السلام وقت المحنة حيث نجحت تجربة ابراهيم الخيل وتأخرت تجربة يوسف الصديق، وهكذا كانت تجربة كل واحد منهما وقت المحنة وكلها في دائرة الايمان وبداخل مساحته.

---

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج١، ص٣٦.

## الولاية وعمق الايمان

وهكذا هي تجربة الايمان في سلوك المؤمنين، وكلٌّ يُظهِر ما عنده، فنرى أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لو كُشِف الغطاء ما ازددت يقينا[1].

وهذا تعبير عن عمق الايمان في نفسه، بحيث لايمكن لأي دليل إضافي أن يعطي شحنة ايمانية اضافية، بل ان مستوى الايمان الاول يستمر على نفس الافق الرفيع الكامل وليس من مجال لتطوره أو زيادة فيه.

وبذلك يكون الانقطاع الى الله سبحانه وحده في كافة مجالات الحياة حيث هو القدرة والقوة والسلطة المطلقة التي لاتضاهيها أو تناقضها قوة، انها القدرة المطلقة والتي لاتحتاج الى اعانة من احد او دعم وتسهيل، بل هي وحدها المتكاملة المتنفذة في تحقيق ارادتها وليست بحاجة الى إذن من أحد لكي تؤدي دورها أو تصل الى اهدافها، ولا يمكن لقوة أو قدرة أن تقف امامها او تحول دون وصولها الى اهدافها، بل تتصاغر دونها كل القدرات.

وعندما نقول: القدرة المطلقة، فهذا يعني ان الشمولية لها في كافة الساحات الحياتية المادية والمعنوية على حد سواء، فهو حلّال كل مشكل ومفتاح كل معضلة، وقد حاول اصحاب القوة والبأس والبطش ان يظهروا انفسهم انهم يملكون صلاحيات الإله عندما طلب منهم النبي الايمان بالله سبحانه بدل ان يتقمصوا دور الله ويتحدثوا بالصلاحيات العظيمة وهي الحياة والموت، فسألوا من النبي ابراهيم عليه السلام: ما هي قدرة ربك؟ فقال النبي: ﴿**فان اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمُشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**﴾[2].

والقدرة الالهية تحيط بكل شيء حيث وسع كرسيه السموات والارض وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم، فكما هو قادر على حل المشاكل المادية فهو متمكن من حل المعضلات المعنوية، لأن المادة يمكن أن تحل الحاجات المادية ولكنها غير قادرة على انعاش النقص المعنوي ولكن الله سبحانه يملك هذه القدرة: يا عدتي في كربتي، ويا

---

(١) بحار الانوار، ج٤٠، ص١٥٣.

(٢) سورة البقرة، ٢٥٨.

صاحبي في شدتي، ويا ولي في رغبتي، انت الساتر عورتي، والآمن روعتي، والمقيل عثرتي، فاغفرلي خطيئتي، يا ارحم الراحمين[1].

## بابه مفتوح للسائلين

إنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي فتح بابه لعباده على مصراعيها من دون واسطة أو زمن أو مكان معين، فبابه مفتوح للسائلين، والحديث معه ليس له مفردات معينة، وإنما كلما يختلج في نفس الانسان من مطالب طموحة كانت، أو حوائج ومعضلات كانت، او مشاكل يعجز عن حلها الانسان فتتدحرج على لسانه مفردات الكلمات التي تعبر عن مطالبه.

والحديث معه من دون حياء او خجل منه، فلا عيب في المطلب الصغير ولا تهيّب من السؤال الكبير، فالحديث معه سبحانه عن ملح الطعام أو علف الدابة هو مما يسمعه سبحانه ويجيب عنه، ولا يخرج عن اختصاصه.

بل ليتحدث الانسان مع ربه عن خلجات نفسه وما ترشحه احساساته وتفكيره وهمومه، صغيرة كانت ام كبيرة، فهو السميع العليم.

ويتبين ذلك من خلال مناجاته عليه السلام في بيت الله الحرام حيث رواه طاووس قال: دخلت الحجر -يعني حجر اسماعيل- في الليل فاذا علي بن الحسين قد دخل فقام يصلي ما شاء الله، ثم سجد سجدة فأطالها، فقلت: رجل صالح من بيت النبوة، لأصغين اليه، فسمعته يقول:

عبدك بِفنائك، مسكينك بِفنائك، سائلك بِفنائك، فقيرك بِفنائك.

وحفظ طاووس هذه المناجاة القصيرة التي عبرت عن نكران الذات، والاعتراف بالعبودية المطلقة لله، فكان يدعو بها عند الحاجة، وكان الله يكشف ما ألمّ به كما حدَّث بذلك[2].

## المؤمن لا يطرق باب غير الله

والله سبحانه عندما يعطي عبده ويمنحه جوانب من الخير ويفك عنه اصر الاغلال

---

(١) مفاتيح الجنان، اعمال اسحار رمضان، ص٢٠١

(٢) نور الابصار، ص١٢٧، شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج ٦، ص١٩٢.

فانه لايعيب على عبده فيما بعد ولا يوبخه بالمنة عليه.

وعندما يشعر الانسان أن ليس هناك من منة عليه إن طالب وحصل فيندفع نحو خالقه في طلب المزيد من العلاقة والتضرع اليه للنيل من عطائه ولذلك نجد أن الامام زين العابدين عليه السلام في ثقافته من الدعاء كان يتوجه صوب الله فقط ويركز على كل انسان ان لايتوجه في الطلب والحصول على الانجازات من غير الله سبحانه والا فان البشر عاجز عن تدبير الامور وإن دَبَّر فهي بتسهيل من الله سبحانه.

واذا كان التسهيل منه فقط، فاذاً لِمَ يذهب الانسان ويطلب ممن هو مثيله؟ ممن يتوجه في حاجته إلى دق باب الله سبحانه، فليكن التوجه صوب الله سبحانه فقط دون الناس في كافة مرافق الحياة من مال وجاه وحل للمشاكل.

وقد اجتاز الامام زين العابدين عليه السلام يوماً على رجل جالس على باب رجل من الاثرياء، فبادره الامام قائلاً: ما يقعدك على باب هذا المترف الجبار؟

أجاب الرجل: البلاء، اي أبتليت بالفقر.

قال الامام له: قم فارشدك الى باب خير من بابه، والى رب خير لك منه.

فأخذ الامام عليه السلام بالرجل الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وقال له: إستقبل القبلة، وصل ركعتين، وارفع يدك بالدعاء الى الله تعالى وصل على نبيه، ثم ادعُ بآخر سورة الحشر، وست آيات من اول سورة الحديد وبالآيتين في اول سورة آل عمران، ثم سل الله سبحانه فانك لاتسأله شيئاً إلا أعطاك(١).

وهكذا مرّ على الامام زين العابدين عليه السلام وهو في عرفات رجل يستعطي الناس، فناداه الامام عليه السلام وقال له: يا هذا إن الناس جاؤوا الى هنا يسألون الله، وانت تسأل من الناس، إسأل الله.

ومن مفردات انقطاعه الى الله سبحانه، دعاؤه في الصحيفة السجادية، الدعاء السابع والعشرون، ودعاء أبي حمزة الثمالي، ودعاء التودد الى الله سبحانه(٢).

---

(١) الامام زين العابدين عليه السلام، محمد باقر شريف القرشي، ص٩٤.
(٢) الامام زين العابدين عليه السلام، باقر شريف القرشي، ص٢٤١، انظر: بحار الانوار، ج٤٦، ص٦٢.

واليك مقاطع من بعض أدعيته:

...ورأيتُ أنّ طلب المحتاج الى المحتاج سفه من رأيه، وضَلّة من عقله، فكم قد رأيتُ يا الهي من أناس طلبوا العزّ بغيرك فذلوا، وراموا الثروة من سواك فافتقروا، وحاولوا الارتفاع فاتّضعوا، فصحَّ بمعاينة أمثالهم حازمٌ وفّقه اعتباره، وارشده الى طريق صوابه اختياره، فانت يا مولاي دون كل مسؤول موضع مسألتي، ودون كل مطلوب اليه وليُّ حاجتي، انت المخصوص قبل كل مدعوٍّ بدعوتي، لا يشركك احد في رجائي، ولا يتفق احد معك في دعائي، ولا ينظمه واياك ندائي، لك يا الهي وحدانية العدد، وملكة القدرة الصمد، وفضيلة الحول والقوة، ودرجة العلو والرفعة، ومن سواك مرحوم في عمره، مغلوب على امره، مقهور على شأنه[١].

***

اللهم صل على محمد وآل محمد، وارزقني اليقين وحسن الظن بك، واثبت رجاءك في قلبي، واقطع رجائي عمن سواك، حتى لا ارجو غيرك ولا أثق إلا بك[٢].

***

يا رب اني ضعيف عن طلب الدنيا وأنت واسع كريم، اسألك يا رب بقوتك على ذلك وقدرتك عليه وغناك عنه وحاجتي اليه أن ترزقني في عامي هذا وشهري هذا ويومي هذا وساعتي هذه رزقا تغنيني به عن تكلف ما في أيدي الناس من رزقك الحلال الطيب. أي رب، منك اطلب، واليك ارغب، واياك ارجو، وأنت أهل ذلك. لا أرجو غيرك ولا اثق الا بك يا ارحم الراحمين[٣].

***

اللهم رضّني بما قسمت لي حتى لا أسال احدا شيئا، وارزقني من فضلك الواسع رزقا حلالا طيبا لاتفقرني الى احد بعده سواك، تزيدني بذلك شكرا، واليك فاقة وفقرا،

---

(١) الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٧.

(٢) دعاء (ياعدتي في كربتي) مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي، ص٢٦٢.

(٣) مصباح المتهجّد، الشيخ الطوسي، ص٦٠٠، دعاء السحر في شهر رمضان.

وبك عمن سواك غناً وتعففا(١).

***

يا من لامفر منه الا اليه، يا من لامفزع الا اليه، يا من لامقصد الا اليه، يا من لاملجأ منه الا اليه، يا من لايرغب الا اليه، يا من لاحول ولا قوة الا به، يا من لا يُستعان الا به، يا من لا يتوكل الا عليه، يا من لا يرجى الا هو، يا من لايعبد الا هو(٢).

***

الهي إن رفعتني، فمن ذا الذي يضعني؟ وإن وضعتني فمن ذا الذي يرفعني؟ وإن أكرمتني فمن ذا الذي يهينني؟ وإن أهنتني فمن ذا الذي يكرمني؟ وإن عذبتني فمن ذا الذي يرحمني؟ وإن أهلكتني فمن ذا الذي يعرض لك في عبدك أو يسألك عن أمره؟(٣).

***

وعندما ما تنزل بالانسان بلية وتحل به مشكلة ويستعصي عليه امر مادي أو معنوي، فإلى أين الملجأ؟ ولمن الهرب؟ وفي كهف من التحصن؟ الى الإنسان، أم الى الله؟ يعلمنا الامام عليه السلام إن اللجوء الى الله وحده فهو بيده مفاتيح الحل. لنقرأ معا هذه المقطوعة:

اللهم لاطاقة لي بالجهد، ولا صبر لي على البلاء، ولاقوة لي على الفقر، فلا تحظر عليّ رزقي، ولاتكلني الى خلقك، بل تفرد بحاجتي، وتول كفايتي، وانظر إليّ وانظر لي في جميع اموري، فانك إن وكلتني الى نفسي عجزت عنها، ولم أقم ما فيه مصلحتها، وان وكلتني الى خلقك تجهّموني، وان الجأتني الى قرابتي حرموني، وإن اعطوا اعطوا قليلا نكدا، ومنوا على طويلا، وذموا كثيرا، فبفضلك اللهم اغثني، وبعظمتك فانعشني، وبسعتك فابسط يدي، وبما عندك فاكفني(٤).

(١) دعاء يا عدتي، مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، ص٢٦٢.
(٢) دعاء الجوشن الكبير، مفاتيح الجنان، ص٣٨.
(٣) الصحيفة السجادية، دعاء الامام يوم عيد الاضحى.
(٤) الصحيفة السجادية، الدعاء الثاني والعشرون.

# [٥]

# الامام والثقافة الحياتية

أعطى الإسلام إهتماما متوازنا للدنيا والآخرة، فكما أن الاخرة هي دار القرار ومحل الاقامة الدائمة، ولابد للانسان من أن يعمر داره، ويزينها بأفضل الالوان، فان الدنيا هي عملية الاعداد والعمل لتلك الدار الباقية.

ولابد للاستفادة من قدراتها وإمكانياتها بالحسنى من أجل تسخيرها وتوظيفها في سبيل الخير، وقد عبر سبحانه عن عملية التوازن بقوله:

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[١].

وقال الامام الحسن عليه السلام: اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا[٢]. وقال الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله: إن قامت الساعة وفي يد أحدكم الفسيلة، فان استطاع أن لا تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها[٣].

وكثيرة هي الاحاديث التي تتطرق الى هذه المنهجية الإسلامية، في عملية البناء الحياتي.

## التوازن في الحياة

كما أن حياة الرسول صلى الله عليه وآله والائمة الاطهار عليهم السلام هي مصداق للتوجه القرآني

(١) البقرة، ٢٠١.
(٢) بحار الانوار، ج٤٤، ص١٣٩.
(٣) مستدرك الوسائل، ج١٣، ص٤٦٠.

والتربية الربانية في ايجاد حالة التوازن، فنجد الرسول الاعظم ﷺ يعبر عن واقع تطلعه بقوله:

حُبِّب إلي من دنياكم النساء والطيب وجُعل قرة عيني في الصلاة[1].

وهو تعبير عن واقع حياتي قائم لايمكن للانسان أن ينكره أو يقلل من شأنه أو يغالط نفسه فيه.

فالعطر يعبِّر عن الذوق والجمالية في الإنسان، حيث يعيش السرور والراحة والنشوة، كما ان النساء هن سكن الإنسان، وملبسه الذي لايمكن أن يعيش من دونه، والصلاة هي معراج المؤمن عن المشاكل اليومية وحالات الجزع الارضي، والارتقاء عن حضيض التراب ومحاولة تحكيمها على معادلة الانسان والتحكم في سلوكه اليومي.

والقدرات المادية هي نعم العون للانسان على دينه، حيث يجب أن تسخر في الاصلاح والاعمار الذي يدل على التوفيق لاعمار الآخرة.

وهكذا كان اهل بيت النبوة عليهم السلام يتمتعون بالقدرات المادية وينفقونها في سبيل الله واصلاح شأن المحتاجين وحل معضلات الناس واعلاء كلمة الله سبحانه.

وإلا اين كان عطاؤهم للفقراء والمحتاجين، أو حالات الكرم الهاشمي بما كانوا يقدمونه للناس، إن لم يكونوا يملكون الإمكانات المادية؟

من الواضح أنهم كانوا يملكون ويسخِّرون ما يملكون في سبيل إعمار الآخرة.

## علاقات متوازنة

والانسان يعيش في الدنيا من أجل أن يؤدي رسالته كانسان باعتباره خليفة الله في الارض، او أنه صاحب هدف ورسالة لابد له من السعي لتحقيقها واذا لم يكن مهيأ نفسيا وجسميا فانه لايقدر أن يعمل شيئاً وانما يعيش مشاكله الداخلية.

ومن أجل أن يعيش حالة التوازن الحياتي والسلوكي لابد له من ثقافة تمكنه من التصرف بالسلوك الحسن وتنظم نشاطه الذاتي كما ترسم له علاقة بالآخرين في شتى

(١) الخصال، الشيخ الصدوق، ص١٦٥.

مجالات الحياة وتتعدى دوائرها من البيت وما فيه من أركان الحركة من الزوجة والأولاد والآباء والأمهات والجيران، الى الدوائر الأوسع من اصدقاء و..

وعندما يعرف الانسان كيف يقيم علاقات متوازنة ومتينة وقائمة على أرضية صلبة، فانه يتذوق وقتئذ معنى الحياة ويثمن رسالته فيها.

وكما ان الامام اعطى اهتماما واضحا في ثقافته الدعائية الى الحالة العبادية الروحية، فانه كذلك ملأ بدعائه الجانب الحياتي في مفردات دعائه وذلك في حقلين:

**الأول: في رسالة الحقوق**

ورسالة الحقوق تضمنت رسم الخطوط العريضة للعلاقات التي يجب أن تكون من كل طرف تجاه الطرف الآخر، واعطاء كل صاحب حق حقه في علاقته مع الآخرين، من أصغر دائرة الى اوسع الدوائر.

فتحدث الامام في ثقافته الحياتية التي عرضت في رسالة الحقوق، عن علاقة الأب والابن والأهل.

وفي الجانب السياسي عن علاقة الناس بالحاكم وعلاقة الحاكم بالناس، وفي الجانب الخلقي عن علاقة الناصح بالمنصوح والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بالمخطئ، وهكذا.

والذي ينبغي التدبر فيه، هي تلك التعاليم التي رسمها الامام عليه السلام للذي يناله التوفيق حيث يأتي من يقدم له النصح ويدله على الطريق الصحيح وينبهه على أخطائه الحياتية.

هذا فضلا عن ان يأتيه من يأمر بالمعروف وهو يعمل بالمعروف وينهاه عن المنكر وهو يتجنّبه.

ونجد أن هذا التوجه برز عند الامام عليه السلام رغم أن طبيعة الانسان لاتقدر دور الناصح والآمر بالمعروف، ويعتقد أنه نوع من الفضول والتدخل في شؤون الغير.

وان الناصح والآمر بالمعروف هو رجل محسن وصاحب رسالة ومتفضل في قيامه

بهذا العمل وبالتالي فانه قد كلف نفسه بالتصدي للقيام بهذا الدور حباً للناس ومن اجل انقاذهم وتعمير الحياة بالصلاح والرشد.

مما يتوجب على الانسان أن يقدم الشكر والامتنان لهذا الانسان الذي سخره الله سبحانه ليدلني على خطأي وعيوبي ويصلح لي ما بدر مني من خطأ حيث الحديث الشريف يقول:

أحبّ إخواني إلي مَنْ أهدى إلي عيوبي[١].

يقول الامام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق في باب الناصح والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

وأما حق الناصح فان تلين جناحك، ثم تشرئب له قلبك، وتفتح له سمعك، حتى تفهم عنه نصيحته، ثم تنظر فيها، فان كان وُفِّقَ فيها للصواب حمدت الله على ذلك، وقبلت منه، وعرفت له نصيحته، وإن لم يكن وُفِّقَ لها فيها رحمته، ولم تتهمه، وعلمت أنه لم يألك نصحاً إلا أنه أخطأ إلا ان يكون عندك مستحقاً للتهمة، فلا تعبأ بشيء من امره على كل حال، ولاقوة إلا بالله[٢].

أما حق الناصح على المستنصح فهو أن يلين له جناحه تكريماً وتعظيماً له، ويتوجه اليه بقلبه وسمعه ليعي نصيحته، ويتدبر ما فيها، فان كانت وفقاً للصواب حمد الله على ذلك وان خالفت الواقع فليس له أن يتهمه في شيء لأنه لم يأل جهداً في نصيحته إلا أنه أخطأ في ذلك، وليس عليه حرج أو بأس[٣].

### الثاني: في مفردات ادعية الامام

ومن ابرز هذه الادعية، أدعية الايام التي تطرَّق فيها الامام الى بعض تفاصيل المشاكل الحياتية التي يعيشها الانسان حيث تقفز هذه المشاكل لتجثم على منهجيته الحياتية وتغلق فطرته وتجعله يتخبط في عمى وضلال فنجد الامام عليه السلام يتطرق في دعاء يوم

---

(١) الكافي، ج٢، ص٦٣٩.

(٢) بحار الانوار، ج٧١، ص١٩.

(٣) حياة الامام زين العابدين عليه السلام، باقر شريف القرشي، ص٥٠٥.

الاثنين الى بعض تلك المفردات وللمشاكل اليومية فيقول عليه السلام:

اللهم اجعل اول يومي هذا صلاحا، واوسطه فلاحا، وآخره نجاحا، واعوذبك من يوم اوله فزع، واوسطه جزع، وآخره وجع، اللهم اني استغفرك لكل نذر نذرته، وكل وعد وعدته، وكل عهد عاهدته ثم لم اف به، واسئلك في مظالم عبادك عني، فايما عبد من عبادك او امة من امائك كانت له قبلي مظلمة ظلمتها اياه في نفسه، او في عرضه، او في ماله، او في أهله وولده، او غيبة إغتبته بها، او تحامل عليه بميل او هوى، او أنفة، او حمية، او رياء، او عصبية، غائبا كان او شاهدا، وحيا كان او ميتا، فقصرت يدي وضاق وسعي عن ردها اليه والتحلل منه، فاسألك يا من يملك الحاجات وهي مستجيبة لمشيّته ومسرعة الى ارادته ان تصلي على محمد وآل محمد. وأن ترضيه عني بما شئت، وتهب لي من عندك رحمة، إنه لاتنقصك المغفرة، ولا تضرّك الموهبة، يا أرحم الراحمين[١].

والنعرات الجاهلية التي تسيطر على نفسية الانسان وترسم له خطوط تماسه مع الآخرين من خلال العصبية والانانية وسوء الظن والأنفة وكل هذه تعشعش في بوتقة الاستعلاء والتكبر على الآخرين وبالتالي فهي لا تقيم نظرة ايجابية ولاتعاملاً متوازناً مع الآخرينَ بل انها تضع امام الانسان مجموعة من المتاريس الوهمية وهذه المفردات هي التي تحدث عنها الامام عليه السلام.

## الدعاء والتعاليم الثقافية

والذي يلاحظ مفردات رسالة الحقوق أو أدعية الامام عليه السلام كدعاء يوم الاثنين من جهة وواقع الأمة التي عاصرها الامام عليه السلام يتبادر الى ذهنه أن أدعية الامام كانت مجموعة من التعاليم الثقافية بصيغة الدعاء والابتهال الى الله سبحانه واختيار الامام لاسلوب الدعاء يشعر منه المتأمل: إن حالة الارهاب والظلم الذي كان يُمارَس لم يبق حجراً على حجر في مجال القيم، حيث سقطت كل القيم والمقدسات والروابط الاجتماعية والعلائق الدينية، وسحقت كل مفردات الاعراف حيث تنكر من بيدهم السلطة والقوة لتعاليم الإسلام علنا واساؤوا لرسول الإسلام ورموز الدين وصحابة الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) المصباح، الكفعمي، ص١١٤.

بل انهم تفننوا في الطغيان وسحقوا كل هذه القيم تحت الاقدام، وقد اشرنا اليها كمفردات متناثرة يمكن لنا أن نستذكرها عبر نقاط:

١- ماجرى على الامام الحسين عليه السلام من القتل له ولأهل بيته واصحابه بتلك الطريقة التي تنم عن حقد ودناءة وبعد ذلك سبي آل الرسول الى الكوفة والشام.

وقد عبّر الامام الحسين عليه السلام عن حالة الجرأة والاقدام على قتله انهم سوف لايهابون احدا بعده اذا ما تجرؤوا على قتله وانتهاك حرمته، وفعلا فقد حصل هذا بعد ذلك، فالذي يعرف ان الامام الحسين عليه السلام هو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول له نعم أعرفك أنت هكذا ويتطاول عليه في الوقت نفسه وعلى قتل طفله الرضيع والاندفاع الى جريمة سلب ملابس النساء واقراطهن من على اجسامهن، أو يقول احرقوا بيوت الظالمين، ولاتبقوا لاهل هذا البيت من باقية، فماذا أبقى هذا الانسان من حرمة؟

إن هؤلاء الذين رفعوا هذه الشعارات يوم كربلاء انما رفعوا شعار الحرب على الله سبحانه وشريعته بكل ما تضمنته الاشخاص والقيم مفردات السقوط لديهم كأشخاص وقيم.

٢- الذي جرى في المدينة المنورة والذي عُرِف بواقعة الحرة، قد عبر عن عدم احترام الرسالة الاسلامية ورموزها، فالناس قُتِلوا، وحرم الرسول صلى الله عليه وآله دُنِّس، وفُضَّت البواكر، وسُرِقت البيوت، واصحاب الرسول الله صلى الله عليه وآله ضُربوا واهينوا، واستعمل المسجد النبوي كمربض لخيول جند الشام.

وتجرأ مسرف بن عقبة وبعده الحجاج ليقولوا على مسامع الناس ان المدينة (نتنة) فيقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وآله سماها (طيبة) فيقول الطاغية وانا اسميها (نتنة).

٣- تجرأ عبد الله بن الزبير في التطاول على صاحب الرسالة حيث قرر حذف اسمه في الاذان واتخاذ الموقف السلبي من اهل بيته وقوله انه كان يكتم بغضهم منذ ٤٠ عاما، وتجرأ على هدم بنيان الكعبة وهدر كرامتها التي جعلها الله مكانا آمنا للناس حتى وصل الأمر بعبد الله بن الزبير أن يوقف اخاه عمرو بن الزبير امام الناس ويضربه حتى الموت.

ويأمر بقتل النساء لانهن زوجات معارضين له أو يطلقهن من ازواجهن وقد كان

هذا مرة مع نساء معارضيه في البصرة واخرى مع زوجات المختار، واذا كان هذا هو العائذ بالبيت الحرام ويتجرأ في القيام بهكذا اعمال فكيف بباقي الناس فيما بينهم.

٤- وعندما كان عمر بن عبد العزيز واليا على المدينة المنورة بأمر من الوليد بن عبد الملك يلقي القبض على حبيب بن عبد الله بن الزبير ويوقفه امام مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويضربه ويلقي عليه الماء البارد في الشتاء فيموت بعد يومين، لأنه ابن عبد الله بن الزبير وكان ابوه ضد بني امية.

٥- اما الحَجّاج فانه:

**ألف**: كان يصرح، وهو في المدينة، كرهه للمدينة واهلها، والظاهر انه وبينه وبين نفسه يشتمل كرهه لصاحب المسجد والقبر.

**باء**: كان يسمي المدينة نتنة على الرغم مما يقول له الناس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يسميها طيبة.

**جيم**: انزل الخوف بالمدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أخاف المدينة أخافه الله عز وجل»[1]. بل انه كان يتعمد ختم أيدي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعريضهم للاهانة.

٦- تجرأ عبد الله القسري عندما مد ساقية عينٍ ماؤها حلو الى جانب بئر زمزم، وكان يجمع الماء في حوض ويقول للناس إن الماء الحلو عطية الخليفة -الوليد- وزمزم وماؤها المج عطية الله، فأيهما افضل؟

أو انه كان يقول ان الولاء للخليفة اولى واهم من كل ولاء.

٧- الذي جرى في زمن خالد القسري في مكة والمدينة في اول حكم الوليد بن عبد الملك أن الجار كان يخاف جاره بل يفتن على جاره لأنه يُؤوي عراقيا، واكثر من هذا ان الناس أخرجوا ضيوفهم من البيوت خوفا من الفتنة عليهم من الجيران أو العيون حتى ان الناس كانوا يلجؤون الى الطرقات والجوامع.

---

(١) مسند أحمد، ج٤، ص٥٦.

ان هذه المظالم جرت بمرأى ومسمع من الامام زين العابدين عليه السلام حيث المدينة المنورة ومكة المكرمة.

اما الذي كان يجري في العراق ومناطق العالم الإسلامي الاخرى وتصل اخبارها الى الامام عليه السلام، فذاك ما يملأ صفحات كتب التاريخ.

ان هذا الواقع سحق الحقوق والروابط والاعراف الاسلامية والقيم التي ركزها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحدث عنها القرآن الكريم.

إن هذا الواقع كان بحاجة إلى إعادة ترتيب ومعرفة ما يقول الإسلام في كل موقع وساحة من العلاقات الإجتماعية.

وكان الامام يتحدث بذلك ضمن مساحة حركته وعلائقه الإجتماعية، ومع أصحابه حيث كان يبين هذه الحقوق والاصول الاسلامية في الروابط، وكان الامام يوضح للدوائر المحيطة به الثقافة الاسلامية الصحيحة حتى تتمكن هي من معرفة الفكر الإسلامي وتكون هي نقاط الاشعاع في الامة وتنقله عبر قنواتها الخاصة.

وفي جانب آخر فان هذا الخراب الفكري والنفسي والاجتماعي والسياسي لم يترك حجراً على حجر، وقد تعاقب الجبارة الذين ذكرناهم آنفاً على تعميق هذا الانحراف والضلال في واقع الامة.

وفداحة هذا الانحراف بحاجة الى قوة كبيرة تتدخل من اجل ارجاع الامور ولو بمقدار الى نصابها الطبيعي.

وليس بوسع أحد على القيام برد ذلك الا الله سبحانه، ولذلك ركز الامام زين العابدين عليه السلام على مد الجسور مع الله سبحانه حتى تتوازن نفسية الانسان ويتمكن من الوقوف بشكل طبيعي وينطلق من هذه النقطة لإصلاح وضعه في وسط الامة بما يمكنه من الوقوف ازاء ما يجري حوله، وتركيز الامام عليه السلام على الارتباط بالله سبحانه كان موقفا ايضا ازاء حفنة الشياطين الذين توالوا على كرسي الحكم والولاية في المدينة المنورة ومكة المكرمة والتي كانت اعمالهم تجهر في الانحراف عن الله والابتعاد عنه والمفردات التي ذكرناها كانت واضحة في ذلك.

وقد شهدت مجريات التاريخ ان ذكر الله سبحانه والتمسك به هو العلاج لكل المشاكل النفسية والحياتية والاقتصادية والسياسية والإجتماعية:

يا من اسمه دواء وذكره شفاء وطاعته غنى[1].

﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2].

(١) مفاتيح الجنان، من دعاء كميل.

(٢) الرعد، ٢٨.

# [٦]

# عبادة الامام عليه السلام

عُرِف الامام زين العابدين عليه السلام بكثرة العبادة، وتعامل الناس معه على انه شمس آل محمد في هذا المضمار، وأُطلق عليه لقب السجاد والبكّاء وزين العابدين، وكل هذه المفردات تنطوي تحت عنوان العبادة.

والذي يظهر أن امتياز العبادة في سلوك الامام عليه السلام وممارسة دوره كإمام ومربي وقائد ورسالي عبر مفردات وصيغ عبادية، جاء نتيجة للظروف التي كان يعيشها، وقد فهمت الناس ان العبادة فقط دون غيرها هي المعلم البارز في حياة الامام في الوقت الذي يدلنا الواقع ان هناك تلازم بين عبادة الامام عليه السلام والأدوار الاخرى التي كان يزاولها كإمام وقائد.

وكذلك آباؤه عليهم السلام كانت لهم مفردات عملية أخرى عُرِفوا بها وتعامل الناس مع تلك المفردات دون غيرها.

فالامام أمير المؤمنين عليه السلام تحدث الناس عن محنته مع معاوية بن ابي سفيان، والامام الحسن عليه السلام عن هدنته مع معاوية، والامام الحسين عليه السلام في ثورته وشهادته ومع هذه الشهرة للائمة عليهم السلام كانت عبادتهم يشار اليها بالبنان وما عبر عنه الامام زين العابدين عليه السلام بقوله: من يقوى على عبادة علي[(١)] عليه السلام.

او عندما سُئل عن قلة اولاد أبيه فقال: «إن أبي كان مشغولا بالعبادة فان يصلي الليل كله».

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٧٥.

وكان ينقل عن الامام الحسن عليه السلام انه حج خمساً وعشرين حجة والنجائب تساق بين يديه، وانه قاسم الله سبحانه مرتين ملكه وانفقه في سبيل الله سبحانه[١]، وكثيرة هي مفردات عبادة الائمة الذين سبقوا الامام زين العابدين عليه السلام.

## لبّ العبادة

شملت عبادة الامام عليه السلام مجموعة مفردات من العبادة ومساحات اللقاء بالله سبحانه في السلوك الظاهري الذي تعارف عليه البشر، أما لب العبادة والانقياد لله سبحانه ونوعية العبادة فهي ما تقصر عن فهمه ومعرفة عمقه الالباب، حيث معرفته بالله سبحانه اعمق من معرفتنا بذلك، ولذلك فان عمق التعامل مع الله لاتصل اليه مداركنا كحالات خاصة اختص بها عليه السلام، وقد مارس الامام عليه السلام العبادة في جوانبها المختلفة حتى شملت كل مساحات الحياة. والذي يقرأ الصحيفة السجادية ودعاء الايام ودعاء أبي حمزة الثمالي، تقفز الى ذهنه هذه المعاني بشكل واضح.

فهو يتطرق الى الضعف امام الله سبحانه، حيث انه بيده مقاليد الامور، واذا أراد شيئاً فانه يتحقق بارادته كاسمى ما يكون التحقق.

﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٢].

«يا داود تريد وأريد ولايكون الا ما اريد»[٣].

وبناءً على هذا الفهم فان الامام زين العابدين عليه السلام تعامل مع ربه بكلمات وجدانية، تأخذ بتلابيب العاطفة الإنسانية نحو خالقها، وتهز مشاعر الانسان من اعماقها، وتجعل فطرة الانسان تلتقي هذه الالفاظ بواقعية من دون رتوش او انكسارات مرتبطة بالحواجز، حيث هي كلمات يعبر عنها الامام زين العابدين عليه السلام بواقع حاجته والمتطلبات الحياتية التي يعنيها بما يفصح بصدق عن هدفه في خطابه وخطواته المعبرة عن حركته.

---

(١) المصدر، ج٤٣، ص٣٤٠.
(٢) يس، ٨٢.
(٣) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص٣٣٧.

ولقد كانت تعابيره ومفردات كلماته تخترق جدار المجاملات والتحديات والمنحنيات لترسم لوحة متطلبات الانسان أين ما كان.

لنقرأ معاً بعض هذه المفردات:

## ١- يخطب الحور في مسجد الرسول

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن علي بن الحسين صلوات الله عليهما، استقبله مولى له في ليلة باردة وعليه جبة خز ومطرف خز وعمامة خز وهو متغلّف بالغالية، فقال له: جعلت فداك في مثل هذه الساعة على هذه الهيئة الى اين؟ فقال: الى مسجد جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخطب الحور العين إلى الله عزوجل[١].

هيئة الامام: جبة خز، ومطرف خز، وعمامة خز وهي ملابس ثمينة.

الجو: ليل بارد.

المكان: مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الهدف: أخطب الحور العين الى الله عزوجل.

انها وجدانية صادقة تنبع من قلب الامام المفعم بالصدق والايمان، لتعبر أن هيئة الامام الظاهرية تنسجم مع مفردات كلام الامام من دون أي لف أو دوران: أخطب الحوار العين الى الله عزوجل.

## ٢- شديد الإجتهاد في العبادة

عن الصادق عليه السلام قال:

كان علي بن الحسين عليهما السلام شديد الاجتهاد في العبادة، نهاره صائم، وليله قائم، فأضر ذلك بجسمه. فقلت له: يا أبه كم هذا الدؤب؟ فقال له: اتحبب الى ربي لعله يزلفني[٢].

(١) الكافي، ج٦، ص٥١٧.
(٢) المناقب، لابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٩٤.

نعم، يتحبب الى ربه حيث هي الوسيلة لرضوان الله سبحانه ونيل قبوله ورحمته، لأن بوابة جنة الله طاعته والتحبب اليه سبحانه.

إن الأعمال التي يؤديها عباد الله هي من أجل التزلّف اليه لنيل رضوانه، وقبول الله تعالى لا يكون الا بهذه الطاعات وهذا التزلف.

انها الوجدانية الفطرية المعبرة عن الصدق والايمان بعيداً عن كونه اماماً ومعصوماً وابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

### ٣- طول القيام

عن محمد بن ابي حمزة عن ابيه قال:

أيت علي بن الحسين عليه السلام في فناء الكعبة في الليل وهو يصلي، فاطال القيام حتى جعل مرة يتوكأ على رجله اليمني ومرة على رجله اليسرى، ثم سمعته يقول بصوت كأنه باك: يا سيدي تعذبني وحبك في قلبي، اما وعزتك لئن فعلتَ لتجمعنَّ بيني وبين قوم طالما عاديتُهم فيك(١).

حديث فطري سليم مستقيم الصدق والوجدانية يخاطب ربه، الهي تدخلني نار جهنم حيث اعداؤك الذين خاصمتُهم وعاديتُهم في الدنيا من اجل ربوبيتك ووحدانيتك وطاعتك؟

يقف الامام في حديثه مع ربه الى هنا وتبقى بقية الكلمات متروكة لفهم القارئ! أي إن ذلك لايكون حيث لايجمع سبحانه عباده المؤمنين مع الأشقياء، وهذا منطق وجداني سليم وحوار فطري صادق، بعيد عن العبارات الغامضة التي تكتنفها التعقيدات.

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص١٠٧.

# [٧]

# الامام والتضرّع المميّز

إعتاد المؤمنون التضرّع لله سبحانه في أشكال مختلفة وألوان متعددة، من كثرة الصلاة الى طول الدعاء والبكاء من خشية الله سبحانه، وقد امتلأت تراجم الرجال من هذه المفردات.

ولكن بعض المفردات البارزة لا تكون منسجمة مع روح الشريعة من أمثال الذين تذكر تراجمهم أنه إذا جاء شهر رمضان أدخل أحدهم معه كوز ماء وقرص خبز، وبنى باب الغرفة عليه، وبعد انقضاء شهر رمضان تهدم الباب ليجدوا قرص الخبز على حاله وكذلك كوز الماء؟ وتعتبر هذه منقبة وكأنما الصوم هو ترك الأكل والشرب من دون قانونية وتنظيم، وأن هناك افطار وسحور.

فهذه طريقة لاتنسجم مع روح الدين والتشريع، وانما هي رغبة فردية قد تقف وراءها أهواء ذاتية لان الدين لايؤخذ بالرأي(١).

أو نموذج عبد الله بن الزبير الذي تسودت التراجم له أنه كان يركع ويطيل ركوعه حتى تظن الحمام انه صخرة فتأتي وتبيض على ظهره، وسمى نفسه العائذ بالبيت. وان صحت هذه المفردات فانها لم تنسجم مع السلوك العام لعبد الله بن الزبير الذي رفع اسم رسول الله ﷺ من الأذان! وترك الصلاة عليه، وبذلك بدّل ما شرع الله سبحانه واوجبه في الأذان! فماذا ينفع طول ركوعه وسجوده!

ويقال له: اخرج من مكة حتى لاتكون سببا في رفع الامان منها والذي شرعه

(١) يراجع: النسخ والتصوف.

سبحانه لها، وحتى لاتنتهك حرمتها، وقد رأى خروج الامام الحسين عليه السلام منها مع كثرة من أصر عليه في ضرورة البقاء بمكة حتى يكونوا معه بما فيهم عبد الله بن الزبير نفسه، ولكن الامام الحسين عليه السلام رفض ذلك وخرج مستندا الى أنه بقتله تنتهك حرمة البيت الحرام الذي جعله الله سبحانه آمنا.

ولكن عبد الله بن الزبير يصر على البقاء فيها والتحصن بالمسجد الحرام مما ادى الى هدم المسجد والكعبة! وكذلك امتناع الناس عن الحج لمدة ثلاث سنوات حتى ان عبد الملك بن مروان امر أهل الشام بالحج الى بيت المقدس[١].

والبعض منهم حج من دون الوقوف بعرفات ومنى أو آخرون حجّوا بالاكتفاء بالوقوف بالمشاعر، اي عرفة والمزدلفة ومنى من دون الطواف حول البيت[٢].

إن هذا التضرع والصلاة لم يكونا بلون حياة عبد الله بن الزبير، ولا منسجمين مع سلوكه الحياتي.

أو نموذج آخر هو الحسن البصري الذي يرمّزه البعض باعتباره من علماء الامة، والذي رفض نصيحة الامام أمير المؤمنين عليه السلام عندما رآه يسرف في صب الماء عليه في الوضوء فقطَّب وجهه ورد على الامام إنك الذي أسرفت في دماء المسلمين في يوم الجمل، فرد عليه الامام بالدعاء عليه أن يبقى عابس الوجه، وهكذا بقي الى وفاته عابس الوجه[٣].

إن الذي يرفض النصيحة من مسلم فضلاً عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام فأين تتجسم عبادته مع واقعه المنحرف؟

إن هذا العلم والعبادة ليسا من لون حياته العام الذي واضح الانحراف فيه عن روحية التدين!

ونموذج آخر هو سعيد بن المسيب الذي كان من الآلفين لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) وفيات الاعيان، ج٣، ص٧١.
(٢) راجع الطبري في أحوال عبد الله بن الزبير.
(٣) انظر: بحار الانوار، ج٣٤، ص٢٩٤.

وله مواقف سلبية مع الوليد بن عبد الملك، وهو القائل بأن الحزن بقي معهم منذ أن قال رسول الله ﷺ لجده: ما اسمك؟ قال: حزن، فقال له رسول الله ﷺ: بل انت سهل، فرد على رسول الله ﷺ بأنه لايغير إسماً سمّاه أبوه. فقال ابن المسيب: فما زالت فينا الحزونة[1].

فالذي بقيت آثار دعاء رسول الله ﷺ عليه سلباً من غير الواضح أنه يتمكن من الانسجام الصحيح مع العبادة بكافة جوانبها بطريقة سليمة، وبالفعل نجد أن سعيد بن المسيب يترك المشاركة في تشييع ودفن والصلاة على الامام زين العابدين عليه السلام[2].

والواقع أنه ليس ترك المشاركة في تشيع ودفن والصلاة على الامام زين العابدين عليه السلام والذي له كلمات مدح وثناء وتبجيل بحق الامام، وإنما هو عدم التوفيق في المشاركة في هذا العمل الصالح.

والذي لم يتوفق في المساهمة في عمل صالح من هذا النوع يصعب أن يكون قد ملك خطاً مستقيما في العبادة.

## السلوك العبادي المتميّز

ولكن الامام زين العابدين عليه السلام الذي عُرِف بتميزه في العبادة والتضرع الى الله سبحانه فانه استقام في هذا الطريق بحيث لم يعثر على هفوة في سلوكه العبادي المتوازن الرفيع، وانما كان في خط متصاعد من التضرع الى الله سبحانه حتى عرف بذلك وان اسمه يدل على ذلك وما انتهجه من سبيل.

وفي حياة الامام لمعات فسفورية من تضرعه الى الله سبحانه آناء الليل وأطراف النهار.

كان علي بن الحسين عليه السلام يلبس الصفوف واغلظ ثيابه اذا قام الى الصلاة. وكان اذا صلى يبرز الى موضع خشن فيصلي فيه ويسجد على الارض.

فاتى الجبان–وهو جبل بالمدينة– يوما، ثم قام على حجارة خشنة محرقة، فأقبل

(١) ترجمة سعيد بن المسيب في: أعيان الشيعة، ج٧، ص٢٤٩.
(٢) نفس المصدر.

يصلي وكان كثير البكاء فرفع رأسه من السجود وكأنما غُمِس في الماء من كثرة دموعه[1].

## أعبد الله كأنك تراه

القارئ لأدعية الامام زين العابدين عليه السلام يلاحظ ان الامام يتضرع الى الله كأنه شاخص امامه، وان مفردات دعائه ترسم في ذهن القارئ هذا الاحساس، ولذلك فانه ينسجم في الحديث مع ربه حتى يحول هذا الانسجام بينه وبين المحيط الخارجي، ويغمره نور ربه بدرجة لاتدع صوتا ينفذ الى جوارحه فيشغل باله عن مناجاة ربه والتحدث معه والاستئناس به.

ينقل أحد التراجم مجموعة من حالات تعبد الامام عليه السلام التي أخذت بمجاميع نفسه وانسجامه في الحديث مع ربه بحيث حالت دون سماعه لأية أصوات وحركات أخرى على الرغم من إرتفاع الاصوات والضجيج الذي كان حول الامام.

من هذه المفردات قصة الحريق الذي وقع حريق في بيته وهو ساجد، فجعلوا يقولون:

يا ابن رسول الله النار النار

فما رفع راسه حتى أطفئت، فقيل له بعد قعوده، ما الذي ألهاك عنها؟

قال: ألهتني عنها النار الكبرى[2].

وإنه عليه السلام كان قائماً يصلي حتى وقف ابنه محمد عليه السلام وهو طفل الى بئر داره بالمدينة بعيدة القعر فسقط فيها فنظرت اليه أمه فصرخت وأقبلت نحو البئر تضرب نفسها حذاء البئر وتستغيث وتقول: يا ابن رسول الله غرق ولدك محمد، وهو لاينثني عن صلاته، وهو يسمع إضطراب ابنه في قعر البئر، فلما طال عليها ذلك، قالت -حزنا على ولدها-: ما أقسى قلوبكم يا أهل بيت رسول الله؟

فأقبل على صلاته ولم يخرج عنها إلا عن كما لها واتمامها، ثم أقبل عليها وجلس على

---

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص١٠٨.

(٢) بحار الانوار، ج٤٦، ص٨٠.

ارجاء البئر ومد يديه الى قعرها، وكانت لاتنال الا برشاء طويل فأخرج ابنه محمداً عليه السلام على يديه يناغي ويضحك، لم يبتل له ثوب ولاجسد بالماء، فقال: هاك يا ضعيفة اليقين بالله.

فضحكت لسلامة ولدها، وبكت لقوله عليه السلام: يا ضعيفة اليقين بالله، فقال:

لا تثريب عليك اليوم، لو علمت أني كنت بين يدي جبار لو ملت بوجهي عنه لمال بوجهه عني، أفمن يرى راحماً بعده[1].

(١) المصدر، ص٣٥.

## الفصل السادس

# مفردات عبادة الامام زين العابدين عليه السلام

١ - حياة الامام عبادة
٢- الاستعداد للصلاة
٣- الدعاء
٤- المناجاة
٥- سجود الامام
٦- الامام والبكاء على أبيه
٧- الامام والصوم
٨- الحج
٩- قراءة القرآن

[١]

# حياة الامام عبادة

مارس الامام عليه السلام كافة مساحات العبادة لله سبحانه بالمعنى المتعارف عليه، والا فان حركة الانسان اليومية في الطريق الصحيح هي قربة لله سبحانه، وهي عبادة.

وقد شملت عبادة الامام كافة المفردات، وكانت منهاجاً يومياً حياتياً له وليست مفردة يتيمة لوحدها، وقد برزت في سلوك الامام عليه السلام نماذج تميزت عن غيرها من العبادات بحيث كانت مؤشراتها واضحة للعيان او تفوق ما عند الآخرين من العبادات من نفس اللون.

وكان يرى البعض هذا الدأب من الامام عليه السلام في العبادة وما ظهر عليه من آثارها ما يدعوه للرأفة على الامام، ويحاول ان يظهر عطفه عليه او ينصحه ويذكّره بأنه ليس بحاجة الى ان يوصل نفسه الى هذه الحالة.

واول من توجه الى هذا الجهد الذي يبذله الامام وبكى على حاله وخاف أن يصاب بمكروه ولده الامام محمد الباقر عليه السلام.

## ١- الإجتهاد في العبادة

يقول الامام الباقر عليه السلام: كان علي بن الحسين عليه السلام شديد الاجتهاد في العبادة، نهاره صائم، وليله قائم، فأضر ذلك بجسمه، فقلت له: يا أبه كم هذا الدؤب؟ فقال: اتحبب الى ربي لعله يزلفني[١].

(١) المناقب، ج٣، ص٢٩٤.

## ٢- إصفرّ لونه من السهر

عن سعيد بن كلثوم قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فذكر أمير المؤمنين علي بن ابي طالب فاطراه ومدحه بما هو اهله... ثم قال: وما أشبهه من ولده ولا اهل بيته احد اقرب شبهاً به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين عليه السلام.

ولقد دخل ابو جعفر ابنه عليه فاذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه احد، فرآه قد اصفرّ لونه من السهر ورمصت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته، وانخرم انفه من السجود، و ورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة.

فقال ابو جعفر: فلم املك حين رأيته بتلك الحال البكاء فبكيت رحمة له[1].

## ٣- الجميع يشفقون عليه

وعندما أصبحت سيرة الامام زين العابدين عليه السلام على هذه الحال ورأت عمته فاطمة بنت الامام علي بن ابي طالب ذلك[2] اتت جابر بن عبد الله الانصاري فقالت له:

يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ان لنا عليكم حقوقاً ومن حقنا عليكم انه اذا رأيتم احدنا يهلك نفسه اجتهاداً ان تذكّروه الله وتدعوه الى البقيا على نفسه.

وهذا علي بن الحسين بقية ابيه قد انخرم انفه وثفنت جبهته وركبتاه وراحتاه دأباً منه لنفسه في العبادة. فأتى جابر الى بابه واستأذن فلما دخل عليه وجده في محرابه قد انضته العبادة فنهض علي فسأله عن حاله سؤالا حفياً ثم اجلسه بجنبه، ثم اقبل جابر يقول:

يا ابن رسول الله اما علمت ان الله انما خلق الجنة لكم ولمن احبكم وخلق النار لمن ابغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك؟

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: يا صاحب رسول الله اما علمت ان جدي رسول الله صلى الله عليه وآله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يدع الاجتهاد له، وتعبّد -بابي هو

(١) الارشاد،ج ٢، ص١٤٢.

(٢) الذي أراه ان تكون فاطمة بنت الامام الحسين عليه السلام هي اخته حيث لم يذكر ان له عمة باسم فاطمة.

وامي- حتى انتفخ الساق وورم القدم وقيل له: اتفعل هذا وقد غفرالله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: افلا اكون عبدا شكورا.

فلما نظر اليه جابر وليس يغني فيه قول، قال: يا ابن رسول الله البقيا على نفسك، فانك من اسرة بهم يستدفع البلاء وبهم تستكشف اللأواء، وبهم تستمسك السماء.

فقال: يا جابر لا أزال على منهاج ابوي مؤتسياً بهما حتى القاهما.

فأقبل جابر على من حضر فقال لهم: ما رؤي من اولاد الانبياء، مثل علي بن الحسين عليه السلام الا يوسف بن يعقوب. والله لَذرية علي بن الحسين افضل من ذرية يوسف[1].

وراس السلطة عبد الملك بن مروان استعظم ما رأى في وجه الامام عليه السلام من آثار العبادة وراف عليه، قال الزهري:

دخلت مع علي بن الحسين عليه السلام على عبد الملك بن مروان، فاستعظم عبد الملك ما رأى من اثر السجود بين عيني علي بن الحسين عليه السلام فقال:

يا ابا محمد لقد بان عليك الاجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى وانت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله قريب النسب وأكيد السبب، وانك لذو فضل عظيم على اهل بيتك وذوي عصرك ولقد اوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته احد مثلك ولاقبلك الا من مضى من سلفك. واقبل يثني عليه ويطريه.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: كلما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتاييده وتوفيقه فاين شكره على ما انعم يا أمير المؤمنين؟

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقف في الصلاة حتى تورم قدماه، ويضمأ في الصيام حتى يعصب فوه فقيل له: يا رسول الله الم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر؟ فيقول: افلا اكون عبدا شكورا.

الحمدلله على ما اولى وابلى، وله الحمد في الاخرة والاولى، والله لو تقطعت اعضائي

(١) المناقب، ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٨٩.

وسالت مقلتاي على صدري، لن اقوم لله جل جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون ولا يبلغ حد نعمة منها على جميع حمد الحامدين، لا والله او يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره، في ليل ولا نهار، ولا سر ولا علانية، ولولا ان لأهلي علي حقا ولسائر الناس من خاصهم وعامهم على حقوقا لايسعني الا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها اليهم لرميت بطرفي الى السماء، وبقلبي الى الله، ثم لم اردهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين، وبكى عليه السلام وبكى عبد الملك وقال: شتان بين عبد طلب الاخرة وسعى لها سعيها وبين من طلب الدنيا من اين جاءته ماله في الآخرة من خلاق، ثم اقبل يسأله عن حاجاته وعما قصد له فشفعه فيمن شفع ووصله بمال[١].

## ٤- خلق الله الجنة لمن أطاعه

وعبد صالح عالم يرى الامام في حالة من التوسل بالله فيشفق عليه مما ألمّ بنفسه فيجيبه الامام علي عليه السلام.

عن طاووس الفقيه: رأيته يطوف من العشاء الى السحر ويتعبد، فلما لم ير أحداً رمق السماء بطرفه وقال: الهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون انامك، وابوابك مفتحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدي محمد صلى الله عليه وآله في عرصات القيامة.

ثم بكى وقال: وعزتك وجلالك ما اردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك اذ عصيتك وانا بك شاك، ولابنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولكن سولت لي نفسي واعانني على ذلك سترك المرخى به علي فالان من عذابك من يستنقذني، وبحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني؟ فوا سوأتاه غدا من الوقوف بين يديك، اذا قيل للمخفين جوزوا، وللمتقين حطوا، أمع المخفين اجوز؟ ام مع المثقلين احط؟ ويلي كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم اتب؟ اما آن لي ان استحي من ربي؟.

ثم بكى وانشأ يقول:

اتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثم اين محبتي

---

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص٥٧.

اتيت بأعمال قباح رديّة وما في الورى خلق جنى كجنايتي

ثم بكى وقال: سبحانك تُعصى كانك لا ترى، وتحلم كانك لم تُعص، تتودد الى خلقك بحسن الصنيع كأنّ بك الحاجة اليهم، وانت يا سيدي الغني عنهم. ثم خرّ الى الارض ساجدا.

قال طاووس: فدنوت منه وشلت برأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده، فاستوى جالسا وقال: من الذي اشغلني عن ذكر ربي؟

فقلت: أنا طاووس يا ابن رسول الله ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن أحق ان نفعل مثل هذا ونحن عاصون جانون، ابوك الحسين بن علي وامك فاطمة الزهراء وجدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال طاووس: فالتفت اليّ وقال: هيهات هيهات يا طاووس، دع عني حديث ابي وامي وجدي، خلق الله الجنة لمن اطاعه واحسن ولو كان عبدا حبشيا، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولدا قرشيا، اما سمعت قوله تعالى: ﴿**فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتَساءَلُونَ**﴾[١]. والله لاينفعك غداً الا تقدمة تقدمها من عمل صالح»[٢].

وهناك لقاءات وحوارات كثيرة بين الامام والاخرين دارت حول هذا المضمون وكذلك حول بكائه وجزعه على ابيه عليه السلام.

واطلالة على مفردات العبادة التي كان يمارسها الامام عليه السلام حيث كان عند توجهه للقاء الله سبحانه والتحدث اليه تأخذه خشية خاصة وامارات بذاتها.

### ٥- العين الساهرة

عن يوسف بن اسباط عن ابيه قال: دخلت مسجد الكوفة فاذا شاب يناجي ربه وهو يقول في سجوده: سجد وجهي متعفراً في التراب لخالقي وحق له.

فقمت اليه فاذا هو علي بن الحسين عليه السلام فلما انبلج الفجر، نهضت اليه فقلت له:

---

(١) المؤمنون، ١٠١.

(٢) المناقب، ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٩١.

يا ابن رسول الله تعذِّب نفسك وقد فضَّلك الله بها فضَّلك؟ فبكى ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كل عين باكية يوم القيامة الا اربعة اعين، عين بكت من خشية الله، وعين فُقِئت في سبيل الله، وعين غضت عن محارم الله، وعين باتت ساهرة ساجدة يباهي بها الله الملائكة ويقول: أنظروا الى عبدي، روحه عندي، وجسده في طاعتي، وقد جافى بدنه عن المضاجع، يدعوني خوفاً من عذابي وطمعاً في رحمتي اشهدوا اني قد غفرت له(١).

(١) كشف الغمة في معرفة الائمة، ج٢، ص٢٩٤.

[٢]

# الاستعداد للصلاة

في حركة الامام العبادية مقاطع لها وقع وخصوصية تجعل الانسان يتوقف ليتأملها لما لها من خصوصية تدفع للتأمل بها كثيراً، وابرزها ممارسة الامام زين العابدين عندما يريد ان يقوم للوضوء للتطهّر، حيث هو نور كما ورد في الحديث، او في اثناء الوضوء للصلاة حيث كانت تأخذ الامام معالم من الانفعالات تبرز واضحة على صفحات وجهه واطراف جسمه، من تغير اللون الى الرجفة في الجسم، وكانت هذه الظاهرة المتميزة من الامام عليه السلام لم يألفها الناس حيث لا يمارسها احد، ولذلك كانت محل استغراب الناس فكانوا يستفهمون من الامام عن هذا الذي يصيبه من تغير اللون الى الرجفة، فكان يقول «أتدرون بين يدي من اقوم ومن اناجي»[١].

انها حركة وعي وادراك من الامام عليه السلام حيث اللقاء اليومي مع الله سبحانه، ومن الطبيعي ان كل انسان يتعامل مع الاحداث بمقدار فهمه ومعرفته للاشياء، ولما كان الامام عليه السلام هو صاحب الوعي المتقدم على الامة في معرفة الله سبحانه لذلك كان يقول: أتدرون بين يدي من اريد ان اقف واناجى «وكان اذا توضأ إصفرَّ»[٢].

كان اذا قام الى الصلاة تغير لونه، وأصابته رعدة، وحال امره، فربما سأله عن حاله من لا يعرف امره في ذلك، فيقول: «اني اريد الوقوف بين يدي ملك عظيم»[٣].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٥، ص١٦٧.
(٢) سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٣٢٦.
(٣) بحار الانوار، ج٤٦، ص٨٠.

عن عبد الله بن محمد القرشي قال: كان علي بن الحسين عليه السلام اذا توضأ إصفرَّ لونه فيقول له اهله: ما الذي يغشاك؟ فيقول: اتدرون لمن أتأهب للقيام بين يديه؟[١].

وهذه الحركة مما امتاز بها الامام عليه السلام عن غيره من الذين عاصروه وعرفتهم الامة، من علماء ومحدثين وفقهاء كانوا في المدينة المنورة او مكة المكرمة.

والذي يظهر ان البعض ممن كان يحيط بالامام عليه السلام اعتاد على رؤية الامام في حالة الاستعداد للوضوء وهو يرتجف ويتغير لونه، لذلك كان يقول لمن يسأل عندما يرى الامام بهذا الوضع، انه يعرف بين يدي من يريد ان يقف.

ان هذا المعرفة التي يمتلكها الامام هي الملكة التي منحها الله سبحانه له لتمكنه من ان يتجاوز ببصيرته كل حواجز المادة وينفذ الى واقع القوة المحركة للكون ويقف امامها باحترام وتقديس.

والمعرفة هذه هي ليست حالة التحدث والادعاء والتظاهر، لأن هذا اللون من ادعاء المعرفة لايتمكن من اداء دور في التأثير على حركة الانسان العبادية، لانه حركة قشرية ملؤها الرياء.

ان الذي يقول عن الامام عليه السلام انه يعرف بين يدي من يقف لاحظ مصداقية هذا السلوك بشكل متكرر عند الامام عبر حالة الوضوء على جسمه وسمات وجهه فقال: «انه يعرف بين يدي من يقف».

وانه قد عرف ان هذا السلوك يدل على معرفة عميقة عند الامام عليه السلام لخالقه.

ان السلوك الخارجي للانسان يكشف عن عمق المعرفة للخالق سبحانه، فعند ما يقرأ الانسان ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[٢] يعرف عمق تأثير الصلاة في سلوك الانسان من خلال تعامله البعيد او القريب مع الفحشاء والمنكر، حيث لاتجتمع الصلاة مع ممارسة المنكر لما في ذلك من نفاق والتواء وتلون في العمل، مثلما لاتجتمع مع الفحش والبذاءة في اللسان.

---

(١) الارشاد، ص٢٧١.

(٢) العنكبوت، ٤٥.

## الصلاة

من المفردات المتقدمة لعبادة الامام هي (الصلاة) حيث ورد عن اهل البيت: والصلاة خير موضوع[١].

فقد مارس الامام عليه السلام مفردة الصلاة نوعا وكما كحالة واضحة للعيان متميزة عن غيرها من العبادات، فقد عُرِف عن الامام عليه السلام من حيث الكم انه كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة الى ان مات[٢].

فقد كانت له خمسمائة نخلة فكان يصلي عند كل نخلة ركعتين[٣].

ونقل عن ابنه عبد الله بن علي بن الحسين عليه السلام قال:

كان ابي يصلي بالليل حتى يزحف الى فراشه[٤].

قال الامام الصادق عليه السلام نقلا عن ابيه الامام محمد الباقر عليه السلام: وقد ورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة[٥].

عن ابي حمزة عن ابيه قال: «رأيت علي بن الحسين عليه السلام في فناء الكعبة في الليل وهو يصلي فأطال القيام حتى جعل مرة يتوكأ على رجله اليمنى ومرة على رجله اليسرى»[٦].

ومن حيث نوعية عبادته عليه السلام فقد عُرِف انه اذا دخل الصلاة إنقطع عن كل شيء وبقى منسجماً مع ربه ويتغير لونه ويرتعد من خشية الله.

وكان اذا قام الى صلاته غشي لونه لون اخر.

وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل.

---

(١) طبقات ابن سعد، عن الامام السجاد، ج٥، ص١٦٧.
(٢) سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٢٢٦.
(٣) امالي الشيخ الطوسي، ص٤٠٧.
(٤) كشف الغمة في معرفة الائمة، ج٢، ص٢٧٢.
(٥) الارشاد للشيخ المفيد، ص٢٧٢.
(٦) الكافي، للكليني، ج٢، ص٥٧٩.

وكانت اعضاؤه ترتعد من خشية الله عزوجل.

وكان يصلي صلاة مودع يرى انه لايصلي بعدها ابدا[١].

عن الامام محمد الباقر عليه السلام:

كان علي بن الحسين عليه السلام اذا قام الى الصلاة كأنه ساق شجرة لايتحرك منه شيء الاما حركت الريح منه[٢].

كان علي بن الحسين عليه السلام اذا قام الى الصلاة تغير لونه، فاذا سجد لم يرفع رأسه حتى يتصبب عرقا[٣].

## مفردات من صلاة الامام

١- عن ابي نوح الانصاري قال: وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين عليه السلام وهو ساجد، فجعلوا يقولون: يا ابن رسول الله النار، فما رفع رأسه حتى انطفأت، فقيل له في ذلك فقال: الهتني عنها النار الاخرى[٤].

٢- كان الامام علي بن الحسين عليه السلام قائما يصلي حتى وقف ابنه محمد الباقر عليه السلام وهو طفل الى بئر في الدار بالمدينة بعيدة القعر، فسقط فيها فنظرت اليه امه -فاطمة بنت الامام الحسن عليه السلام- فصرخت وأقبلت نحو البئر تضرب بنفسها حذاء البئر وتستغيث وتقول يا ابن رسول الله غرق ولدك محمد وهو لاينثني عن صلاته وهي تسمع اضطراب ابنها في قعر البئر والامام مقبل على صلاته ولم يخرج عنها الا عن كمالها وتمامها.

ثم اقبل عليها وجلس على ارجاء البئر ومد يده واخرج ابنه محمدا على يديه وقال هاك يا ضعيفة اليقين بالله، فضحكت لسلامة ولدها وقال: لو علمت اني كنت بين يدي جبار لو ملت بوجهي عنه لمال بوجهه عني افمن يرى راحما بعده[٥].

---

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص٦١.

(٢) الكافي، ج٣، ص٣٠٠.

(٣) المصدر.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٢٢٦.

(٥) المناقب، ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٧٨.

٣- سقط بعض ولده في بعض الليالي فانكسرت يده فصاح اهل الدار، واتاهم الجيران وجيء بالمجبر فجبر الصبي وهو يصيح من الالم، وكل ذلك لا يسمعه، فلما اصبح رأى يد الصبي مربوطة الى عنقة=ه فقال ما هذا؟ فاخبروه.

وهذا مصداق ما نقل عن حالته: كان اذا وقف في الصلاة لم يشتغل بغيرها ولم يسمع شيئا لشغله بالصلاة[١].

٤- كان الامام زين العابدين عليه السلام إذا قرأ ﴿**مالك يوم الدين**﴾ يكررها حتى كاد أن يموت[٢].

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص٨٠.

(٢) الكافي، ج٢، ص٦٠٢.

# [٣]

## الدعاء

ترك الامام عليه السلام تراثا من الدعاء، وسِفراً عظيماً اسمه (الصحيفة السجادية) وأطلق عليه آل البيت اسم (زبور آل محمد) لما يضم من الادعية القيّمة.

وقد نقل المؤرخون حوارا جرى بين الامام الصادق عليه السلام وبعض اولاد عمومته يكشف مدى حرص ائمة اهل البيت على الاحتفاظ بهذه الادعية من التلف والضياع.

وهناك ادعية الايام للامام زين العابدين عليه السلام وهي في روعة التصوير لما يعيشه الانسان في يومه وهو يصارع الضغط الحياتي وكيف يعالج الامام صروف الحياة ومعطيات الضغط اليومي على الإنسان، حيث اعطى لكل يوم لوناً من الجرعات الروحية والمضادات لما يعلق بالانسان من ادران عبر مزاولاته الحياتية، كما ان هناك طلبات من الله سبحانه في كل يوم بما يحتاج الانسان اليه وهذه نماذج منها.

**مفردات دعاء يوم السبت:**

بِسْمِ اللهِ كَلِمَةِ الْمُعْتَصِمِينَ، وَمَقالَةِ الْمُتَحَرِّزِينَ، وَأَعُوذُ بِاللهِ تَعالى مِنْ جَوْرِ الْجائِرِينَ، وَكَيْدِ الْحاسِدِينَ، وَبَغْيِ الظّالِمِينَ، وَأَحْمَدُهُ فَوْقَ حَمْدِ الْحامِدِينَ.

أَللَّهُمَّ أَنْتَ الْواحِدُ بِلا شَرِيك، وَالْمَلِكُ بِلا تَمْلِيك، لا تُضادُّ فِي حُكْمِكَ، وَلا تُنازَعُ فِي مُلْكِكَ.

أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّد وَآلِهِ، عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَأَنْ تُوزِعَنِي مِنْ شُكْرِ نُعْماكَ ما تَبْلُغُ بِي غايَةَ رِضاكَ، وَأَنْ تُعِينَنِي عَلى طاعَتِكَ، وَلُزُومِ عِبادَتِكَ، وَاسْتِحْقاقِ مَثُوبَتِكَ

بِلُطْفِ عِنايَتِكَ، وَتَرْحَمَني وَتَصُدَّنِي عَنْ مَعَاصِيكَ مَا أَحْيَيْتَنِي، وَتُوَفِّقَنِي لِمَا يَنْفَعُنِي ما أَبْقَيْتَنِي، وَأَنْ تَشْرَحَ بِكِتابِكَ صَدْرِي، وَتَحُطَّ بِتِلاوَتِهِ وِزْرِي، وَتَمْنَحَنِي السَّلامَةَ فِي دِينِي وَنَفْسِي، وَلا تُوحِشَ بِي أَهْلَ أُنْسِي، وَتُتِمَّ إِحْسَانَكَ فِيما بَقِيَ مِنْ عُمْرِي كَما أَحْسَنْتَ فِيما مَضَى مِنْهُ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

**ومن دعاء يوم الاحد:**

أَللّٰهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ فِي يَوْمِي هذا وَما بَعْدَهُ مِنَ الآحادِ مِنَ الشِّرْكِ وَالالْحادِ، وَأُخْلِصُ لَكَ دُعائِي تَعَرُّضاً لِلإِجابَةِ.

فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد خَيْرِ خَلْقِكَ، الدَّاعِي إِلَى حَقِّكَ، وَأَعِزَّنِي بِعِزِّكَ الَّذِي لا يُضامُ، وَاحْفَظْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لاتَنامُ، وَاخْتِمْ بِالانْقِطَاعِ إِلَيْكَ أَمْرِي، وَبِالْمَغْفِرَةِ عُمْرِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**ومن دعائه يوم الاثنين:**

أَللّٰهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَ يَوْمِي هذَا صَلاحاً، وَأَوْسَطَهُ فَلاحاً، وَآخِرَهُ نَجاحاً، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْم أَوَّلُهُ فَزَعٌ، وَأَوْسَطُهُ جَزَعٌ، وَآخِرُهُ وَجَعٌ.

أَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ لِكُلِّ نَذْر نَذَرْتُهُ، وَلِكُلِّ وَعْد وَعَدْتُهُ، وَلِكُلِّ عَهْد عاهَدْتُهُ، ثُمَّ لَمْ أَفِ لَكَ بِهِ.

وَأَسْأَلُكَ فِي مَظالِمِ عِبادِكَ عِنْدِي، فَأَيُّما عَبْد مِنْ عَبِيدِكَ، أَوْ أَمَة مِنْ إِمائِكَ، كَانَتْ لَهُ قِبَلِي مَظْلَمَةٌ ظَلَمْتُها إِيّاهُ فِي نَفْسِهِ، أَوْ فِي عِرْضِهِ، أَوْ فِي مالِهِ، أَوْ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، أَوْ غِيبَةٌ اغْتَبْتَهُ بِها، أَوْ تَحامُلٌ عَلَيْهِ بِمَيْل أَوْ هَوىً، أَوْ أَنَفَة، أَوْ حَمِيَّة، أَوْ رِياء، أَوْ عَصَبِيَّة غائِباً كانَ أَوْ شاهِداً، وَحَيّاً كانَ أَوْ مَيِّتاً، فَقَصُرَتْ يَدِي، وَضاقَ وُسْعِي عَنْ رَدِّها إِلَيْهِ، وَالتَّحَلُّلِ مِنْهُ.

فَأَسْأَلُكَ يا مَنْ يَمْلِكُ الْحاجاتِ وَهِيَ مُسْتَجِيبَةٌ بِمَشِيَّتِهِ، وَمُسْرِعَةٌ إِلى إِرادَتِهِ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَأَنْ تُرْضِيَهُ عَنِّي بِما شِئْتَ، وَتَهَبَ لِي مِنْ عِنْدِكَ رَحْمَةً، إِنَّهُ لا تَنْقُصُكَ الْمَغْفِرَةُ، وَلا تَضُرُّكَ الْمَوْهِبَةُ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

أَللّٰهُمَّ أَوْلِنِي فِي كُلِّ يَوْمِ اثْنَيْنِ نِعْمَتَيْنِ مِنْكَ ثِنْتَيْنِ: سَعادَةً فِي أَوَّلِهِ بِطاعَتِكَ، وَنِعْمَةً

فِي آخِرِهِ بِمَغْفِرَتِكَ يامَنْ هُوَ الإِلهُ، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ سِواهُ.(١)

## ومن دعائه في ليالي شهر رمضان

نقل عنه تلميذه ابو حمزة الثمالي قوله: إلهي لا تؤدبني بعقوبتك، ولا تمكر بي في حيلتك، من أين لي الخير يا رب ولا يوجد إلا من عندك، ومن أين لي النجاة ولا تُستطاع إلا بك، لا الذي أحسن استغنى عن عونك ورحمتك، ولا الذي أساء واجترء عليك ولم يرضك خرج عن قدرتك، يا رب يا رب.

بك عرفتك وأنت دللتني عليك، ودعوتني إليك، ولولا أنت لم أدر ما أنت.

الحمد لله الذي أدعوه فيجيبني وإن كنت بطيئا حين يدعوني، والحمد لله الذي أسأله فيعطيني وإن كنت بخيلا حين يستقرضني، والحمد لله الذي اناديه كلما شئت لحاجتي. وأخلو به حيث شئت لسري، بغير شفيع فيقضي لي حاجتي.

والحمد لله الذي ادعوه ولا أدعو غيره ولو دعوت غيره لم يستجب لي دعائي، والحمد لله الذي ارجوه ولا أرجو غيره ولو رجوت غيره لأخلف رجائي، والحمد لله الذي وكلني إليه فأكرمني ولم يكلني إلى الناس فيهينوني.

اللهم إني أجد سبل المطالب إليك مشرعة، ومناهل الرجاء إليك مترعة، والاستعانة بفضلك لمن أملك مباحة، وأبواب الدعاء إليك للصارخين مفتوحة. وأعلم أنك للراجين بموضع إجابة، وللملهوفين بمرصد إغاثة، وأن في اللهف إلى جودك والرضا بقضائك عوضا من منع الباخلين، ومندوحة عما في أيدي المستأثرين، وإن الراحل إليك قريب المسافة، وأنك لا تحتجب عن خلقك إلا ان تحجبهم الأعمال السيئة دونك. وقد قصدت إليك بطلبتي، وتوجهت إليك بحاجتي، وجعلت بك استغاثتي، وبدعائك توسلي، من غير استحقاق لاستماعك مني، ولا استيجاب لعفوك عني، بل لثقتي بكرمك، وسكوني إلى صدق وعدك.

أدعوك يا رب راهبا راغبا راجيا خائفا، إذا رأيت مولاي ذنوبي فزعت، وإذا رأيت كرمك طمعت، فان عفوت فخير راحم، وإن عذبت فغير ظالم. حجتي يا الله في جرأتي

(١) مفاتيح الجنان، ادعية الايام.

على مسألتك مع إتياني ما تكره[١].

يا حبيب من تحبب إليه، ويا قرة عين من لاذ بك وانقطع إليه، أنت المحسن ونحن المسيؤون، فتجاوز يا رب عن قبيح ما عندنا بجميل ما عندك، واي جهل يا رب لا يسعه جودك؟ وأي زمان أطول من أناتك، وما قدر أعمالنا في جنب نعمك؟ وكيف نستكثر أعمالا يقابل بها كرمك، بل كيف يضيق على المذنبين ما وسعهم من رحمتك؟ يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، فوعزتك يا سيدي لو انتهرتني ما برحت من بابك، ولا كففت عن تملقك، لما انتهى إلي يا سيدي من المعرفة بجودك وكرمك.

اللهم اني كلما قلت: قد تهيأت وتعبأت وقمت للصلاة بين يديك وناجيتك، ألقيت علي نعاسا إذا أنا صليت، وسلبتني مناجاتك إذا انا ناجيتك، مالي كلما قلت: قد صلحت سريرتي، وقرب من مجالس التوابين مجلسي، عرضت لي بلية أزالت قدمي، وحالت بيني وبين خدمتك. سيدي لعلك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحيتني، أو لعلك رأيتني مستخفا بحقك فاقصيتني، أو لعلك رأيتني معرضا عنك فقليتني، أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني، أو لعلك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني، أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني، أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني، أو لعلك بجرمي وجريرتي كافيتني، أو لعلك بقلة حيائي منك جازيتني. فان عفوت يا رب فطال ما عفوت عن المذنبين قبلي، لأن كرمك أي رب يجل من مجازات المذنبين، وحلمك يكبر عن مكافات المقصرين[٢].

وانت الله لا اله الا انت الداني في علوه والعالي في دنوه، وانت الله لا اله الا انت ذو البهاء والمجد والكبرياء والحمد، وانت الله لا اله الا انت الذي انشأت الاشياء من غير سنخ وصورت من غير مثال، وابتدعت المبتدعات بلا احتذاء، وانت الذي قدَّرت كل شيء تقديرا، ويسَّرت كل شيء تيسيرا، ودبَّرت ما دونك تدبيرا، انت الذي لم يعنك على خلقك شريك، ولم يؤازرك في امرك وزير، ولم يكن لك مشاهد ولانظير، وانت الذي

(١) مفاتيح الجنان، دعاء ابو حمزة الثمالي.
(٢) دعاء ابو حمزة الثمالي.

اردت فكان حتما ما اردت، وقضيت فكان عدلا ما قضيت، وحكمت فكان نصفا ما حكمك، انت الذي لا يحويك مكان، ولم يقسم سلطانك سلطان، ولم يعيك برهان ولا بيان.

فيا من لم يعاجل المسيئين، ولاينده -يمنع- المترفين، ويا من يمن باقالة العاثرين، ويتفضل بإنظار الخاطئين. انا الذي اقدم عليك مجترئا، انا الذي عصاك متعمدا. انا الذي استخفى من عبادك وبارزك. انا الذي هاب عبادك وامنك انا الذي لم يرهب سطوتك، ولم يخف بأسك. انا الجاني على نفسه، انا المرتهن ببليته، انا القليل الحياء. انا الطويل العناء[1].

وكان الامام زين العابدين عليه السلام شديد الدعاء وملحاحاً فيه، وكان يمارس في الدعاء انواعا عديدة من العلاجات فضلا عن الحالة الروحية التي هي اساس استقامة الانسان وتوازنه في الحياة ونجاحه في عمله، فانه كان يعالج الامراض الفتاكة التي كانت شائعة في وقته، فأخذت من الامة مأخذا عظيماً، وسنعرض الإشارة إليها في فصل المنهاج الثقافي للامام عليه السلام.

(١) دعاء الامام يوم عرفة.

# [٤]

# المناجاة

وهي لون من الوان الدعاء التي كان يمارسها الامام عليه السلام في المناجاة لوحده عند اشتداد الشوق وتهيّؤ الفرصة المناسبة مع الله سبحانه.

وللامام عليه السلام مناجاة عرفت باسمه واشتهرت بالمناجاة الشعبانية حيث كان يخاطب بها ربه بوجدانية رقيقة تملأ احساس الانسان وتشد وجدانه الى ربه وتأخذ كافة جوانبه حتى تشبع جوارحه بروحانية الخلود مع الله سبحانه، حيث يفتتح الحديث مع ربه وهو يتذوق لذته ويتطعم كلماته القدسية حتى يغشى عليه في بحبوحة المناجاة وعمق الكلمات ودقة معانيها في التذلل الى الله سبحانه، والحالة الجسمية التي كانت تطرأ على الامام من اغماء وارتعاش وبكاء تدفع الى التساؤل عن سبب هذا التوجه وبهذا العمق وفي الاعتراف بالتقصير والاستغفار المتعدد الالوان وبالكلمات والعبارات ذات الدلالة على طالب التوجه.

ومن اجل توضيح الصورة ولو بالشكل السريع نبين:

**اولا**: إن قسماً من هذا التوجه العبادي لدى الامام عليه السلام والتعبير عنه بكثرة الطاعات وتأدية الفروض والمندوبات من صوم وصلاة وحج وصدقة و.. عبر عنه الامام بنفسه حيث قال انه شكر لأنعم الله سبحانه وتأسٍّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجده أمير المؤمنين عليه السلام.

**ثانيا**: ان طلب التوبة من الله سبحانه والمغفرة بعد ابداء التقصير والاعتراف بالذنب مع ان الاعتقاد السائد عند الشيعة الامامية ان الامام زين العابدين عليه السلام من

الكوكبة النورانية الاربعة عشر المنزهين عن اقتراف الذنوب وارتكاب المعاصي والخوض في معصية الله سبحانه.

## أهل البيت والإستغفار

ان هذا التوجه عند اهل البيت عليهم السلام مع انهم لم يرتكبوا ذنبا انما هو -وحسب الظاهر- والواضح بعد التدبر والتأمل وفي الحالة النسبية من الفهم:

١- انهم عليهم السلام بشر، عباد لله تعالى، ومخلوقون له سبحانه، والحالة العامة للبشر انه عبد وما يكتنف هذه الكلمة من حالة النقص، والله سبحانه هو الذي يمنحها مستوى من الكمال لاغير.

٢- ان قسما من هذا التوجه هو تعليم ومنهج للامة وكيف عليها ان تمارس دورها مع ربها في التودد اليه والاعتراف له بالتقصير وارتكاب المعاصي واقتراف الذنوب والطلب منه سبحانه العفو والتوبة.

خاصة وان اهل البيت عليهم السلام كانوا في وسط الامة يعايشون الناس ويرون ما يفعلون ويرتكبون من معاصي، وكذلك تصل اليهم الاخبار لانهم من رموز الامة ولهم اتباعهم في كل المواقع من شرائح المجتمع، لذلك نجد ان بعض كلمات المناجاة والادعية تتعرض الى حالات من واقع معاصي الامة فعندما يقول الامام عليه السلام: «ولعلك ألفيتني في مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني» في الوقت الذي لم يعهد في المستوى الاجتماعي للأئمة عليهم السلام ان يجلسوا مع البطالين ولا هو توجههم ولاينقل عنهم هذا السلوك وانما كانت برزت هذه الصفة في المجتمع وعرفت فرسم عليه السلام صورة من هذا السلوك البشري المنحرف التي ترتكب فيها المعاصي عرضها عليه السلام بين يدي ربه سبحانه.

وصحيح ان ليس كل هذه المناجاة او الادعية كان يمارسها الامام عليه السلام امام الناس وبمرآى ومسمع منهم، ومن الصحيح كذلك ان قسما منها شهده الناس وسمعوه ورأوه ونقلوه من ادعية ومناجاة الائمة عليهم السلام.

كما ان الذي بين ايدينا ونقرأه ونسمعه وبالتالي نقل الينا ولو كان عن طريق خاص من معصوم اخر مثل الامام الباقر او الصادق عليهما السلام هم نقلوا بعضا من ذلك، ولكن

بالتالي نقل للامة واستفادت منه الامة ومارسته دعاءا او مناجاة.

## العصمة والتقصير

٣- ان العصمة التي منحها الله سبحانه وتعالى للمعصومين عليهم السلام اهلتهم لأن يوجهوا صورة العبادة الكاملة بكافة جوانبها لله سبحانه، حيث يتضح امامهم ويفترضوا في انفسهم ان يمارسوا ذاك المستوى من العبادة له سبحانه، ولما كانوا بشرا ينشغلون في شؤون البشر من الاكل والمشي والاقتراب من النساء فان هذه الامور تأخذ من وقتهم وتحول دون ممارسة ذاك المستوى الرفيع من العبادة- وان كان كل الذي يمارسونه هو بذاته من جنس العبادة، ولكنه ليس بذلك المستوى الاول من العبادة في التوجه اليه سبحانه.

ولذلك فان المعصوم يشعر انه مقصر في تأدية كامل ذاك المستوى من العبادة، وعلى ضوء ذلك فانهم عليهم السلام هم الذين ينظرون ببصيرتهم وما منحهم الله سبحانه من المعرفة، للصورة الكاملة من العبادة، والامام عليه السلام يتأسف ويعترف بالذنب لانه لم يؤدِّ كامل هذه العبادة.

وعليه فان هذا اللون من التقصير ليس هو نفس لون التقصير الذي يعترف به الانسان العادي لا من حيث المعرفة ولا من حيث الاداء وانما هو تقصير بداخل دائرة الطاعة وليس خارجا منها اي في الدائرة النسبية للطاعة الكاملة.

فمثلا ان الصلاة الواجبة في الاداء الصحيح تحتوي على ادعية واذكار مستحبة، حركات مستحبة، تعقيبات مستحبة، اداء في الوقت.

حيث ان الانسان العادي قد يؤدي الصلاة بالاداء الصحيح، ولكنه اذا لم يؤدِّ الاذكار والحركات والتعقيبات والاداء في أول الوقت لايشعر انه قد ارتكب خلافاً وهو صحيح لمستواه.

ولكن الانسان المتميِّز -وبنسبة مستوى معرفته بالله وايمانه- يشعر انه اذا لم يؤدِّ قسما من هذا الاذكار والحركات بالتقصير امام الله سبحانه، لذلك نجد ان الامام عليه السلام عندما يُسأل عن حالته المضطربة عند الوضوء والصلاة والتلبية -كما بينا- يقول: «أتدرون

بين يدي من اريد ان اقف» او ما قاله الامام الصادق عنه- «انه يعرف بين يدي من يريد أن يقف».

## سيّئات المقرَّبين

وفي هذا الافق الرفيع من الطاعة والمستوى العالي من الاعمال قيل: «ان حسنات الابرار سيئات المقربين» وان حالة العبودية لله والشعور بالتقصير تجاه طاعته سبحانه بصورة مستمرة هي التي تبلور روحانية الانسان وتكامله في طاعة الله سبحانه، وتدفعه الى الاحتفاظ بمقامه السامي، او التقدم الى الموقع الافضل في الحضوة عند الله سبحانه وهذا ما نقصد انه تقصير في داخل دائرة الطاعة عند عباد الرحمن[1].

وقد نُقل عن الامام عليه السلام الكثير من مفردات المناجاة بشكليها المنظوم (الشعر) او النثر ومن أهمها:

١- روى الاصمعي قال: كنت اطوف حول الكعبة فاذا شاب متعلق بأستار الكعبة وهو يقول بنبرات حزينة تأخذ بمجامع القلوب:

نامت العيون، وعلت النجوم، وانت الملك الحي القيوم، غلقت الملوك ابوابها، واقامت عليها حراسها، وبابك مفتوح للسائلين، جئتك لتنظر إليّ برحمتك يا ارحم الراحمين.

ثم انشأ يقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت قاطبة ... وانت وحدك يا قيوم لم تنم
ادعوك رب دعاء قد أمرت به ... فارحم بكائي بحق البيت والحرم
ان كان عفوك لايرجوه ذو سرف ... فمن يجود على العاصين بالنعم

قال الأصمعي: فاقتفيت اثره فاذا هو زين العابدين[2] عليه السلام، فوقعت عليه وقلت له: انت علي بن الحسين، ابوك شهيد بكربلاء، وجدك علي المرتضى، وامك فاطمة

(١) روضات الجنان،ج ٥، ص١٦١.
(٢) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٩١.

الزهراء، وجدتك خديجة الكبرى، وجدك الاعلى محمد المصطفى ﷺ وانت تقول مثل هذا القول؟ فاجابه الامام برفق ولطف: الم تقرأ قوله تعالى: ﴿فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ﴾(١).

الم تسمع قول جدي: خُلِقت الجنة للمطيع وان كان عبدا حبشيا وخُلِقت النار للعاصي وان كان سيدا قرشيا(٢).

٢- روى طاووس اليماني قال: مررت بالحِجْر فاذا بشخص راكع وساجد، فتأملته فاذا هو علي بن الحسين، فقلت في نفسي: رجل صالح من اهل بيت النبوة، والله لأغتنمن دعاءه فجعلت أرقبه حتى فرغ من صلاته فرفع بطن كفيه، وجعل يخاطب الله قائلا:

الهي: سيدي، سيدي، هذه يداي قد مددتها اليك بالذنوب مملوءَتين، وعيناي بالرجاء ممدوتين، وحق من دعاك بالندم تذللا ان تجيبه بالكرم تفضلا.

سيدي: من اهل الشقاء خلقتني فأطيل بكائي؟ ام من اهل السعادة خلقتني فابشر رجائي؟ سيدي: أَلِضرب المقامع خلقت اعضائي؟ ام لشرب الحميم خلقت امعائي؟

سيدي: لو ان عبدا استطاع الهرب من مولاه لكنت اول الهاربين من مولاه لكني اعلم اني لا افوتك.

سيدي: لو ان عذابي مما يزيد في ملكك سألتك الصبر عليه، غير اني اعلم انه لايزيد في ملكك طاعة المطيعين، ولاينقص منه معصية العاصين.

سيدي: ما انا وما خطري؟ هب لي بفضلك، وجللني بسترك، واعف عن توبيخي بكرم وجهك. الهي وسيدي، ارحمني مصروعاً على الفراش تقلبني ايدي احبتي، وارحمني مصروعاً على المغتسل يغسلني صالح جيرتي، وارحمني محمولا قد تناول الاقرباء اطراف

---

(١) المؤمنون، ١٠١.

(٢) والظاهر ان راوي هذه المناجاة هو غير الاصمعي المعروف، لأن الاصمعي المعروف لم يكن في عصر الامام السجاد عليه السلام، وقد يكون رجلا آخر من القبيلة. فالأصمعي ولد عام ١٢٨هـ وتوفي عام ٢١٦ عن عمر ناهز الثمان والثمانين سنة، بينما الامام السجاد توفي عام ٩٥هـ. فيكون الأصمعي المعروف قد عاصر الامام الكاظم والرضا عليهما السلام، وقد تكون القصة لأحدهما أو كما بيّنا.

جنازتي، وارحم في ذلك البيت المظلم وحشتي وغربتي ووحدتي.

ولما سمع طاووس هذه المناجاة الحزينة التي تفزع منها النفوس وتضطرب منها القلوب لم يملك نفسه ان بكى، فالتفت اليه الامام قائلاً:

ما يبكيك يا يماني؟ او ليس هذا مقام المذنبين؟.

وانبرى طاووس بخضوع واكبار للامام قائلاً: حقيق على الله ان لا يردك[1].

لقد سمت روح الامام عليه السلام الى الملأ الاعلى وتعلقت به وانقطعت اليه.

## الإنابة في الكعبة

٣- ونقل الرواة عن الحسن البصري انه رأى الامام في الكعبة، وهو يتضرع الى الله، ويدعوه منيباً، فدنا منه فسمعه ينشد هذه الابيات الرقيقة:

ألا يا أيها المأمول في كل حاجة — شكوت اليك الضر فارحم شكايتي
الا يا رجائي انت كاشف كربتي — فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
وان اليك القصد في كل مطلب — وانت غياث الطالبين وغايتي
اتيت بأفعال قباح ردية — فما في الورى خلق جنى كجنايتي
فزادي قليل لا أراه مبلِّغي — أللزاد ابكي ام لِبُعد مسافتي
اتجمعني والظالمين مواقف — فأين طوافي ثم اين زيارتي؟
اتحرقني بالنار يا غاية المنى — فاين رجائي ثم اين مخافتي؟
فيا سيدي فامنن عليّ بتوبة — فانك ربٌّ عالم بمقالتي

واثّر ذلك تأثيراً بالغاً في نفس حسن البصري، فاندفع يقبل رجلي الامام وهو يقول له: يا سلالة النبوة، ما هذه المناجاة والبكاء وانت من اهل بيت النبوة؟

قال الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

فانبرى الامام يبين له واقع الإسلام الذي بُني على الاعمال الصالحة ولم يقم وزناً

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص٢٨٨.
(٢) الاحزاب، ٣٣.

للانساب قائلا: دع هذا، خُلِقت الجنة لمن اطاع الله ولو كان عبداً حبشياً، وخُلِقت النار لمن عصاه ولو كان حراً قرشياً. قال ﷺ: ايتوني باعمالكم لا بأحسابكم وأنسابكم(١).

واستبعد بعض المؤلفين صحة هذه الرواية، وذلك لاشتمالها على تلك الابيات، وهي ركيكة بالاضافة الى تقبيل الحسن البصري لرجلي الامام، وهو لايليق بمكانة البصري ولايرضى بذلك الامام. وهذه المناقشة واهية وذلك لما يلي:

**اولا**: ان الامام عليه السلام انشد هذه الابيات ولايعلم انها من نظمه.

**ثانياً**: انا لانعرف الوجه في ركاكة هذه الابيات، وضعفها، فانها من الرقة والجودة بمكان.

**ثالثا**: ان تقبيل الحسن البصري ليس اهانة له، وانما هو شرف وفخر له فان الامام بقية الله في ارضه، وسيد العترة الطاهرة في عصره، وفلذة كبد رسول الله ﷺ والبصري اعرف بمكانته من هذا المؤلف.

## المناجاة في بيت الله الحرام

٤- ومن مناجاته عليه السلام في بيت الله الحرام ما رواه طاووس قال: دخلت الحِجْر يعني حِجْر اسماعيل، في الليل فاذا علي بن الحسين عليه السلام قد دخل فقام يصلي ما شاء الله ثم سجد سجدة فاطالها، فقلت: رجل صالح من بيت النبوة لاصغين اليه، فسمعته يقول:

عبدك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك.

وحفظ طاووس هذه المناجاة القصيرة التي عبرت عن نكران الذات، والاعتراف بالعبودية المطلقة لله، فكان يدعو بها عند الحاجة، وكان الله يكشف ما ألمّ به كما حدَّث بذلك(٢).

وهذه بعض مناجيات الامام في بيت الله الحرام، وهي تكشف عن عظيم انابته

(١) بحار الانوار، ج٩٣، ص٢٢١.
(٢) كشف الغُمّة، ج٢، ص٢٩٢.

واتصاله بالله، وله مناجيات اخرى سوف نعرض لها عند البحث عن ادعيته ومناجياته.

**الاولى**: نقلنا نص المناجاة عن ابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية، والصحيفة الرابعة للنوري. قال عليه السلام: يا نفس حتامَ إلى الدنيا سكونك، وإلى عمارتها ركونك، أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك ومن وارته الأرض من آلافك؟ ومن فجعت به من إخوانك، ونقل إلى الثرى من أقرانك؟

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها    محاسنهم فيها بوال دواثر
خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم    وساقتهمُ نحو المنايا المقادر
وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها    وضمهم تحت التراب الحفائر

كم خرمت أيدي المنون من قرون بعد قرون، وكم غيرت الأرض ببلائها، وغيبت في ترابها، ممن عاشرت من صنوف، وشيعتهم إلى الأرماس:

وأنت على الدنيا مكب منافس    لخطابها فيها حريص مكاثر
على خطر تمشي وتصبح لاهيا    أتدري بماذا لو عقلت تخاطر
وإن امرءا يسعى لدنياه دائبا    ويذهل عن أخراه لا شك خاسر

فحتامَ على الدنيا إقبالك؟ وبشهواتها اشتغالك؟ وقد وعظك القتير، وأتاك النذير، وأنت عما يراد بك ساه، وبلذة يومك وغدك لاه، وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات، وعاينت ما حل بهم من المصيبات:

وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى    عن اللهو واللذات للمرء زاجر
أبعد اقتراب الأربعين تربص    وشيب فذلك منذر لك ذاعر
كأنك معني بما هو ضائر    لنفسك عمدا اوعن الرشد حائر

انظر إلى الأمم الماضية، والملوك الفانية، كيف اختطفتهم عقبان الأيام، ووافاهم الحمام، فانمحت من الدنيا آثارهم، وبقيت فيها أخبارهم، وأضحوا رمما في التراب، إلى يوم الحشر والمآب:

أمسوا رميما في التراب وعطلت    مجالسهم منهم وأخلى مقاصر
وحلوا بدار لا تزاور بينهم    وأنى لسكان القبور التزاور
فما أن ترى الا قبورا ثووا بها    مسطحة تسفي عليها الأعاصر

كم من ذي منعة وسلطان وجنود وأعوان، تمكن من دنياه، ونال فيها ما تمناه، وبنى فيها القصور والدساكر، وجمع فيها الأموال والذخائر، وجمع السراري والحرائر.

فما صرفت كف المنية إذ أتت ... مبادرة تهوي إليه الذخائر
ولا دفعت عنه الحصون التي بنى ... وحف بها أنهاره والدساكر
ولا قارعت عنه المنية حيلة ... ولا طمعت في الذب عنه العساكر

أتاه من الله ما لا يرد، ونزل به من قضائه ما لا يصد، فتعالى الله الملك الجبار، المتكبر العزيز القهار، قاصم الجبارين، ومبيد المتكبرين، الذي ذل لعزه كل سلطان، وأباد بقوته كل ديان.

مليك عزيز لا يرد قضاؤه ... حكيم عليم نافذ الامر قاهر
عنى كل عز لعزة وجهه ... فكم من عزيز للمهيمن صاغر
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت ... لعزة ذي العرش الملوك الجبابر

فالبدار البدار، والحذار الحذار، من الدنيا ومكايدها، وما نصبت لك من مصايدها، وتحلت لك من زينتها، وأظهرت لك من بهجتها، وأبرزت لك من شهواتها، وأخفت عنك من قواتلها وهلكاتها:

وفي دون ما عاينت من فجعاتها ... إلى دفعها داع وبالزهد آمر
فجدّ ولا تغفل وكن متيقظا ... فعما قليل يترك الدار عامر
فشمِّر ولا تفتر فعمرك زائل ... وأنت إلى دار الإقامة صائر
ولا تطلب الدنيا فان نعيمها ... وإن نلت منها غبه لك ضائر

فهل يحرص عليها لبيب، أو يسر بها أريب؟ وهو على ثقة من فنائها، وغير طامع في بقائها، أم كيف تنام عينا من يخشى البيات، وتسكن نفس من توقع في جميع أموره الممات:

ألا لا ولكنا نغر نفوسنا ... وتشغلنا اللذات عما نحاذر
وكيف يلذ العيش من هو موقن ... بموقف عدل يوم تبلى السرائر
كأنا نرى أن لا نشور وأننا ... سدى مالنا بعد الممات مصادر

وما عسى أن ينال صاحب الدنيا من لذتها، ويتمتع به من بهجتها، مع صنوف

عجائبها، وقوارع فجائعها، وكثرة عذابه في مصابها وفي طلبها، وما يكابد من أسقامها وأوصابها وآلامها.

أما قد نرى في كل يوم وليلة ... يروح علينا صرفها ويباكر
تعاورنا آفاتها وهمومها ... وكم قد ترى يبقى لها المتعاور
فلا هو مغبوط بدنياه آمن ... ولا هو عن تطلابها النفس قاصر

كم قد غرت الدنيا من مخلد إليها، وصرعت من مكب عليها، فلم تنعشه من عثرته، ولم تنقذه من صرعته، ولم تشفه من ألمه، ولم تبره من سقمه، ولم تخلصه من وصمه.

بل أوردته بعد عز ومنعة ... موارد سوء ما لهن مصادر
فلما رأى أن لا نجاة وأنه ... هو الموت لا ينجيه منه التحاذر
تندمَ إذ لم تغن عنه ندامة ... عليه وأبكته الذنوب الكبائر

إذ بكى على ما سلف من خطاياه، وتحسر على ما خلف من دنياه، واستغفر حتى لا ينفعه الاستغفار ولا ينجيه الاعتذار، عند هول المنية ونزول البلية.

أحاطت به أحزانه وهمومه ... وأبلس لما أعجزته المقادر
فليس له من كربة الموت فارج ... وليس له مما يحاذر ناصر
وقد جشأت خوف المنية نفسه ... ترددها منه اللها والحناجر

هنالك خف عواده، وأسلمه أهله وأولاده، وارتفعت الرنةوالعويل، وقد أيسوا من العليل، فغمضوا بأيديهم عينيه، ومدوا عند خروج روحه رجليه، وتخلى عنه الصديق، والصاحب الشفيق.

فكم موجع يبكي عليه مفجع ... ومستنجد صبرا وما هو صابر
ومسترجع داع له الله مخلصا ... يعدد منه كل ما هو ذاكر
وكم شامت مستبشر بوفاته ... وعما قليل للذي صار صائر

فشقت جيوبها نساؤه، ولطمت خدودها إماؤه، وأعول لفقده جيرانه، وتوجع لرزيته إخوانه، ثم أقبلوا على جهازه، وشمروا لابرازه، كأنه لم يكن بينهم العزيز المفدى، ولا الحبيب المبدى.

وظل أحب القوم كان بقربه ... يحث على تجهيزه ويبادر

وشمر من قد أحضروه لغسله ووجه لما فاض للقبر حافر
وكفن في ثوبين واجتمعت له مشيعة إخوانه والعشائر

فلو رأيت الأصغر من أولاده، قد غلب الحزن على فؤاده، ويخشى من الجزع عليه، وخضبت الدموع عينيه، وهو يندب أباه ويقول: يا ويلاه وا خزياه:

لعاينت من قبح المنية منظرا يهال لمرآه ويرتاع ناظر
أكابر أولاد يهيج اكتئابهم إذا ما تناساه البنون الأصاغر
وربة نسوان عليه جوازع مدامعها فوق الخدود غوازر

ثم أخرج من سعة قصره، إلى ضيق قبره، فلما استقر في اللحد، وهيئ عليه اللبن، احتوشته أعماله، وأحاطت به خطاياه، وضاق ذرعا بما رآه، ثم حثوا بأيديهم عليه التراب، وأكثروا البكاء عليه والانتحاب، ثم وقفوا ساعة عليه، وأيسوا من النظر إليه، وتركوه رهنا بما كسب وطلب:

فولوا عليه معولين وكلهم لمثل الذي لاقى أخوه محاذر
كشاء رتاع آمنين بدا لها بمدينة بادي الذراعين حاسر
فريعت ولم ترتع قليلا وأجفلت فلما نأى عنها الذي هو جازر

عادت إلى مرعاها، ونسيت ما في أختها دهاها، أفبأفعال الانعام اقتدينا؟ أم على عادتها جرينا؟ عد إلى ذكر المنقول إلى دار البلى، واعتبر بموضعه تحت الثرى، المدفوع إلى هول ما ترى:

ثوى مفردا في لحده وتوزعت مواريثه أولاده والأصاهر
وأحنوا على أمواله يقسمونها فلا حامد منهم عليها وشاكر
فيا عامر الدنيا ويا ساعيا لها ويا آمنا من أن تدور الدوائر

كيف أمنت هذه الحالة وأنت صائر إليها لا محالة؟ أم كيف ضيعت حياتك وهي مطيتك إلى مماتك؟ أم كيف تشبع من طعامك وأنت منتظر حمامك؟ أم كيف تهنأ بالشهوات، وهي مطية الآفات:

ولم تتزود للرحيل وقد دنا وأنت على حال وشيك مسافر
فيا لهف نفسي كم أسوف توبتي وعمري فان والردى لي ناظر

وكل الذي أسلفت في الصحف مثبت يجازي عليه عادل الحكم قادر

فكم ترقع بآخرتك دنياك، وتركب غيك وهواك، أراك ضعيف اليقين، يا مؤثر الدنيا على الدين، أبهذا أمرك الرحمن؟ أم على هذا نزل القرآن؟ أما تذكر ما أمامك من شدة الحساب، وشر المآب، أما تذكر حال من جمع وثمر، ورفع البناء وزخرف وعمر، أما صار جمعهم بورا، ومساكنهم قبورا:

تخرب ما يبقى وتعمر فانيا فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر
وهل لك إن وافاك حتفك بغتة ولم تكتسب خيرا لدى الله عاذر
أترضى بان تفنى الحياة وتنقضي ودينك منقوص ومالك وافر[١]

فبك يا الهنا نستجير، يا عليم يا خبير، من نؤمل لفكاك رقابنا غيرك؟ ومن نرجو لغفران ذنوبنا سواك؟ وانت المتفضل المنان، القائم الديان، العائد علينا بالاحسان، بعد الاساءَة منا والعصيان، يا ذا العزة والسلطان، والقوة والبرهان، أجرنا من عذابك الاليم، واجعلنا من سكان دار النعيم، برحمتك يا ارحم الراحمين[٢].

**الثانية**: روى السعيد علي بن عيسى الاربلي في كشف الغمة ج٢، ص٣٠٦، والشريف الجليل السيد محسن الامين العاملي في الصحيفة الخامسة ص٢٩٦ عن ابي الطفيل عامر ابن واثلة، قال: كان علي بن الحسين اذا تلا قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[٣] قال:

اللهم ارفعني في اعلى درجات هذه الندبة، واعني بعزم الارادة، وهبني حسن المستعتب من نفسي، وخذني منها حتى لا اقول الا صدقاً، وأرني مصاديق استجابتك بحسن توفيقك حتى اكون في كل حال حيث أردت.

فقد قرعت بي باب فضلك فاقة بحد سنان نال قلبي فتوقها

وحتى متى اصف محن الدنيا ومقام الصديقين، وانتحل عزما من ارادة مقيم بمدرجة الخطايا. اشتكى ذلّ ملكة الدنيا وسوء احكامها علي، وقد رأيت وسمعت لو

---

(١) البداية والنهاية، ج٩، ص ١٢٨ - ١٣٢.
(٢) الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ص١٢٣.
(٣) التوبة، ١١٩.

كنت اسمع في أداة الفهم او انظر بنور يقظة:

وكيلا ألاقي نكبة وفيجعة وكأس مرارات ذعافا اذوقها

وحتى متى اتعلل بالاماني، واسكن الى الغرور، واعيذ نفسي للدنيا على غضاضة سوء الاعتداد من ملكاتها وانا اعرض لنكبات الدهر علي، أتربص اشتمال البقاء، وقوارع الموت، يختلف حكمي في نفسي ويعتدل حكم الدنيا.

وهن المنايا اي واد سلكنه عليها طريقي او علي طريقها

وحتى متى تعدني الايام فتخلف، وائتمنها فتخون، لا تحدث جدة الا بخلوق جدة، ولا تجمع شملا الا بتفريق شمل، حتى كأنها غيري، محجبة ضناً، تغار على الالفة وتحسد اهل النعم:

فقد آذنتني بانقطاع وفرقة واومض لي من كل افق بروقها

ومن أقطع عذراً من مغذ سيراً، يسكن الى معرس غفلة، بأدواء بنوة الدنيا ومرارة العيش وطيب نسيم الغرور، وقد امرت تلك الحلاوة على القرون الخالية وحال دون ذلك النسيم هبوات وحسرات وكانت حركات فسكنت وذهب كل عالم بما فيه:

فما عيشة الا تزيد مرارة ولاضيقة الا ويزداد ضيقها

فكيف يرقأ دمع لبيب، او يهدء طرف متوسم على سوء احكام الدنيا وما تفجأ به اهلها من تصرف الحالات وسكون الحركات، وكيف يسكن اليها من يعرفها وهي تفجع الاباء بالابناء وتلهي الابناء عن الاباء، تعدمهم اشجان قلوبهم وتسلبهم قرة عيونهم.

وترمي قساوات القلوب بأسهم وجمر فراق لايبوخ حريقها

وكم عالم أفنت فلم تبك شجوه ولابد ان تفنى سريعا لحوقها

فانظر بعين قلبك الى مصارع اهل البذخ، وتأمل معاقل الملوك ومصانع الجبارين، وكيف عركتهم الدنيا بكلاكل الفناء، وجاهرتهم بالمنكرات، وسحبت عليهم اذيال البوار وطحنتهم طحن الرحى للحب واستودعتهم هوج الرياح، تسحب عليهم اذيالها فوق مصارعهم في فلوات الارض:

فتلك مغانيهم وهذي قبورهم توارثها اعصارها وقبورها

ايها المجتهد في آثار مَنْ مضى قبلك من الامم السالفة، توقف وتفهم وانظر اي عزم ملك، او نعيم انس، او بشاشة الف، الا نغصت اهله قرة اعينهم، وفرقتهم ايد المنون، والحقتهم بتجافيف التراب، فاضحوا في فجوات قبورهم يتقلبون، وفي بطون الهلكات عظاما ورفاتا وصلصالا في الارض هامدون:

وآليت لا تبقى الليالي بشاشة ولاجدة الا سريعا خلوقها

وفي مطالع اهل البرزخ، وخمود تلك الرقدة، وطول تلك الاقامة، طفئت مصابيح النظر واضمحلت غوامض الفكر، وذم الغفول اهل العقول، وكم بقيت متلذذا في طوامس تلك الغرفات، فنوهت باسماء الملوك، وهتفت بالجبارين، ودعوت الاطباء والحكماء، وناديت معادن الرسالة والانبياء، أتململ تململ السليم، وابكي بكاء الحزين، وانادي ولات حين مناص.

سوى انهم كانوا فبانوا وانني على جدد قصر سريعا لحوقها

وتذكر ان مراتب الفهم وغضاضة فطن العقول بتذكر قلب جريح فصدعت الدنيا عما التذ بنواظر فكرها من سوء الغفلة، ومن عجب كيف يسكن اليها من يعرفها وقد استذهلت عقله بسكونها وتزين المعاذير وخسأت ابصارهم عن عيب التدبير وكلما تراءت الايات ونشرها من طي الدهر عن القرون الخالية الماضية وحالهم ومابهم وكيف كانوا وما الدنيا وغرور الايام:

وهل هي الا لوعة من ورائها جوى قاتل اوحتف نفس يسوقها

وقد اغرق في ذم الدنيا الادلاء على طرق النجاة من كل عالم، فبكت العيون شجن القلوب فيها دما، ثم درست تلك المعالم، فتنكرت الاثار وجعلت في برهة من محن الدنيا، وتفرقت ورثة الحكمة وبقيت فردا كقرن الاعضب وحيدا، اقول فلا اجد سميعا، واتوجع فلا اجد مشتكى:

وان ابكهم احرض وكيف تجلدي وفي القلب مني لوعة لا اطيقها

وحتى متى اتذكر حلاوة مذاق الدنيا وعذوبة مشارب ايامها واقتفي آثار المريدين وانتسم ارواح الماضين مع سبقهم الى الغل والفساد وتخلفي عنهم في فضالة طرق الدنيا، منقطعاً من الاخلاء، فزادني جليل الخطب لفقدهم جوى، وخانني الصبر كأني اول

ممتحن اتذكر معارف الدنيا وفراق الاحبة.

فلو رجعت تلك الليالي كعهدها رأت اهلها في صورة لاتروقها

فمن اخص بمعاتبتي، ومن ارشد بندبتي، ومن ابكي ومن ادع، أشجوا بهلكة الاموات ام بسوء خلف الأحياء، وكل يبعث حزني ويستأثر بعبرتي، ومن يسعدني فابكى وقد سلبت القلوب لبها، ورقا الدمع، وحقّ للداء ان يذوب على طول مجانبة الاطباء، وكيف بهم وقد خالفوا الامرين، وسبقهم زمان الهادين، ووكلوا الى انفسهم يتنسكون في الضلالات في دياجير الظلمات.

حيارى وليل القوم داج نجومه طوامس لاتدري بطي خفوقها

وقد انتحلت طوائف من هذه الامة بعد مفارقة ائمة الدين والشجرة النبوية اخلاص الديانة واخذوا انفسهم في مخائل الرهبانية، وتغالوا في العلوم، ووصفوا الإسلام باحسن صفاته، وتحلوا باحسن السنة، حتى اذا طال عليهم الأمد، وبعدت عليهم الشقة، وامتحنوا بمحن الصادقين، وجعلوا على اعقابهم ناكصين عن سبيل الهدى وعلم النجاة، يتفسحون تحت اعباء الديانة تفسح حاشية الابل تحت اوراق البزل.

ولا تحرز السبق الرزايا وان جرت ولا يبلغ الغايات الا سبوقها

وذهب آخرون الى التقصير في امرنا، واحتجوا بمتشابه القرآن، فتأولوه بارائهم واتهموا مأثور الخبر مما استحسنوا، يقتحمون في اغمار الشبهات ودياجير الظلمات بغير قبس نور من الكتاب، ولا أثرة علم من مظان العلم بتحذير مثبطين، زعموا انهم على الرشد من غيهم، والى من يفزع خلف هذه الامة، وقد درست اعلام الملة، ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف، يكفر بعضهم بعضا والله تعالى يقول: ﴿**وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ**﴾[1] فمن الموثوق به على ابلاغ الحجة وتأويل الحكمة الا أهل الكتاب وابناء ائمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده ولم يدع الخلق سدى من غير حجة، هل تعرفونهم او تجدونهم الا من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وبرأهم من الآفات، وافترض مودتهم في الكتاب.

(١) آل عمران، ١٠٥.

هم العروة الوثقى وهم معدن التقى وخير حبال العالمين وثيقها[1]

وهذه الندبة الجليلة اشار اليها ابن شهر آشوب في المناقب ج٢ ص٢٥٣ بقوله: ومنها ما عن الصادق عليه السلام: حتى متى تعدني الدنيا فتخلف، وأئتمنها فتخون، واستنصحها فتغش، لاتحدث جديدة... الى قوله:

فقد آذنتني بانقطاع وفرقة وأومض لي من كل افق بروقها

وفي هذا دلالة على ما يحدِّث به النوري في خاتمة المستدرك من ان المناقب المتداولة بين الناس مختصر المناقب الكبيرة لابن شهر آشوب، والا فمن البعيد جدا عدم وقوف ابن شهر آشوب على تمامها. والذي يشهد له ان المناقب المتداولة لم تذكر من الندب الثلاثة الا الاشارة اليها فهذا الالتزام يوافق مراعاة الاختصار.

**الثالثة**: لقد جمع المجلسي في البحار ج١٧ الكثير من نصائح النبي صلى الله عليه وآله وخلفائه المعصومين ولكن المحدث الجليل ميرزا حسين النوري استدرك مافاته وطبع مع الجزء السابع عشر من البحار المناجاة الثالثة لمولانا زين العابدين عليه السلام. قال اعلى الله مقامه في ص٢٧٥:

**ندبة اخرى**: حَدَّثَ شاكر بن غنيمة بن ابي الفضل، عن عبد الجبار الهاشمي، قال: سمعت هذه الندبة عن ابي بشر بن ابي طالب الكندي، عن ابي عيينة، عن الزهري قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يناجي ربه تعالى ويقول:

قل لمن قل عزاؤه، وطال بكاؤه، ودام عناؤه، وبان صبره، وتقسم فكره، والتبس عليه امره، من فقد الاولاد، ومفارقة الاباء والاجداد، والامتعاظ بشماتة الحساد، الم تر كيف فعل ربك بعاد، ارم ذات العماد.

تعزّ فكلٌّ للمنية ذائق وكل ابن انثى للحياة مفارق
فعمر الفتى للحادثات ذريئة تناهبه ساعاتها والدقائق
كذا نتفانى واحد بعد واحد وتطرقنا بالحادثات الطوارق

فحسن الاعمال، وجمل الافعال، وقصر الامال الطوال، فما عن سبيل المنية مذهب،

(١) كشف الغمة، ج٢، ص ٣٠٦-٣١٠.

ولا عن الحمام مهرب، ولا الى قصد النجاة مطلب، فيا ايها الانسان المستحفظ على الزمان، والدهر الخوان، ما لكَ والخلود الى دار الاحزان، والسكون الى دار الهوان، وقد نطق القرآن بالبيان الواضح في سورة الرحمن، كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام.

وفيم وحتامَ الشكاية والردى    جموح لآجال البرية لاحق
فكل ابن انثى هالك وابن هالك    لمن ضمنته غربها والمشارق
فلابد من ادراك ما هو كائن    ولابد من إتيان ما هو سابق

فالشباب للهرم، والصحة للسقم، والوجود للعدم، وكل حي لا شك مخترم، بذلك جرى القلم، على صفحة اللوح في القدم، فما هذا التلهف والندم، وقد خلت من قبلكم الامم.

أترجو نجاة من حياة سقيمة    وسهم المنايا للخليقة راشق
سرورك موصول بفقدان لذة    ومن دون ما تهواه تأتى العوائق
وحبك للدنيا غرور وباطل    وفي ضمنها للراغبين البوائق

أفي الحياة طمع، أم إلى الخلود نزع، أم لما فات مرتجع، ورحى المنون دائرة، وفراسها غائرة، وسطواتها قاهرة، فقرب الزاد ليوم المعاد، ولا تنوط على غير مهاد، وتعمد الصواب، وحقق الجواب، فلكل أجل كتاب، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.

فسوف تلاقي حاكما ليس عنده    سوى العدل لا يخفى عليه المنافق
يميز أفعال العباد بلطفه    ويظهر منه عند ذاك الحقائق
فمن حسنت أفعاله فهو فائز    ومن قبحت أفعاله فهو زاهق

أين السلف الماضون، والأهلون والأقربون، والأولون والآخرون، والأنبياء والمرسلون، طحنتهم والله المنون، وتوالت عليهم السنون، وفقدتهم العيون، وإنا إليهم صائرون، فانا لله وانا إليه راجعون.

إذا كان هذا نهج من كان قبلنا    فانا على آثارهم نتلاحق
فكن عالما أن سوف تدرك من مضى    ولو عصمتك الراسيات الشواهق

فما هـذه دار المقامة فاعلمن ولـو عمر الانسـان مـا ذر شـارق

أين من شق الأنهار، وغرس الأشجار، وعمر الديار، ألم تمح منهم الآثار، وتحل بهم دار البوار، فاخش الجوار، فلك اليوم بالقوم اعتبار، فان الدنيا متاع والآخرة هي دار القرار.

تخرمهم ريـب المنون فلم تكن لتنفعهم جناتهم والـحـدائـق
ولا حملتهم حين ولـوا بجمعهم نجائبهم والصافنات السوابق
وراحوا عن الأموال صفرا وخلفوا ذخائرهم بالرغم منهم وفارقوا

أين من بنى القصور والدساكر، وهزم الجيوش والعساكر، وجمع الأموال، وحاز الآثام والجرائر، أين الملوك والفراعنة، والأكاسرة والسياسنة، أين العمال والدهاقنة، أين ذوو النواحي والرساتيق، والاعلام والمجانيق، والعهود والمواثيق.

كـأن لـم يكونوا أهـل عـز ومنعة ولا رفعت أعلامهم والمجانق
ولا سكنوا تلك القصور التي بنوا ولا اخـذت منهم بـعـد مـواثـق
وصاروا قبورا دارسات وأصبحت منازلهم تسفي عليه الخوافق

ما هذه الحيرة والسبيل واضح، والمشير ناصح، والصواب لائح، عقلت فأغفلت، وعرفت فانكرت، وعلمت فأهملت، هذا هو الداء الذي عز دواؤه، والمرض الذي لا يجري شفاؤه، والأمل الذي لا يدرك انتهاؤه، أفأمنت الأيام، وطول الأسقام، ونزول الحمام، والله يدعو إلى دار السلام.

لقد شقيت نفسي تتابع غيها وتـصـدف عـن ارشـادهـا وتفارق
وتـأمـل مـا لا يستطاع بحيلة وتعصيك ان خالفتها وتشاقق
وتصغي إلـى قـول الغوي وتنثني وتعرض عن تصديق من هو صادق

فيا عاقلا راحلا، ولبيبا جاهلا، ومتيقظا غافلا، أتفرح بنعيم زائل وسرور حائل، ورفيق خاذل، فيا أيها المفتون بعمله، الغافل عن حلول أجله، والخائض في بحار زلاته، ما هذا التقصير وقد وخطك القتير، ووافاك النذير، والى الله المصير.

طـلابـك أمـر لا يـتـم سـروره وجهدك باستصحاب من لا يوافق
وأنـت كمن يبني بـنـاء وغيره يـعـاجـلـه فـي هـدمـه ويـسـابـق

وينسج آمالا طوالا بعيدة ويعلم ان الدهر للنسج خارق

ليست الطريقة لمن ليس له الحقيقة، ولا يرجع إلى خليفة، إلى كم تكدح ولا تقنع، وتجمع ولا تشبع، وتوفر لما تجمع، وهو لغيرك مودع، ماذا الرأي العازب، والرشد الغايب، والأمل الكاذب، ستنقل عن القصور وربات الخدور، والجذل والسرور، إلى ضيق القبور، ومن دار الفناء إلى دار الحبور، كل نفس ذائقة الموت، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور.

فعالك هذا غرة وجهالة وتحسب يا ذا الجهل انك حاذق
تظن بجهل منك انك راتق وجهلك بالعقبى لدينك فاتق
توخيك من هذا أدل دلالة وأوضح برهانا بأنك مائق

عجبا لغافل عن صلاحه، مبادر إلى لذاته وأفراحه، والموت طريدة مسائه وصباحه، فيا قليل التحصيل، ويا كثير التعطيل، ويا ذا الامل الطويل، ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، بناؤك للخراب، ومالك للذهاب، وأجلك إلى اقتراب.

وأنت على الدنيا حريص مكاثر كأنك منها بالسلامة واثق
تحدثك الأطماع انك للبقا خلقت وان الدهر خل موافق
كأنك لم تبصر أناسا ترادفت عليهم بأسباب المنون اللواحق

هذه حالة من لا يدوم سروره، ولا تتم أموره، ولا يفك أسيره، أتفرح بمالك ونفسك، وولدك وغرسك ( وعرسك )، وعن قليل تصير إلى رمسك، وأنت بين طي ونشر، وغنى وفقر، ووفاء وغدر، فيا من القليل لا يرضيه، والكثير لا يغنيه، إعمل ما شئت انك ملاقيه، يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه.

سيقفر بيت كنت فرحة أهله ويهجر مثواك الصديق المصادق
وينساك من صافيته وألفته ويجفوك ذو الود الصحيح الموافق
على ذا مضى الناس اجتماع وفرقة وميت ومولود وقال ووامق

أف لدنيا لا يرقى سليمها، ولا يصح سقيمها، ولا يندمل كلومها، وعودها كاذبة، وسهامها صائبة، وآمالها خائبة، لا تقيم على حال، ولا تمتع بوصال، ولا تسر بنوال.

وتلك لمن يهوى هواها مليكة تـعـبـده أفـعـالـهـا والـطـرائـق
يسر بها من ليس يعرف غدرها ويسعى إلـى تطلابها ويسابق
إذا عدلت جـارت على اثر عدلها فمكروهة أفعالها والخلائق

فيا ذا السطوة والقدرة، والمعجب بالكثرة، ما هذه الحيرة والفترة، لك فيمن مضى عبرة، وليؤذن الغافلون، عما إليه يصيرون، إذا تحققت الظنون، وظهر السر المكنون، وتندمون حين لا تقالون، ثم انكم بعد ذلك لميتون.

سيندم فـعـال على سـوء فعله ويـزداد منه عند ذاك التشاهق
إذا عاينوا من ذي الجلال اقتداره وذو قـوة مـن كـان قـدمـا يداقق
هنالك تتلوا كـل نفس كتابها فيطفو ذو عـدل ويـرسـب فاسق

إلى كم ذا التشاغل بالتجاير والأرباح، إلى كم ذا التهور بالسرور والأفراح، وحتامَ التغرير بالسلامة في مراكب النياح، من ذا الذي سالمه الدهر فسالم، ومن ذا الذي تاجره الزمان فغنم، ومن ذا الذي استرحم الأيام فرحم، اعتمادك على الصحة والسلامة خرق، وسكونك إلى المال والولد حمق، والاغترار بعواقب الأمور خلق، فدونك وحزم الأمور، والتيقظ ليوم النشور، وطول اللبث في صفحات القبور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور.

فمن صاحب الأيـام سبعين حجة فـلـذاتـهـا لاشـك مـنـه طـوالـق
فعقبى حـلاوات الـزمـان مريرة وان عذبت حينا فحينا خرابق
ومـن طرفته الـحـادثـات بويلها فلابد ان تأتيه فيها الصواعق

فما هذه الطمأنينة وأنت مزعج، وما هذا الولوج وأنت مخرج، جمعك إلى تفريق، ووفرك إلى تمزيق، وسعتك إلى ضيق، فيا أيها المفتون، والطامع بما لا يكون، أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون.

ستندم عند الـمـوت شـر ندامة إذا ضم أعضاك الثرى والمطابق
وعاينت أعـلام المنية والـردى ووافــاك مـا تبيض منه المفارق
وصرت رهينا في ضريحك مفردا وباعدك الجار القريب الملاصق

فيا من عدم رشده، وجار قصده، ونسي ورده، إلى متى تواصل بالذنوب وأوقاتك

محدودة، وأفعالك مشهودة، افتعول على الاعتذار، وتهمل الاعذار والانذار، وأنت مقيم على الاصرار، ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار.

إذا نصب الميزان للفصل والقضا ... وأبلس محجاج وأخرس ناطق
وأججت النيران واشتد غيظها ... إذا فتحت أبوابها والمغالق
وقطعت الأسباب من كل ظالم ... يقيم على أسراره وينافق

فقدم التوبة، واغسل الحوبة، فلابد ان تبلغ إليك النوبة، وحسن العمل قبل حلول الأجل، وانقطاع الامل، فكل غائب قادم، وكل عريب عازم (وكل غريب غارم)، وكل مفرط نادم، فاعمل للخلاص قبل القصاص، والاخذ بالنواص.

فانك مأخوذ بما قد جنيته ... وانك مطلوب بما أنت سارق
وذنبك ان أبغضته فمعانق ... ومالك ان أحببته فمفارق
فقارب وسدد واتق الله وحده ... ولا تستقل الزاد فالموت طارق

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[1].

والى هذه المناجاة اشار ابن شهر آشوب في المناقب ج٣، ص٢٩٢ بقوله: ومنها ما روى ابن عيينة:

اين السلف الماضون، والاهل والاقربون، والانبياء والمرسلون، طحنتهم والله المنون، وتوالت عليهم السنون، وفقدتهم العيون، وانا اليهم صائرون، وانا لله وإنا إليه راجعون.

اذا كان هذا نهج من كان قبلنا ... فانا على اثارهم نتلاحق
فكن عالما أنْ سوف تدرك من مضى ... ولو عصمتك الراسيات الشواهق
فما هذه دار المقامة فاعلمن ... ولو عمر الانسان ما ذر شارق

وقد اوقفناك في اول الفصل من هذه المناجيات الثلاث الى ما أرتآه المحدث الميرزا

(١) نهج السعادة، الشيخ المحمودي، ج٧، ص ٦٤-٦٩، نقلًا عن: مستدرك بحار الانوار، ج١٧، ص٢٧٥.

حسين النوري في خاتمة المستدرك من ان المناقب المطبوع المتداول مختصر من مناقب ابن شهر آشوب اولا لما ذكره الشيخ علي بن يونس العاملي في كتابه الصراط المستقيم من اختصار الحسين بن جبر له، وثانيا: ان هذه الاشارة من ابن شهر اشوب تفيدنا وقوفه على هذه المناجيات الثلاث ويبعد جدا اثباته لها بهذا الاختصار المخل مع اشتمالها على نصائح كافية ناجعة كافلة، لتهذيب النفوس وتطهيرها من دون التمرد والطغيان على المولى سبحانه وتعالى.

## [٥]

# سجود الامام

عُرِف الامام علي بن الحسين بالسجّاد لكثرة سجوده، فقد عُرِف الامام عليه السلام في سلوكه انه كان يسجد شاكرا مسبحا لله سبحانه بمجرد ان تتجه نعمة اليه، ويُنجز طلب كان يتوخاه من الله سبحانه، حتى نُقِل انه نزل من على ظهر ناقته وسجد شكرا لله سبحانه.

وبالاضافة الى ذلك فانه عليه السلام كان يسجد لله سبحانه ويطول في سجوده وهو يسبح الله سبحانه ويناجيه حتى كان يتصبّب عرقا وهو ساجد لله سبحانه، كما كان يختار المكان الصلب الخشن في سجوده تواضعا لله سبحانه، وكانت من المفردات التي لوحظت على الامام عليه السلام وهو ساجد هي:

١- كان الامام زين العابدين عليه السلام يسجد ويقول في سجوده الف مرة: لا اله الا الله حقا حقا. لا اله الا الله تعبّدا ورقّا. لا اله الا الله ايمانا وصدقا[١].

٢- دعوات الراوندي، عن محمد بن الحسين الخزاز، عن ابيه، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يلبس الصوف واغلظ الثياب اذا قام إلى الصلاة، وكان عليه السلام اذا صلى يبرز الى موضع خشن فيصلي فيه، ويسجد على الارض، فأتى الجبان وهو جبل بالمدينة يوما ثم قام على حجارة خشنة محرقة، فاقبل يصلي وكان كثير البكاء فرفع رأسه من السجود وكأنما غمس في الماء من كثرة دموعه[٢].

(١) وسائل الشيعة (آل البيت)، ج٣، ص ٢٨٢.

(٢) بحار الانوار، ج٤٦، ص١٠٨.

٣- وفي رواية الزهري، عن سعيد بن المسيب قال: كان القوم لايخرجون الى مكة حتى يخرج علي بن الحسين سيد العابدين، فخرج عليه السلام فخرجت معه فنزل في بعض المنازل فصلى ركعتين فسبَّح في سجوده، فلم يبق شجر ولا مدر الا سبحوا معه ففزعنا نرفع راسه قال: يا سعيد أفزعت؟ فقلت: نعم يا ابن رسول الله فقال: هذا التسبيح الاعظم. حدثني ابي عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (لاتبقى الذنوب مع هذا التسبيح). فقلت: علمنا[1].

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص١٥٠.

# [٦]

# الامام والبكاء على ابيه

كان الامام زين العابدين كثير البكاء خوفا من الله سبحانه، وعلى ابيه الحسين عليه السلام حتى عُرِف بالبكّاء وقُرِن اسمه مع البكائين المتميزين في تاريخ الاديان.

وبكاء الامام على ابيه المستمر طوال حياته، وفي كل مفردة من شرب واكل في الغداة والعشاء، كان له ما يبرره كما يوضح الامام ذلك في اجوبته للذين يسألونه عن مدى استمرار البكاء وهو حالة إنسانية لما رأى عليه السلام من فضاعة المشاهد التي جرت على اهل بيته واي اهل بيت، انهم اهل بيت الوحي وسلالة النبوة واهل الخير والطيب و..

والبكاء الذي حوّله الامام زين العابدين الى شعار من شعائر الله هي الوسيلة التي كانت المسموح للامام ان يؤديها من دون تعرض السلطة له وفي تلك الظروف التي كانت تحيط بالامام عليه السلام.

ان بكاء الامام على ابيه اصبح شعارا لقضية اسمها الحسين عليه السلام، وان البكاء اصبح المنفذ لدخول المظلومية التي نزلت على الحسين واهله بيته، وان البكاء اضحى الاطلالة على واقع حركة الامام الحسين عليه السلام لمعرفة واقع ما جرى.

وهكذا تحوّل بكاء الامام زين العابدين عليه السلام الى مدرسة تحمل قضية الحسين بكافة مفرداتها ومعطياتها، واعطت وتعطي زخم الوجود والاستمرار لهذه القضية.

كما ان دموع الامام عليه السلام لها ربط بالدين حيث اصبحت كل قطرة من الدمع حرفا من حروف الدين وحركة من حركات الإسلام.

وهذه مفردات من تلك الممارسات التي اداها الامام في سجوده وبكائه على ابيه الحسين عليه السلام.

١- قال أبو عبد الله عليه السلام: البكائون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين عليهم السلام.

فأما آدم، فبكى على الجنة حتى صار في خديه امثال الاودية.

وأما يعقوب، فبكى على يوسف حتى ذهب بصره، وحتى قيل له: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنْ الْهَالِكِينَ**﴾.

وأما يوسف، فبكى على يعقوب حتى تأذى به اهل السجن فقالوا: إما ان تبكي بالنهار وتسكت بالليل، واما ان تبكي بالليل وتسكت بالنهار، فصالحهم على واحد منهما.

وأما فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذّى بها اهل المدينة، وقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج الى المقابر ومقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف.

وأما علي بن الحسين عليه السلام، فبكى على الحسين عشرين سنة او اربعين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله، اني اخاف عليك ان تكون من الهالكين قال: اشكوا بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون اني لم اذكر مصرع بني فاطمة الا خنقتني لذلك عبرة[1].

٢- وفي الرواية: قيل له: اما آن لحزنك ان ينقضي؟

فقال عليه السلام: ويحك ان يعقوب النبي عليه السلام كان له اثنا عشر ابنا فغيَّب الله واحدا منهم، فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب ظهره من الغم، وكان ابنه حيا في الدنيا، وانا نظرت الى ابي واخي وعمي وسبعة عشر من اهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني؟

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص١٠٩.

وقيل: انه بكى حتى خيف على عينيه، وكان اذا اخذ اناءً يشرب ماءً بكى حتى يملأها دمعا، فقيل له في ذلك، فقال: وكيف لا أبكي؟ وقد منع ابي من الماء الذي كان مطلقا للسباع والوحوش.

وقيل له: انك لتبكي دهرك، فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا؟ فقال: نفسي قتلتها وعليها ابكي[١].

٣- عن اسماعيل بن منصور عن بعض اصحابنا قال: اشرف مولى لعلي بن الحسين عليه السلام وهو في سقيفة له ساجد يبكي، فقال له: يا علي بن الحسين اما آن لحزنك ان ينقضي؟ فرفع راسه اليه فقال: ويلك، او ثكلتك امك، والله لقد شكى يعقوب الى ربه في اقل مما رأيت حين قال: يا اسفى على يوسف وانه فقد ابنا واحدا، وانا رايت ابي وجماعة اهل بيتي يذبحون حولي.

قال: وكان علي بن الحسين عليه السلام يميل الى ولد عقيل فقيل له: ما بالك تميل الى بني عمك هؤلاء دون آل جعفر؟ فقال: اني اذكر يومهم مع ابي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام فأرق لهم[٢].

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص١٠٨.
(٢) المصدر، ص١١٠.

[٧]

# الامام والصوم

مارس الامام عليه السلام عبادة الصوم وادى حقها، ونشر في الامة هذه الثقافة وكان مصداقا لمن لا يُميَّز يوم صومه عن يوم فطره، وكان الصوم من السمات البارزة في حياته حتى عبرت عن ذلك احدى جواريه بقولها «ما قدمت له طعاما في نهار قط» وللحث على ممارسة هذا اللون من العبادة يقول الامام عليه السلام: «ان الله تعالى وكّل ملائكة بالصائمين» لتباين رعاية الله سبحانه للصائمين عن غيرهم.

كما ان الامام عليه السلام كان في ايام صومه يلهج بالاستغفار والتسبيح والتكبير، وهو امر يتميز عن باقي ايامه ومن كثرة صيامه عليه السلام كان يظمأ في الصيام حتى يعصب فوه.

## الامام وفقه الصيام

وللامام زين العابدين وعي فقهي واضح يدل على استيعابه لهذه الفريضة بكافة اشكالها الواجبة والمستحبة والمباحة وقد فصل فقهها لحضور مجلسه.

دخل الزهري مع جماعة من الفقهاء على الامام زين العابدين عليه السلام فسأل الامامُ الزهري عما كانوا يخوضون فيه، فقال له:

«تذاكرنا الصوم فأجمع رأيي ورأي اصحابي على انه ليس من الصوم شيء واجب الا شهر رمضان» فنعى عليهم الامام قلة معلوماتهم بشؤون الشريعة واحكام الدين وبين لهم اقسام الصوم قائلا.

«ليس كما قلتم: الصوم على أربعين وجهاً، عشرة منها واجبة كوجوب شهر

رمضان، وعشر خصال منها حرام، وأربعة عشرة وجها صيامهن بالخيار، ان شاء صام، وان شاء افطر، فصوم النذر واجب، وصوم الإعتكاف واجب...».

وبهر الزهري، وبقية الفقهاء من سعة علم الامام عليه السلام واحاطته بأحكام الدين وطلب منه الزهري ايضاح تلك الوجوه وبيانها، فقال عليه السلام:

«اما الواجب فصيام شهر رمضان، وصيام شهرين متتابعين لمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً، وصيام شهرين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق، واجب، قال الله تعالى: ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله، الى قوله: فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين. وصيام شهرين متتابعين في كفارة الظهار لمن لم يجد العتق قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ وصيام ثلاثة ايام في كفارة اليمين واجب لمن لم يجد الإطعام، قال الله تبارك وتعالى: فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم. كل ذلك تتابع وليس بمفترق، وصيام حلق الرأس واجب، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾. وصاحبها فيها بالخيار، بين صيام ثلاثة ايام او صدقة او نسك، وصوم دم المتعة واجب لمن لم يجد الهدى، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ وصوم جزاء الصيد واجب، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾.

ثم قال عليه السلام: او تدري كيف يكون عدل ذلك صياما يا زهري؟

فقال: لا ادري.

قال عليه السلام: تقوِّم الصيد قيمة ثم تفضي تلك القيمة على البر، ثم يكال ذلك البر اصواعا فيصوم لكل نصف صاع، وصوم النذر واجب، وصوم الاعتكاف واجب.

واما صوم الحرام فصوم يوم الفطر ويوم الاضحى وثلاثة ايام من التشريق وصوم

يوم الشك امرنا به، ونهينا عنه: امرنا ان نصومه من شعبان ونهينا ان ينفرد الرجل بصيامه في اليوم الذي يشك فيه الناس.

والتفت الزهري الى الامام قائلا: «جُعِلت فداك فان لم يكن صام من شعبان شيئا، كيف يصنع»؟ قال عليه السلام: «ينوي ليلة الشك انه صائم من شعبان فان كان من شهر رمضان اجزء عنه، وان كان من شعبان لم يضر».

واشكل الزهري على الامام: «كيف يجزي صوم التطوع عن فريضة»؟

فأجابة الامام: «لو ان رجلا صام يوما من شهر رمضان تطوعا هو لايدري، ولا يعلم انه من شهر رمضان، ثم علم بعد ذلك اجزأ عنه لان الفرض انما وقع على اليوم بعينه».

ثم استأنف الامام حديثه في بيان اقسام الصوم قائلا: «وصوم الوصال حرام، وصوم الصمت حرام، وصوم النذر للمعصية حرام، وصوم الدهر حرام».

واما الصوم الذي صار صاحبه فيه بالخيار فصوم يوم الجمعة والخميس والاثنين وصوم ايام البيض وصوم ستة ايام من شوال بعد شهر رمضان، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء، وكل ذلك صاحبه فيه بالخيار: ان شاء صام وان شاء افطر.

واما صوم الاذن فان المراة لاتصوم تطوعا الا باذن زوجها، والعبد لايصوم تطوعا الا بإذن سيده، والضيف لايصوم تطوعا الا باذن مضيفه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (فمن نزل على قوم فلا يصوم تطوعا الا باذنهم).

واما صوم التاديب فانه يؤمر الصبي اذا راهق تأديبا وليس بفرض، وكذلك من افطر لعلة من اول النهار ثم قوي بعد ذلك امر بالامساك بقية يومه تأديبا وليس بفرض، وكذلك المسافر اذا اكل من النهار ثم قدم اهله امر بالامساك بقية يومه تأديبا وليس بفرض، واما صوم الاباحة فمن اكل او شرب أو تقيأ من غير تعمد اباح الله ذلك واجزأ عنه صومه.

واما صوم السفر والمرض فان العامة اختلفت فيه، فقال قوم: يصوم، وقال قوم: لايصوم وقال قوم: ان شاء صام وان شاء افطر واما نحن فنقول: يفطر في الحالين جميعا،

فان صام في السفر او في حال مرض فعليه القضاء في ذلك لان الله عزّ وجل يقول: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ﴾(١).

## الامام في شهر رمضان

وللامام في شهر رمضان مفردات مميزة سلكها عليه السلام هي:

### ١- الدعاء

حيث شهر رمضان موسم ضيافة الله سبحانه لعباده، فيعرض العبد على ربه وده وحبه وتوجهه اليه، وكما ان القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه مع عباده فان الدعاء هو حديث العبد مع ربه، لذلك فان الامام له في كل مفصل من هذا الشهر الكريم موقف وحديث مع الله سبحانه ودعاء خاص به.

وكان للامام عند رؤية هلال شهر رمضان حيث بدأ الموسم الرباني دعاء، وهذه مقاطع منه:

الحمد لله الذي جعل من تلك السبل شهره شهر رمضان، شهر الصيام، وشهر الإسلام، وشهر الطهور، وشهر التمحيص، وشهر القيام، الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فأبان فضيلته على سائر الشهور بما جعل له من الحرمات الموفورة والفضائل المشهورة، فحرم فيه ما احل في غيره إعظاماً، وحجر فيه المطاعم والمشارب اكراما، وجعل له وقتا بيّنا لا يجيز -جل وعز- ان يقدم قبله، ولا يقبل ان يؤخر عنه(٢).

كما ان له أدعية في اوقات السحر حيث ابواب السماء مفتوحة للداعين، وللامام دعاء طويل في سحر شهر رمضان، نقله عنه احد اصحابه وهو ابو حمزة الثمالي، ومن فقرات هذا الدعاء:

---

(١) كشف الغمة، ج٢، ص ٣١٥-٣١٧، و: الكافي، ج٤، ص ٨٤-٨٦، و: الخصال، ص ٥٣٤-٥٣٧.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة، الدعاء رقم ٤٤ (دعاؤه لدخول شهر رمضان).

يا حبيب من تحبب إليك، ويا قرة عين من لاذ بك وانقطع اليك، انت المحسن، ونحن المسيؤون، فتجاوز يا رب عن قبيح ما عندنا بجميل ما عندك.

واي جهل يا رب لايسعه جودك؟

واي زمان اطول من اناتك؟

وما قدر أعمالنا في جنب نعمك، وكيف نستكثر اعمالاً نقابل بها كرمك، بل كيف يضيق على المذنبين ما وسعهم من رحمتك، يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، فوعزتك لو نهرتني ما برحت عن بابك، ولا كففت عن تملقك[1].

كما كان للامام عليه السلام دعاء عند رؤية هلال شهر رمضان حيث تبدأ الرحلة الرمضانية لدخول الموسم العبادي، كذلك كان له دعاء في نهاية هذا الموسم، هو خاتمة الدعاء وهذه فقرات منه:

السلام عليك يا شهر الله الاكبر ويا عيد اوليائه، السلام عليك يا اكرم مصحوب من الاوقات، ويا خير شهر في الايام والساعات، السلام عليك من شهر قربت فيه الامال ونشرت فيه الاعمال، السلام عليك من قرين جل قدره موجوداً، وافجع فقده مفقوداً، ومرجو آلم فراقه، السلام عليك من أليف آنس مقبلا فسر، واوحش منقضيا فمض، السلام عليك من مجاور رقت فيه القلوب، وقلت فيه الذنوب، السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان، وصاحب سهل سبل الاحسان، السلام عليك ما اكثر عتقاء الله فيك، وما اسعد من رعى حرمتك بك، السلام عليك ما امحاك للذنوب، وسترك لانواع العيوب، السلام عليك ما كان اطولك على المجرمين واهيبك في صدور المؤمنين، السلام عليك من شهر لاتنافسه الايام، السلام عليك من شهر هو من كل امر سلام، السلام عليك غير كريه المصاحبة، ولا ذميم الملابسة، السلام عليك كما وفدت علينا بالبركات، وغسلت عنا دنس الخطيئات، السلام عليك غير مودع برما ولامتروك صيامه سأماً، السلام عليك من مطلوب قبل وقته، ومحزون عليه قبل فوته، السلام عليك وعلى ليلة القدر التي هي خير من الف شهر، السلام عليك كم من سوء صرف بك عنا، وكم من خير افيض بك علينا، السلام عليك ما كان احرصنا بالامس عليك، واشد شوقنا

(١) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، ص ٥٨٥، (دعاء السحر في شهر رمضان).

غداً اليك، السلام عليك وعلى فضلك الذي حرمناه، وعلى ماض من بركاتك سلبناه...

اللهم إنا اهل هذا الشهر الذي شرفتنا به، ووفقتنا بمنك له، حين جهل الاشقياء وقته وحُرموا لشقائهم فضله، انت ولي ما آثرتنا به من معرفته، وهديتنا له من سنته، وقد تولينا بتوفيقك صيامه وقيامه على تقصير، وأدينا فيه قليلاً من كثير.

اللهم فلك الحمد اقراراً بالاساءة واعترافاً بالاضاعة، ولك من قلوبنا عقد الندم، ومن ألسنتنا صدق الاعتذار، فاجرنا على ما اصابنا فيه من التفريط اجراً نستدرك به الفضل المرغوب فيه، ونعتاض به من انواع الذخر المحروص عليه، واوجب لنا عذرك على ما قصرنا فيه من حقك، وابلغ بأعمارنا من بين ايدينا من شهر رمضان المقبل، فاذا بلغتنا فاعنا على تناول ما انت اهله من العبادة، وادنا الى القيام بما يستحقه من الطاعة، واجر لنا من صالح العمل ما يكون دركاً لحقك في الشهرين من شهور الدهر.

اللهم وما الممنا به من شهرنا هذا من لمم او اثم، او واقعنا فيه من ذنب، واكتسبنا فيه من خطيئة على تعمد منا، او نسيان ظلمنا فيه انفسنا، او انتهكنا به حرمة من غيرنا، فصل على محمد وآله واسترنا بسترك، واعف عنا بعفوك، ولاتنصبنا لأعين الشامتين، ولاتبسط علينا فيه ألسن الطاعنين، واستعملنا بما يكون حطة وكفارة لما انكرت منا فيه برأفتك التي لاتفقد، وفضلك الذي لاينقص، اللهم صلّ على محمد وآله، واجبر مصيبتنا بشهرنا وبارك لنا في يوم عيدنا وفطرنا، واجعله من خير يوم مر علينا اجلبه لعفو وامحاه لذنب، واغفرلنا ما خفي من ذنوبنا وما علن[1].

وفي عيد الفطر -حيث الموعد لاجتماع الامة واظهار فرحتها في اتمام الاعمال والفرائض الالهية- يتوجه الى الله تعالى في الدعاء ان يتقبل الله تعالى تلك الاعمال، ويدخله تعالى ضمن قوائم السعداء الذين تشبعوا من ضيافة الله سبحانه وممن غفر له ذنوبه وممن يقال غفرلك ذنبك فاستأنف العمل:

خاب الوافدون على غيرك، وخسر المتعرضون الا لك، وضاع الملمون الا بك، واجدب المنتجعون الا من انتجع فضلك، بابك مفتوح للراغبين، وجودك مباح للسائلين، واغاثتك قريبة من المستغيثين، لايخيب منك الآملون، ولاييأس من عطائك

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، الدعاء رقم ٤٥ (دعاؤه لوداع شهر رمضان).

المتعرضون، ولايشقى بنقمتك المستغفرون، رزقك مبسوط لمن عصاك، وحلمك معترض لمن ناواك، عادتك الاحسان الى المسيئين، وسنتك الابقاء على المعتدين، حتى لقد غرّتهم اناتك عن الرجوع، وصدهم امهالك عن النزوع، وانما تأنيت بهم ليفيئوا الى امرك، وامهلتهم ثقة بدوام ملكك، فمن كان من اهل السعادة ختمت له بها، ومن كان من اهل الشقاوة خذلته لها.

وقد قصر بي السكوت عن تحميدك، وفههني (اعجزني) الامساك عن تمجيدك، وقصاراي الاقرار بالحسور (عدم القدرة) لا رغبةً يا الهي، بل عجزاً، فها انا ذا أؤمك بالوفادة واسألك حسن الرفادة فصل على محمد واله واسمع نجواي، واستجب دعائي، ولاتختم يومي بخيبتي، ولا تجبهني بالرد في مسألتي، وأكرم من عندك منصرفي، واليك منقلبي، وانك غير ضائق بما تريد، ولا عاجز عما تسأل، وانت على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم[١].

### ٢- اطعام الطعام

كان الامام عليه السلام مثلا للالتزام بما شرع الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله حيث دعا الى إطعام الطعام في هذا الشهر الكريم بقوله: اتقوا النار ولو بشقة تمرة[٢].

فقد عُرِف عن الامام عليه السلام انفاقه وتقديمه للفقراء بالسر والعلن انواع الخدمات والغذاء، ومع ذلك فان الامام عليه السلام كان يقدم الطعام للناس بعد ان يبذل جهداً في طهي الطعام.

فلقد كان يأمر بذبح شاة ثم يطهيها واذا ما نضجت يقترب من القدور، ويأمر بالقصاع ويغرف الى عوائل الفقراء والأيتام والمعوزين حتى تتم القدور عن آخرها، ويفطر هو على الخبز والتمر. كان علي بن الحسين عليه السلام اذا كان اليوم الذي يصوم فيه يأمر بشاة فتذبح وتقطع أعضاؤه وتطبخ، واذا كان عند المساء أكبّ على القدور حتى يجد ريح المرق وهو صائم، ثم يقول: هاتوا القصاع، إغرفوا لآل فلان، واغرفوا لآل فلان،

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، الدعاء رقم ٤٦ (دعاؤه لعيد الفطر والجمعة).

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص١٥٤.

حتى يأتي على القدور، ثم يؤتى بخبز وتمر فيكون ذلك عشاؤه[١].

ولقد كان من نهج الامام عليه السلام أن هذه سيرته في ايام صومه في تقديم الطعام للناس واسداء هذه الخدمة قربة إلى الله تعالى.

### ٣- عتق العبيد

من المؤشرات الواضحة في سلوك الامام زين العابدين في هذا الشهر الكريم انه كان يعتق العبيد قربة الى الله تعالى ولكن الطريقة التي كان يمارسها في العتق طريقة ملؤها الروحانية المشبعة بالتذكر بيوم القيامة حتى لترتسم في ذهنية القارئ انه مهرجان من ايام العتق الالهي لعباده، وطريقة عفوه.

وهذه الصورة قد رسمها الرواة عن عتق الامام للعبيد ومنهجه في العتق:

كان علي بن الحسين اذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبدا ولا امة، وكان اذا أذنب العبد يكتب عنده: أذنب فلان، أذنبت فلانة يوم كذا وكذا، ولم يعاقبه فيجتمع عليهم الأدب، حتى اذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله ثم اظهر الكتاب ثم قال: يا فلان فعلت كذا وكذا ولم أؤدبك أتذكر ذلك؟ فيقول: بلى يا ابن رسول الله، حتى يأتي على آخرهم، وينظرهم جميعا ثم يقوم وسطهم ويقول لهم:

إرفعوا اصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين ان ربك قد احصى عليك ما عملت كما احصيت علينا ما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق لايغادر صغيرة ولاكبيرة مما اتيت الا احصاها، وتجد كلما عملت لديه حاضرا كما وجدنا كلما عملنا لديك حاضرا، فاعف واصفح كما ترجو من المليك العفو، وكما تحب ان يعفو المليك عنك، فاعف عنا تجده عفوا وبك رحيما، ولك غفورا ولايظلم ربك احدا، كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا لايغادر صغيرة ولاكبيرة مما اتيناها الا احصاها فاذكر يا علي بن الحسين ذل مقامك بين يدي ربك الحكم العدل، الذي لايظلم مثقال حبة من خردل ياتي بها يوم القيامة، وكفى بالله حسيبا وشهيدا، فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح فانه يقول: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ) وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم

---

(١) من لايحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج٢، ص١٣٥.

وهم ينادون معه وهو واقف بينهم يبكي وينوح ويقول:

رب انك امرتنا ان نعفو عمن ظلمنا وقد عفونا عمن ظلمنا كما امرت فاعف عنا، فانك اولى بذلك منا ومن المأمورين، وامرتنا ان لانرد سائلا عن ابوابنا، وقد اتيناك سؤّالا ومساكين، وقد انخنا بفنائك وببابك نطلب نائلك ومعروفك وعطائك، فامنن بذلك علينا ولاتخيبنا فانك اولى بذلك منا ومن المأمورين. الهي كرمت فأكرمني إذ كنت من سؤّالك، وجدت بالمعروف فاخلطني باهل نوالك يا كريم.

ثم يقبل عليهم فيقول: قد عفوت عنكم فهل عفوتم عني ومما كان مني اليكم من سوء ملكة؟ فاني مليك سوء لئيم ظالم مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضل؟

فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا وما اسأت. فيقول لهم قولوا:

اللهم اعف عن علي بن الحسين كما عفا عنا، فاعتقة من النار، كما اعتق رقابنا من الرق. فيقولون ذلك. فيقول:

اللهم آمين رب العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم واعتقت رقابكم رجاء للعفو عني وعتق رقبتي، فيعتقهم، فاذا كان يوم الفطر اجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في ايدي الناس. وما من سنة الا وكان يعتق فيها في اخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأسا الى اقل او اكثر..[(١)].

هذه ثلاث مفردات كانت واضحة في سلوك الامام عليه السلام في شهر رمضان، وهذا السلوك لم ينقل عن احد من صلحاء الامة في زمانه عليه السلام، على الرغم من كثرة الحديث عنهم في البر والاحسان والسلوك المنقطع الى الله سبحانه.

انه علي بن الحسين عليه السلام من شجرة الايمان ومن اهل بيت النبوة وابن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وبالتالي انه علي بن الحسين زين العابدين.

---

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص١٠٣-١٠٥.

# [٨]

## الحـــج

كان الامام زين العابدين عليه السلام يمارس الحج كلون من العبادة وفرصة للقاء الله تعالى والدعاء والمناجاة، وكان امر الحج الجماهيري والعلمائي كما اسلفنا في معرض مدح العلماء، وكان العلماء لايخرجون للحج حتى يخرج الامام عليه السلام.

وكان الامام يثقف الامة حول الحج داعيا اياها الى اقامة هذه الفريضة الالهية المقدسة، فقد نقل عنه عليه السلام قوله:

حجوا واعتمروا تصح اجسامكم وتتسع ارزاقكم وينصلح ايمانكم وتكفوا ومؤونة عيالكم[١].

الحاج مغفور له، وموجوب له الجنة، ومستأنف له العمل، ومحفوظ في اهله وماله[٢].

الساعي بين الصفا والمروة تشفع له الملائكة[٣].

استبشروا بالحاج اذا قدموا فصافحوهم، وعظموهم تشاركوهم فان ذلك يجب عليكم.[٤]

وتدبر سريع في هذه المقاطع المتكاملة في ربطها المنافع الدنيوية للحج من الصحة والرزق ودفع الفقر والحاجة الى الناس ولباس نعمة الامن والامان من غِيَر الزمان والسلطان يكشف لنا عن مدى هذا التكامل.

(١) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص٤٧.
(٢) الكافي، ج٤، ص٢٥٢.
(٣) من لايحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٢٠٨.
(٤) المصدر، ج٢، ص٢٢٨.

مضافا الى عطاء الله تعالى للحاج من الاجر والثواب بعد غفران الذنوب، وهو يمارس حجه وينتقل من موقع الى آخر بين الصفا والمروة والطواف.

وبالتالي لابد للامة من اعطاء الاهتمام لهذه الشريحة من المجتمع والتي ادت الحج باحترامها والاحتفاء بها لمشاركتها الثواب.

## الحج متنكرا

وقد حج الامام اكثر من خمس وعشرين حجة، وانتهج في الحج اسلوب السير على الاقدام ماشيا واخرى راكبا على ناقته، فلكل من هاتين الطريقتين امتيازاتها وظروفها. كما ينقل عن الامام عليه السلام انه كان يسير مع القوافل متنكرا ويقدم الخدمة للحجاج بدافعين:

الاول: حتى لا تُعرف شخصيته فيقوم الناس بتقديم الخدمة له والتعامل معه باعتباره ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني: طلباً للاجر والثواب لما في ذلك عند الله من المنزلة الرفيعة والمقام الشامخ للذي يقوم بهذا الدور.

والملاحظ للوقائع التي ينقلها المؤرخون حول حج الامام ماشياً او متنكراً مع القوافل انها كانت في بداية شبابه وليس في وسط او آخر عمره.

وهذا يعني ان ذلك كان اما في حياة ابيه او الفترة التي كانت بعد استشهاد ابيه الامام الحسين عليه السلام ولمدة قصيرة وبعدها كان عليه السلام يحج على ناقته المعروفة، وقد كانت السيدة سكينة اخته تعدّ له الطعام وهو يقود قافلة العلماء والفقهاء الى مكة المكرمة.

كما ان الذي يتدبر في نقل الرواة حول سلوك الامام عليه السلام مع ناقته، انه حج عليها ٢٥ عاما ولم يضربها، اي ان فترة ٢٥ عاماً تساعد على الفهم ان الامام عليه السلام كان يتحرك ماشياً الى بيت الله الحرام في الفترة الاولى من حياته، اي اول شبابه لان عمر الامام عليه السلام حين وفاته ٥٨ عاما وحين استشهاد ابيه كان عمره في حدود ٢١-٢٥ عاماً وينقص منها الـ ٢٥ حجة التي حج فيها الامام عليه السلام على ناقته فيكون ٢٧ او ٢٥ اي في حدود ١٠ الى ٨ سنوات هي الحج ماشياً والتي تكون في بداية شبابه.

## تأثير الحج على الامام

ومن خلال قراءة لتاريخ الفترة التي عاشها الامام عليه السلام والتي كانت ساخنة في الاحداث السياسية والفكرية كما مر في الجزء الاول من الكتاب وخاصة ان قمة الاحداث كانت في المدينة المنورة ومكة المكرمة، نجد ان العامل الامني كان له دخل في اختيار الامام عليه السلام لطريقة سفره لحج بيت الله الحرام.

وقد نقل المؤرخون قصة حول محاولة الاعتداء على حياة الامام عليه السلام وهو في سفره للحج[١].

وقد قدّر بعضهم المسافة الزمنية التي سار فيها الامام عليه السلام بحدود ٢٠ يوماً: «حج علي بن الحسين عليه السلام ماشيا فسار عشرين يوما من المدينة الى مكة»[٢].

وقد نقل عن الامام عليه السلام كما هو الحال عند استعداده للصلاة من اصفرار اللون والرعشة: حج علي بن الحسين عليه السلام فلما أحرم، إصفرَّ وانتفض ولم يستطع أن يلبّي.

فقيل له: ألا تلبّي؟

قال: أخشى أن أقول لبيك، فيقول لي: لا لبيك.

فلما لبّى غشي عليه، وسقط من راحلته، فلم يزل بعض ذلك به حتى قضى حجه[٣].

وكان الامام عليه السلام يمارس الوان العبادة في الحج من الدعاء والمناجاة في المواقع المختلفة والمشاهد الشريفة عند الحَجَر وفي حِجْر اسماعيل وفي الطواف، وكانت ادعيته من الادعية المأثورة التي يدعى بها في هذه المواقع، وفي حج الامام عليه السلام وقع الحوار بين الفرزدق وهشام بن عبد الملك حيث انشد الفرزدق قصيدته المعروفة في مدح الامام واهل البيت عليهم السلام.

وقد نُقل عن الامام زين العابدين عليه السلام بعض المفارقات في الحج وهو يؤدي اعماله، منها:

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٢٢٦.
(٢) الارشاد، للشيخ المفيد، ص٢٧٣.
(٣) سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٩٢.

١- نظر الامام زين العابدين عليه السلام إلى قوم يسألون الناس في يوم عرفة وعلى أرض عرفات، والى يومنا هذا تشاهد هذه الحالة من بعض الشعوب، فانكر الامام عليهم هذا السلوك حيث الكل قادم الى عرفات ليطلب من الله سبحانه فلم الطلب من الانسان وفي هذا المكان المقدس واليوم المقدس؟ فقال لهم الامام عليه السلام:

ويحكم اغير الله تسألون في مثل هذا اليوم؟ إنه ليرجى في هذا اليوم لما في بطون الحبالى أن يكون سعيداً[1].

٢- في أثناء الطواف حول الكعبة سمع الامام رجلا يسأل الله سبحانه الصبر، فالتفت الامام اليه قائلا: سألت البلاء، ولكن قل:

اللهم إني اسألك العافية، والشكر على العافية[2].

وهي مفارقة دقيقة في الفهم للطلب من الله سبحانه في هذا المكان المقدس، وذلك ان الصبر يكون للامتحان والابتلاء وهو بذاته طلب جيد ومحبب ولكن الامام يقول له تعال واطلب من الله سبحانه في هذا المكان تجنب الابتلاء والاختبار واسأله العافية.

٣- عُرِف عن الامام عليه السلام انه كان يشتري السودان وما به اليهم من حاجة، فيأتي بهم الى عرفات فيسد بهم الفُرَج والخلال، فاذا افاض من عرفات امر بعتق رقابهم وجوائز لهم من المال[3].

وهذه حالة كانت متداولة عند اهل البيت حيث ياخذون هؤلاء ليقدموا لهم الخدمات من نقل ونصب خيام وجلب للماء وطهي الطعام.

ثم بعد ذلك يقدم الامام على اقدس عمل إنساني وهو عتق رقابهم ولإتمام الاحساس بالإنسانية فانه عليه السلام يدفع لهم المال ليدبروا حياتهم ولا يعيشوا الضياع.

٤- وكان الامام عليه السلام يدعو في يوم عرفة بالدعاء المعروف باسمه، وهو من الادعية المأثورة التي يدعو بها المؤمنون الى يومنا هذا وقد نقلنا بعض فقراته في فصل دعاء الامام.

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص٦٢.
(٢) الدعوات، قطب الدين الراوندي، ص١١٤.
(٣) بحار الانوار، ج٤٦، ص١٠٥.

# [٩]

# قراءة القرآن

من المفردات العبادية التي كان يمارسها الامام عليه السلام هي قراءة القرآن. ومن خلال قراءة سيرة الامام عليه السلام يظهر انه كان يزاول قراءة كتاب الله سبحانه على ثلاثة مستويات:

**اولا**: انه كان يقرأ القرآن القراءة العادية حيث ورد عنه انه عليه السلام كان يختم القرآن في شهر رمضان الكريم اربعين مرة، وهذا العدد الكمي كان يزاوله الامام بشكل خاص في الشهر الكريم حيث ربيع القرآن وقراءة الاية فيه تعادل ختمة قرآن.

وللامام عليه السلام دعاء حول القرآن الكريم يوضح فيه مكانة القرآن ويدعو الامة الى ممارسة قراءة القرآن والاستفادة منه[١].

**ثانيا**: ورد عن الامام انه كان يقرأ القرآن ويتوقف عند بعض آياته ويتأوه من ذكر النار ويتعوذ منها وعندما يمر بآية فيها ذكر الجنة فكان يسأل الله تعالى ذلك، ولتميز قراءة القران في فكر الامام ومنزلته في نفسه كان يقول: آيات القرآن خزائن، فكلما فتحت خزانة ينبغي لك ان تنظر ما فيها[٢].

وعن الزهري: قال علي بن الحسين عليه السلام: لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد ان يكون القرآن معي. وكان عليه السلام اذا قرأ (مالك يوم الدين) يكررها

(١) الصحيفة السجادية، الدعاء رقم ٤٤، دعاؤه عند ختم القرآن.
(٢) الكافي، ج٢، ص٦٠٩.

حتى كاد ان يموت[١].

وهي القراءة التي فيها تدبر للقرآن وتأمل في وقفة عند الآيات الكريمة حيث يستدعي القرآن بعظمته هذه الوقفات من التأمل والنظر، وزين العابدين هو القارئ.

**ثالثا**: كان يواظب على قراءة القرآن بصوت حسن حيث يرتله ترتيلا وبصوت عال يسمعه المارة فيتفاعلون وينسجمون مع الصوت الحسن الذي كان يمتلكه الامام عليه السلام.

عن ابي عبد الله عليه السلام: كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما أحسن الناس صوتا بالقرآن، وكان السقّاؤون يمرّون فيقفون ببابه يسمعون قراءته[٢].

ان علي بن الحسين عليه السلام كان يقرأ القرآن، فربما مر به المار فصعق من حسن صوته.[٣]

وهذا التقسيم من الامام عليه السلام تقسيم فني، ويمكن ان يكون الامام عليه السلام قد مارس الانواع الثلاثة في قراءة واحدة، ويمكن ان يكون وحسب الفهم العادي ان لكل مزاولة طريقة ومنهجية خاصة يتحكم فيها الوقت والجهد.

وان هذا اللون من التعامل مع القرآن الكريم كان يمارسه الائمة جميعا عليهم السلام كما هو واضح من خلال تتبع سيرتهم عليهم السلام.

وهذا التركيز على قراءة القرآن لانه في واقعه يشكل المصدر الاساسي للتشريع الإسلامي وكذلك الثقافة الإسلامية، حيث هو منطلق كل رؤية ومصدر كل دعوة.

والذي يفتخر به من سلوك ائمة اهل البيت عليهم السلام انهم مع ما هم عليه من الموقع الرباني والتقدم في السن انهم كانوا يرفعون اصواتهم في قراءة القرآن حتى يتجاوز صوتهم جدران مساكنهم ليهيمن على اسماع الماره فيتأثروا ويتفاعلوا مع صوت الامام عليه السلام.

واليوم نحن بأمس الحاجة لان نمارس هذه المنهجية في التعامل مع القرآن الكريم، حيث ان الاداء الفني له الاثر البليغ في التأثير على نفوس الناس.

---

(١) المصدر، ص٦٠٢.

(٢) المصدر، ص٦١٦.

(٣) الاحتجاج، ص٢١٥.

## الفصل السابع

# الحياة المعنوية للامام السجاد

١ - زهده وورعه

٢ - إستجابة الدعاء

٣ - أسفار الامام زين العابدين عليه السلام

٤ - ثفنات الامام عليه السلام

٥ - قراءة في أدعية الامام زين العابدين

# [١]

# زهده وورعه

من السمات المحببة للنفوس الطاهرة هو الزهد والورع، كما انه من المؤثرات على صلاح الانسان وحسن سيرته، ولكن الصعوبة تكمن في تحديد عمق هذه الصفات في نفس الانسان حيث الادعاء والتظاهر بهذه الصفات كثير، ويرجع ذلك الى صعوبة الفهم لهذه الاصطلاحات وتطبيقاتها على أرض الواقع، والذي نراه في سيرة أئمتنا عليهم السلام من سلوك حياتي هو الذي يشكل لنا المادة الشرعية لمفهوم الزهد والورع والتقوى.

ومن خلال هذه المطالعة نجد:

١ - أن الامام زين العابدين عليه السلام ليس فقيراً لا يملك قوت يومه او لا يملك ما يستر جسمه وعياله، أو لا يقدر ان يسير حياته.

٢- لم يكن الامام عليه السلام متعلقاً بشيء من المفردات الحياتية: (الغذاء، النساء، المال) إنما كان يتعامل معها كمفردات خدمية يمكن لها أن تؤدي دورها عنده أو عند غيره ولذلك عرف عنه عليه السلام العطاء.

٣- تمتع الامام عليه السلام بمتع الحياه بأشكالها المتعددة من النساء والإماء والغذاء والشراب والملبس الفاخر بما يليق به وبموقعه الاجتماعي ودوره كإمام في الأمة، وكان يعطي كل حركة حقها من الأداء حتى لايكون ذكره خاملا في الأمة فكان ينفق ويهب ويتحمل المسؤولية بكل اعتزاز.

نعم كما بينا فانه لم يكن متعلقاً بهذه المفردات بحيث لايقدر على فراقها او يتأثر على فراقها وكأنها أوجدت فراغاً في نفسه.

بل انه كان هو صاحب الخيار والإرادة في التصرف بكل هذه الأدوات ولم تكن لتأسره وهو مصداق الحكمة المعروفة: «الزهد أن تملك الشيء لا أن يملكك»[١].

## مفردات الزهد

وفي حياة الامام زين العابدين عليه السلام مجموعة من المفردات التي تعطي ترجمة لهذه الواقعية وفي كل تضاريس حياة الامام عليه السلام.

١ - فنجد أن الامام عليه السلام يقاسم الله سبحانه وتعالى ما يملك من متاع الدنيا، ويقاسم الله يعني يخرج تصف ما يملك من إمكانيات مادية من مال ومتاع وينفقه الى الفقراء.

قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: أن أباه علي بن الحسين قاسم الله ماله مرتين[٢].

٢- وعندما يحس الامام عليه السلام أن إحدى مفردات ماله وملك يمينه تعز عليه، ويؤشر الآخرون عليها أنها تملك قيمة يتطلع الناس اليها، وهي محل إظهار يد في سبيل الله، فلا يبقيها عنده حتى لايستشعر البعض أنها تملك قراره.

كان عند الامام عليه السلام عبد ذات مواهب عملية قيمة استهوت عبد الله بن جعفر الطيار فأراد أن يشتريه من الامام السجاد عليه السلام فدفع للامام بالعبد عشرة آلاف درهم فرفض الامام بيعه وبدل ذلك اعتقه في سبيل الله[٣].

## رِبْح الدنيا أم رِبْح الاخرة؟

٣- وقد عبّر الامام عليه السلام عن حقيقة ذات مغزى نتعلم منها منهجية التعامل الحياتي تجاه الاحداث وكيف أن ميزان الآخرة يجب أن يكون فوق أي ميزان آخر وان ربح الآخرة هو خير من ربح الدنيا حيث يقول الامام إن تجربة تفضيل الدنيا كان يأتي بالجواب السلبي سريعاً ولذلك قال عليه السلام: ما عُرِض لي قط أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة فآثرت الدنيا الا رأيت ما اكره قبل أن أمسي[٤].

(١) سير أعلام النبلاء ج٥، ص٢٢٦
(٢) بحار الانوار، ج٤٦، ص٩٠.
(٣) سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٢٣٤.
(٤) بحار الانوار، ج٤٦، ص٩٢.

## الزهد والاكل

٤- وفي مفردة من سلوكه عليه السلام في يوم صومه حيث يتطلع الصائم الى لذة أكلة يطعمها حيث الميل النفسي للطعام اللذيذ، فكان الامام عليه السلام يملأ هذا الإحساس عند الناس الذين يعرف حاجتهم الى هذا اللون من الأكل، واليك ما نُقِل عنه:

كان علي بن الحسين اذا كان اليوم الذي يصوم فيه يأمر بشاة فتذبح وتقطع أعضاؤها وتطبخ واذا كان عند المساء أكب على القدور حتى يجد ريح المرق وهو صائم، ثم يقول: هاتوا القصاع اغرفوا لآل فلان، واغرفوا لآل فلان، حتى يأتي على آخر القدور، ثم يؤتى بخبز وتمر فيكون ذلك عشاؤه[١].

٥- في قصة أخرى نجده عليه السلام تقدم اليه الفاكهة التي يفضلها على سواها وتتلذذ عيناه بمنظرها، وقبل الاقدام على الأكل ياتي السائل، فيقدم طلب السائل الفقير الذي يعرف كرم آل البيت عليهم السلام الذين لايردون سائلا أو يؤخروه على لذة نفس، فيقدمون الفقير على أنفسهم وتكررت معه ثلاثة مرات حتى أصابها في الرابعة[٢].

فلا المرق وهو صائم أسره، ولا العنب المفضل عنده ملكه على الفقراء، ولقطة أخرى من صور زهده عليه السلام في رحلته نحو بيت الله الحرام حيث المسافة الطويلة وهم على الإبل ومعهم من يقدمون لهم الحوائج من خدم، ترسل اليه أخته سكينة بنت الامام الحسين عليه السلام ألف درهم- أو سفرة من المواد الغذائية قيمتها ألف درهم- فما كان منه الا أن وزعها على المساكين. ولم يفكر انه في سفر وبحاجة الى الأكل أو المال فيحتفظ بها حتى إكمال رحلة الحج والفائض يوزعه على الفقراء فلم يملك قلبه هذا الشعور البائس حيث كان مشهد الزهد أقوى تاثيرا من مشهد الحرص[٣].

## الزهد والملبس

٦- وصورة أخرى عن زهده يرسمها عند ارتداء الامام عليه السلام مطرف خز، وهو لباس ثمين أثار إعجاب سائل فقير لايملك شيئا، ونفسية مرتدية اكبر منه وغير متعلقة به حتى تتشبث

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص٧٢.
(٢) المصدر.
(٣) الفصول المهمة، لابن الصباغ المالكي، ص١٨٩.

بالمطرف، فاخذه الشخص الراغب فيه، فلم يلتفت الامام اليه ومضى وتركه بيد السائل الفقير[١].

وفي جانب آخر من المفردات الحياتية للامام عليه السلام انه كان يمارس سلوكا يعطي انطباعا للجمهور انه من علية القوم في ملبسه وأكله وحركته حتى لايطمع فيه ضعيف النفس فيمارس معه معاملة سيئة على الرغم من أن هذه المفردات لاتغير من طبيعة الامام شيئا لأنه من سلوك الطبقة الرفيعة، وعنده أن الامور كلها سواء لانها مفردات حياتية لا أكثر فهي لاتفرق عنده سواءً لبس الثمين او غيره، لانها عنده ليست أكثر من تمشية الامور وهذه نماذج من تلك الومضات من حياته.

٧- ضمن الجو الصاخب في طغيان المال عند ولاية عبد الملك بن مروان والوليد وما ورد على بني امية من مفردات الحياة الدنيا بما فيها المال والجواري والتباهي بها، كان الامام زين العابدين عليه السلام يشتري الراحلة من اجود انواعها واغلاها ثمنا حتى يعز بها نفسه أمام الامة لايريد بها نفسه، لكي لايعدوه ذليلا، لا لكي لا يحسبوه فقيراً.

«كان علي بن الحسين ليبتاع الراحلة بمائة دينار يكرم بها نفسه»[٢].

## في الطريق الى مكة

٨- وفي رحلته الى مكة حيث كانت الرموز الاجتماعية لها قوافلها الخاصة بها من خدم وعبيد كل لوحده كان الامام عليه السلام كذلك له شأنه الخاص به، فبالاضافة الى ما تقدم من انه انفق ما ارسلت اليه اخته السيدة سكينة من مال او غذاء على الفقراء فانه كان يتزود بالغذاء الجيد الذي يملأ العيون ويعزز النفوس.

«كان علي بن الحسين عليه السلام اذا سافر الى مكة للحج والعمرة تزود من طيب الزاد من اللوز والسكر والسويق والمحمّص والمحلّى»[٣].

## إمتلاك الجواري

٩- وهكذا نجد سلوكه في اقتنائه الجواري وإعتاقهن حيث يدل هذا على ان الامام

(١) حلية الاولياء، ج٣، ص١٣٨.
(٢) بحار الانوار، ج٤٦، ص٧٢.
(٣) بحار الانوار، ج٤٦، ص٧١.

كان يتمتع بوضع مالي جيد يمكنه أن يؤدي هذا اللون من العطاء، وهناك الكثير من هذه المفردات والتي لايؤديها الا رموز المجتمع والمتمكنون منه، وبعيداً عن اسباب هذا السلوك او دوافعه او العوامل التي اهلته لهذه القدرة فانه لايختلف اثنان بان ما عند الامام يختلف عما هو عند الاخرين من دوافع في الامتلاك والعطاء[١].

## التطيّب في الصلاة

١٠- وهكذا نجده في صلاته مع كل الذي عُرِف عنه من خشية الله وخوفه ورعشته وطول سجوده وبكائه كان يتطيب ويتعطر قبل ان يدخل الصلاة (كانت لعلي بن الحسين قارورة مسك في مسجده فاذا دخل الى الصلاة اخذ منه وتمسح به)[٢].

١١- وكان عليه السلام يلبس اللباس الغالي الثمن الذي يدل على رمزيته وكان ذلك في اتجاهين:

**الاول**: ما يلبسه خواص العلماء من الطيلسان.

**الثاني**: المطرف الخز والقلنسوة الخز.

«كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما يلبس الجبة الخز بخمسين دينارا، والمطرف الخز بخمسين ديناراً»[٣].

«كان علي بن الحسين عليه السلام يلبس في الشتاء الجبة الخز والمطرف الخز والقلنسوة الخز فيشتوا فيه ويبيع المطرف في الصيف ويتصدق بثمنه ثم يقول: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ**﴾[٤]»[٥].

## يملك ويزهد

١٢- وفي هذا السياق كانت له عليه السلام قافلة خاصة به تأتيه بالفواكه من الشام، وقد صادف ان وصلت هذا الحمولة من الفواكه الى الامام عليه السلام، في الوقت الذي

---

(١) راجع فصل الامام والعبيد.
(٢) الكافي، ج٦، ص٥١٥.
(٣) المصدر، ص٤٤٩.
(٤) الاعراف، ٣٢.
(٥) الكافي، ج٣، ص٤٥٠.

وصلت رؤوس ابن سعد وعبيد الله بن زياد الى الامام حيث ارسلها المختار بن ابي عبيدة الثقفي فما كان من الامام الا وقد امر بتوزيع هذه الحمولة من الفواكه على الناس فرحا بقتل هؤلاء الظلمة.

وهذا يدل على ان الامام عليه السلام يملك ويزهد.

ومن كل ذلك نرى ان الزهد ليس له علاقة بالفقر والغنى وانما تتشبع نفسية الانسان به من منطلق الدين، حيث انه يملك القدرة على ان يتصرف بالاشياء صغيرة كانت ام كبيرة، نفيسة كانت ام متواضعة ولايكون اسيراً لها(١).

### الزهد بين الفقر والغنى

واما مفردات الغنى والفقر، فانها ليست بذي دخل في ان هذا الانسان زاهد لانه لا يملك شيئاً وذاك لا يملك الزهد لانه ثري، وتحبط به مفردات الحياة.

وقد نقل عن الامام الحسن المجتبى عليه السلام مفردة تفسر التوجه الإسلامي، اذ سار الامام الحسن عليه السلام في بعض طرق يثرب وقد لبس حلة فاخرة وركب بغلة فارهة ووجهه الشريف يشرق حسناً وجمالاً، وقد حفت به خدمه وحاشيته، فرآه بعض اليهود فبادر اليه وقال: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ان جدك يقول: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) فانت المؤمن وانا الكافر، وما الدنيا الا جنة لك تنعم فيها وتستلذ بها وانت مؤمن، وما اراها الا سجنا قد اهلكني مرها واجهدني فقرها؟

فاجابه الامام الحسن عليه السلام: لونظرت الى ما أعدّ الله لي وللمؤمنين في الدار الاخرة مما لاعين رأت، ولا اذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر، لعلمت اني قبل انتقالي اليها وانا في هذه الحالة في سجن. ولو نظرت الى ما أعدّ الله لك ولكل كافر في الدار الاخرة من سعير نار جهنم، ونكال العذاب الاليم المقيم، لرأيت قبل مصيرك اليه انك في جنة واسعة ونعمة جامعة. ومضى الامام(٢).

---

(١) راجع كتاب التقوى اولا للمؤلف.

(٢) حياة الامام الحسن عليه السلام، ج١، ص٣٣٢، للقرشي.

# [٢]

# استجابة الدعاء

نعتقد ان الامور بيد الله سبحانه ولايقدر الانسان على ان يحرك شيئا بدون اذن الله سبحانه، وعندما تحدث بعض الاعمال من خلال طلب نبي او امام او عالم وعبد صالح فانها لاتكون الا باذن الله سبحانه حيث استجاب دعاء عبده وقبل توسلاته.

والحديث عن استجابة دعاء الامام من قبل الله سبحانه في المواقف الحرجة والصعبة تدل على مدى قرب الامام من الله سبحانه دون غيره.

وقد جرت عدة مفردات من هذه المؤشرات حول قبول الله سبحانه لدعاء الامام عليه السلام على رؤوس الاشهاد بحيث ثبت انه مؤشر يدل على تقدم الامام على غيره من علماء وصلحاء زمانه، وكانت المفردات محل اعجاب واعتزاز من شاهدها واعتبرها حركة اعجاز منحها الله سبحانه الى عبده الصالح الامام زين العابدين عليه السلام، واخذت هذه الحركة الاعجازية مساحة الامة باكملها من الحاكم عبد الملك بن مروان الى العلماء الذين كانوا في عصره الى الوالي واتباعه وشيعته، والى عامة الناس وكل مفردة من هذه المفردات كانت تؤدي دورها في انجاز مهمتها وتثبيت قرب الامام من الله سبحانه في موقع متقدم على غيره، حيث هو خليفة الله سبحانه.

وهذه مفردات من استجابة الله سبحانه لدعاء الامام عليه السلام:

## الامام واللص

١ - خرج علي بن الحسين عليه السلام الى مكة حاجاً حتى انتهى الى واد بين مكة والمدينة

فاذا هو برجل يقطع الطريق، فقال لعلي: انزل.

قال الامام: تريد ماذا؟

قال اللص: اريد ان اقتلك وآخذ ما معك.

قال الامام: فانا اقاسمك ما معي واحلّك.

قال اللص: لا

قال الامام: فأين ربك؟

قال اللص: نائم. فاذا اسدان مقبلان بين يديه فأخذ هذا برأسه وهذا برجليه.

قال الامام للص: زعمت ان ربك عنك نائم(١).

**الامام والإستسقاء**

٢- عن ثابت البناني قال: كنت حاجاً وجماعة من عُبّاد البصرة مثل أيوب السجستاني وصالح المروي وعتبة الغلام وحبيب الفارسي ومالك بن دينار.

فلما دخلنا مكة رأينا الماء ضيقاً، وقد اشتد بالناس العطش لقلة الغيث، ففزع الينا اهل مكة والحجاج يسألونا ان نستسقي لهم، فأتينا الكعبة، وطفنا بها، ثم سالنا الله خاضعين متضرعين بها فَمُنِعنا، واذا بفتى قد أقبل، فطاف بالكعبة اشواطاً ثم اقبل علينا.

فقال: يا مالك بن دينار، ويا ثابت البناني، ويا ايوب السجستاني، ويا صالح المروي، ويا عتبة الغلام، ويا حبيب الفارسي، ويا سعد، ويا عمر، ويا صالح الاعمى، ويا رابعة، ويا سعدانة، ويا جعفر بن سليمان.

فقلنا: لبيك وسعديك يا فتى.

فقال: اما فيكم احد يحبه الرحمان؟

فقلنا: يا فتى علينا الدعاء وعليه الاجابة.

فقال: ابعدوا من الكعبة فلو كان فيكم احد يحبه الرحمان لأجابه.

---

(١) امالي الشيخ الطوسي، ص٦٠٥.

ثم أتى الكعبة فخر ساجدا فسمعته يقول في سجوده: سيدي بحبك لي إلاّ سقيتهم الغيث. قال: فما استتم الكلام حتى اتاهم الغيث كأنّه القرب.

فقلت: يا فتى من اين علمت انه يحبك؟

قال: لو لم يحبني لم يستزرني، فلما استزارني علمت انه يحبني، فسألته بحبه لي فاجابني، ثم ولّى عنا وانشأ يقول:

من عرف الرب فلم تغنه / معرفة الرب فذاك الشقي
ما ضر في الطاعة ما ناله / في طاعة الله وما ذا لقي
ما يصنع العبد بغير التُقى / والعز كل العز للمتقي

فقلت: يا اهل مكة من هذا الفتى؟

قالوا: علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام [(١)].

## حلّ اليدين الملتصقتين

٣- قال الامام الصادق عليه السلام: التصقت يد رجل وامراة على الحجر في الطواف فجهد كل واحد ان ينزع يده فلم يقدرا.

فقال الناس: اقطعوهما؟

فبينما هما كذلك اذ دخل الامام علي بن الحسين عليه السلام فافرجوا له فلما عرف امرهما، تقدم عليه السلام ووضع يده عليهما فانحلا[(٢)].

والذي يرسم المنظر في ذهنه يجد صعوبة في تصور هكذا حالة، حيث هتك حرمة البيت الحرام والحجر الاسود بالذات.

وكذلك البنت تعرف هكذا منظر ومكان وهكذا الشاب. ان دور الامام كان المنقذ لهم، ومن المؤكد ان الامام وضع يده وتحركت شفتاه بكلمات فاستجاب سبحانه له.

(١) الاحتجاج، ج ٢، ص٤٧.
(٢) وفيات الائمة، الشيخ علي سليمان البلادي، ص١٥٧.

## دعاؤه على حرملة

٤- كان وجود قتلة الامام الحسين أحياء يتحركون والسلطة والحكم بيد المختار بن ابي عبيدة الثقفي من المفارقات التي تؤلم كل محب لاهل البيت خاصة وان شعار المختار هو الثأر من قتلة الامام الحسين عليه السلام.

فتوجه الامام زين العابدين عليه السلام بالدعاء ان يريه سبحانه قتلة ابيه وبالذات رموزهم وهكذا كان.

عن المنهال بن عمرو قال: حججت فدخلت على علي بن الحسين عليه السلام فقال لي: ايا منهال ما فعل حرملة بن كاهل الاسدي؟

قلت: تركته حيا بالكوفة.

قال:فرفع يديه ثم قال: اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ النار.

قال: فانصرفت الى الكوفة وقد خرج بها المختار بن ابي عبيدة الثقفي وكان لي صديقاً فركبت لاسلم عليه فوجدته قد دعا بدابته فركب وركبت معه حتى اتى الكناسة فوقف وقوف منتظر لشيء وقد كان وجَّه في طلب حرملة بن كاهل فأُحضِر.

فقال المختار: الحمد لله الذي مكنني منك، ثم دعا بالجزار.

فقال: اقطعوا يديه، فقطعتا، ثم قال: اقطعوا رجليه فقطعتا، ثم قال: النار النار فاتي بطن قصب ثم جعل فيها، ثم الهبت فيه النار حتى احترق.

فقلت سبحان الله سبحان الله، فالتفت اليّ المختار فقال: مم سبّحت؟

فقلت له: دخلت على علي بن الحسين عليه السلام فسألني عن حرملة فاخبرته اني تركته بالكوفة حياً فرفع يديه وقال: اللهم اذقه حر الحديد اللهم اذقه حر النار.

فقال المختار: ألله ألله أسمعت علي بن الحسين يقول هذا؟

فقلت: الله الله لقد سمعته يقول هذا، فنزل المختار وصلى ركعتين ثم سجد فاطال ثم رفع رأسه وذهب ومضيت معه حتى انتهى الى باب داري.

فقلت له: ان رايت ان تكرمني بان تنزل وتتغدى عندي.

فقال: يا منهال تخبرني ان علي بن الحسين عليه السلام دعا الله بثلاث دعوات فاجابه الله فيها على يدي ثم تسألني الاكل عندك. هذا يوم صوم شكراً لله على ما وفقني له[١].

## حرمة الامام عند الله

٥- قلّة ذات اليد مرة، والمشاكل اخرى، وتعاريج الحياة وعقباتها، كل ذلك من المألوف في الحياة ولايسلم منه إنسان، وتلك سنة الله سبحانه، وعلى ان الامور لاتبقى على حالها، فدوام الحال محال، ولكن من اجل رفع مفردة من مشاكل الحياة مقابل مساومة على موقف ديني وآخر إنساني، فهذا ما يبقي الضمير مؤنباً والتاريخ يذكره بحرارة.

والامام زين العابدين عليه السلام تعرض الى مبادرات من عبد الملك بن مروان، والامة شاهدة وفي بيت الله الحرام حيث الناس تطوف، واليك ما نقل المؤرخون عن الباقر عليه السلام انه قال:

كان عبد الملك يطوف بالبيت وعلي بن الحسين يطوف بين يديه، اي امامه ولايلتفت اليه، ولم يكن عبد الملك يعرفه بوجهه، الظاهر المراد انه لم ينظر الى وجهه حيث ان الامام يطوف امامه.

فقال عبد الملك: من هذا الذي يطوف بين ايدينا ولا يلتفت الينا؟

فقيل له: هذا علي بن الحسين عليه السلام، فجلس مكانه وقال: ردوه.

فقال له: يا علي بن الحسين عليه السلام اني لست قاتل ابيك، فما يمنعك من المصير الي؟.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: ان قاتل ابي أفسد بما فعله دنياه عليه وافسد ابي عليه بذلك آخرته، فان احببت ان تكون كهو فكن.

فقال عبد الملك: كلا ولكن صر الينا لتنال من دنيانا، فجلس الامام زين العابدين عليه السلام وبسط رداءه وقال: اللهم أره حرمة اوليائك عندك.

فاذا ازاره مملؤة درراً يكاد شعاعها يخطف الابصار، فقال له: من تكون هذه حرمته

(١) كشف الغمة، ج٢، ص٣٢٤.

عند ربه يحتاج الى دنياك؟ ثم قال: اللهم خذها فلا حاجة لي فيها[1].

## الشكر على حقن الدماء

٥- عندما قتل الحجاج الثقفي عبد الله بن الزبير في مكة توجه صوب المدينة المنورة واستقر عند الوجوه في المدينة، فرآى ان الامام زين العابدين عليه السلام ابرز تلك الوجوه واكثرها شعبية وترددا على ألسن الناس بمختلف طبقاتهم، وهو سليل النبوة، فكتب الى عبد الملك بن مروان:

ان اردت ان يثبت ملك فاقتل علي بن الحسين عليه السلام. فكتب عبد الملك اليه: اما بعد فجنبني دماء بني هاشم واحقنها فاني رأيت آل ابي سفيان لما اولغوا فيها لم يلبثوا الى ان ازال الله الملك عنهم.

وبعث بالكتاب سراً ايضاً فكتب علي بن الحسين عليه السلام الى عبد الملك في الساعة التي انفذ فيها الكتاب الى الحجاج:

وقفت على ما كتبت في دماء بني هاشم وقد شكر الله لك على ذلك. وبعث به مع غلام اوصل الكتاب بتاريخ الساعة التي انفذ فيها عبد الملك كتابه الى الحجاج.

فلما قدم الغلام اوصل الكتاب اليه فنظر عبد الملك في تاريخ الكتاب فوجده موافقاً لتاريخ كتابه فلم يشك في صدق زين العابدين عليه السلام ففرح بذلك وبعث اليه بوقر دنانير، وسأله ان يبسط اليه بجميع حوائجه وحوائج اهل بيته ومواليه.

وكان في كتابه عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله أتاني في النوم فعرفني ما كتبت به اليك وما شكر لك من ذلك[2].

## يتحرّر من القيود

٦-كان للامام موقف استعراضي مع عبد الملك بن مروان، ورغم محاولاتي ان اعرف وقته ولكني لم اوفق، ولكن المؤكد انه كان في كهولة الامام عليه السلام، وطبيعي ان

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص١٢١.

(٢) كشف الغمة في معرفة الائمة، ج٢، ص٢١٠.

هذه المحاولات لم تتم لولا الاتصال والعلاقة الخاصة للامام مع الله سبحانه واعني الدعاء فيستجيب سبحانه له وان كان الناس لايسمعون دعاء الامام عليه السلام.

عن ابن شهاب الزهري قال: شهدت علي بن الحسين عليه السلام يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة الى الشام، فاثقله حديداً ووكل به حفاظاً في عدة وجمع، فاستأذنتهم في التسليم والتوديع له، فأذنوا فدخلت عليه، والاقياد في رجليه والغل في يديه.

فبكيت وقلت: وددت اني مكانك وانت سالم.

فقال الامام: يا زهري او تظن هذا مما ترى علي وفي عنقي يكربني؟

أما لو شئتُ ما كان، فانه وان بلغ بك وبأمثالك، ليذكرني عذاب الله.

ثم اخرج يديه من الغل ورجليه من القيد ثم قال (يا زهري) لا جزت معهم على ذا منزلتين من المدينة قال: فما لبثنا الا اربع ليال حتى قدم الموكلون به يطلبونه بالمدينة فما وجدوه، فكنت فيمن سألهم عنه.

فقال لي بعضهم: انا نراه متبوعاً انه لنازل ونحن حوله لاننام نرصده اذا اصبحنا فما وجدنا بين محمله الا حديدة.

فقدمت بعد ذلك على عبد الملك فسألني عن علي بن الحسين عليه السلام فأخبرته.

فقال عبد الملك: انه جائني في يوم فقده الاعوان فدخل علي فقال: ما انا وانت؟ فقلت: اقم عندي فقال: لا احب، ثم خرج فو الله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة.

قال الزهري: فقلت: ليس علي بن الحسين عليه السلام حيث تظن، انه مشغول بنفسه.

فقال عبد الملك حبذا شغل مثله، فنعم ما شغل به[1].

## ملأ قلب الظالم رعبا

٧- قيل لمسرف بن عقبة: رأيناك تسب هذا - اي الامام زين العابدين عليه السلام - واهله فلما جيء به اليك رفعت منزلته.

---

(١) كشف الغمة في معرفة الائمة، ج٢، ص٢٨٨.

فقال: ما كان ذلك رأي مني، ولكن قلبي مُلئ منه رعبا[١].

وقد نُقِل عن الامام عليه السلام انه حين توجهه نحو مسرف بن عقبة لملاقاته دعا بهذا الدعاء: ربّ كم من نعمة انعمت بها علي قَلَّ لك عندها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قَلَّ لك عندها صبري، فيامن قلَّ عند نعمه شكري فلم يحرمني وقلَّ عند بلائه صبري فلم يخذلني، يا ذا المعروف الذي لاينقطع أبداً، ويا ذا النعماء التي لاتحصى عدداً، صلّ على محمد وآله، وادفع عني شره، فاني أدرأ بك في نحره واستعيذ بك من شره[٢].

## دعاء الكرب

٨- يذهب البعض الى ان الحسن المثنى بن الامام الحسن عليه السلام كان رمز حركة اهل العراق التي نسبت الى عبد الرحمن بن محمد بن قيس بن الاشعث[٣] ولذلك تم اعتقال الحسن المثنى بأمر من الوليد بن عبد الملك وامر الوليد صالح بن عبد الله المري -الظاهر انه كان مديرا لشرطته على المدينة المنورة- ان يخرج الحسن المثنى من السجن ويضربه امام الناس خمسمائة سوط.

فاخرجه صالح الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح المنبر يقرأ عليهم الكتاب ثم ينزل فيأمر بضرب الحسن، فبينما هو يقرأ الكتاب اذ دخل علي بن الحسين فأفرج الناس عنه حتى انتهى الى الحسن.

فقال له: يا ابن عم ادع الله بدعاء الكرب يفرج عنك. فقال الحسن: ما هو يا ابن عم؟ فقال: قل: لا اله الا الله الحليم الكريم، لا اله الا الله العلي العظيم، سبحان الله رب السموات السبع، وربّ الأرضين السبع، ورب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين.

وانصرف علي بن الحسين عليه السلام، واقبل الحسن يكررها، فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال: ارى سجية رجل مظلوم، أخروا امره وانا اراجع أمير المؤمنين فيه، وكتب صالح الى الوليد في ذلك، فكتب اليه: أطلقه[٤].

(١) مروج الذهب، ج٢، ص٩٦.
(٢) الارشاد، للشيخ المفيد، ج٢، ص١٥٢.
(٣) راجع فصل ثورة اهل العراق في الجزء الاول من الكتاب.
(٤) مهج الدعوات، ص٣٣١.

# [٣]

# أسفار الامام زين العابدين عليه السلام

نُقِل عن الامام مجموعة من المفردات حول سفره وجرت احداث في سفره ولقاءات وعند التتبع نجد ان الامام سافر الى:

١- كربلاء

٢- الكوفة

٣- الشام

٤- مكة المكرمة

وكل سفرة للامام كانت تقف خلفه مجموعة من الدوافع والاسباب.

## سفره الى كربلاء

فقد سافر الامام الى كربلاء لزيارة قبر ابيه الامام الحسين عليه السلام مرة حين دفن الجثث الطاهرة وكان ذلك بعد ثلاثة ايام من استشهاده وقدم كربلاء من الكوفة.

ومرة من المدينة المنورة عندما كان معتزلا عن الناس وساكناً في خيمة وسط الصحراء وقد يكون قد توجه الى كربلاء عند زيارة قبر جده الامام أمير المؤمنين عليه السلام.

## سفره الى الكوفة

زار الامام زين العابدين عليه السلام مسجد الكوفة وصلى فيه وكذلك زار قبر جده أمير المؤمنين عليه السلام.

١- عن عمرو بن خالد عن الثمالي: ان علي بن الحسين أتى مسجد الكوفة عمداً من المدينة فصلى فيه اربع ركعات ثم عاد حتى ركب راحلته واخذ الطريق[١].

ذكر السيد عبدالكريم بن طاووس في (فرحة الغري):

إن زين العابدين عليه السلام ورد الى الكوفة ودخل مسجدها وبه ابو حمزة الثمالي وكان من زهاد اهل الكوفة ومشايخها، فصلى ركعتين، قال أبو حمزة: فما سمعت أطيب من لهجته، فدنوت منه لأسمع ما يقول فسمعته يقول: الهي إن كنتُ قد عصيتك...الى آخر الدعاء[٢].

أقول: وفي رواية أخرى قال أبو حمزة: بينا أنا قاعد يوماً في المسجد عند (الإسطوانة) السابعة اذا برجل مما يلي أبواب كندة قد دخل، فنظرت اليه فاذا هو احسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً وأنظفهم ثوباً، معمم بلا طيلسان ولا إزار، عليه قميص ودرّاعة وعمامة، وفي رجليه نعلان عربيان، فخلع نعليه ثم قام عند السابعة ورفع مسبّحتيه حتى بلغتا شحمتي أذنيه ثم أرسلهما بالتكبير، فلم يبق في بدني شعرة إلا قامت، ثم صلى أربع ركعات أحسن ركوعهن وسجودهن وقال:

الهي إن كنتُ قد عصيتُك، فقد أطعتُك في احب الاشياء اليك الايمان بك، مَنّاً منك عليّ لا مَنّاً مني عليك، ولم اعصك في ابغض الاشياء اليك، لم أدّعِ لك ولداً ولم اتخذ لك شريكاً مَنّاً منك علي لا مَنّاً مني عليك، وعصيتك في الاشياء على غيرِ مكابرة مني ولا استكباراً عن عبادتك ولا جحوداً لربوبيتك، ولكن اتبعت هواي وازلني الشيطان بعد الحجة والبيان، فان تعذبني فبذنبي غير ظالم لي وان ترحمني فبجودك ورحمتك. والدعاء معروف.

قال السيد في فرحة الغري: ثم نهض عليه السلام قال أبو حمزة فتبعته الى مناخ الكوفة فوجدت عبداً أسود معه نجيب وناقة، فقلت يا أسود من الرجل؟ قال: أو يخفى عليك شمائله؟ هو علي بن الحسين عليه السلام قال ابو حمزة: فأكببت على قدميه أقبلهما، فرفع رأسي بيده وقال: لا يا ابا حمزة انما يكون السجود لله عز وجل.

(١) تهذيب الاحكام، ج٣، ص٢٥٤.
(٢) فرحة الغري، ص٧٦.

قلت: يا ابن رسول الله ما اقدمك الينا؟

قال: ما رايت، ولو علم الناس ما فيه من الفضل لأتوه ولو حبواً، هل لك أن تزور معي قبر جدي علي بن ابي طالب عليه السلام؟.

قلت: أجل. فسرت في ظل ناقته يحدثني حتى أتينا الغرتين، وهي بقعة بيضاء تلمع نوراً، فنزل عن ناقته ومرغ خديه عليها وقال: يا ابا حمزة هذا قبر جدي علي بن ابي طالب عليه السلام، ثم زاره بزيارة أولها: (السلام على اسم الله الرضي ونور وجهه المضي) ثم ودعه ومضى الى المدينة ورجعت أنا الى الكوفة.

٢- عن الثمالي: أن علي بن الحسين عليه السلام اتى مسجد الكوفة عمداً من المدينة فصلى ركعتين، ثم عاد حتى ركب راحلته وأخذ الطريق[١].

وقال الشهيد: روي عن طاووس اليماني أنه قال: مررت بالحِجْر في رجب وإذا أنا بشخص راكع وساجد فتأملته فإذا هو علي بن الحسين عليه السلام فقلت: يا نفسي رجل صالح من أهل بيت النبوة والله لأغتنم دعاءه، فجعلت أرقبه حتى فرغ من صلاته ورفع باطن كفيه الى السماء وجعل يقول:

سيدي سيدي وهذه يداي قد مددتها إليك بالذنوب مملوءة وعيناي اليك بالرجاء ممدودة، وحق لمن دعاك بالندم تذللاً أن تجيبه بالكرم تفضلاً، سيدي أَلِضرب المقامع خلقت أعضائي، أم لشرب الحميم خلقت أمعائي، سيدي لو أن عبداً إستطاع الهرب من مولاه لكنت أول الهاربين منك ولكني أعلم أنني لا أفوتك، سيدي لو أن عذابي يزيد في ملكك لسألتك الصبر عليه غير أني أعلم أنه لايزيد في ملكك طاعة المطيعين ولاينقص منه معصية العاصين، سيدي ما أنا وما خطري، هب لي خطاياي بفضلك، وجللني بسترك، واعف عني توبيخي بكرم وجهك، الهي وسيدي ارحمني مطروحاً على الفراش تقلبني ايدي أحبتي، وارحمني مطروحا على المغتسل يغسلني صالح جيرتي، وارحمني محمولاً قد تناول الأقرباء أطراف جنازتي، وارحم في ذلك البيت المظلم وحشتي وغربتي ووحدتي فما للعبد من يرحمه إلا مولاه، ثم سجد وقال: أعوذ بك من نار حرها لايُطفى، وجديدها لايبلى، وعطشانها لايروى، وقلّب خده الايمن وقال: اللهم لا تقلب وجهي

(١) تهذيب الأحكام، ج٣، ص٢٥٤.

في النار بعد تعفيره وسجودي لك بغير من مني عليك بك لك الحمد ولمن علي، ثم قلّب خده الايسر وقال: ارحم من اساء واقترف واستكان واعترف، ثم عاد إلى السجود وقال: إن كنت بئس العبد فانت نعم الرب العفو العفو مائة مرة.

قال طاووس: فبكيت حتى علا نحيبي. فالتفت إلي وقال: ما يبكيك يا يماني؟ أو ليس هذا مقام المذنبين؟ فقلت: حبيبي حقيق على الله أن لا يردك وجدك محمد صلى الله عليه وآله، قال طاووس: فلما كان العام المقبل في شهر رجب بالكوفة فمررت بمسجد غني، فرأيته عليه السلام يصلي فيه ويدعو بهذا الدعاء وفعل كما فعل في الحِجْر[1].

## سفره الى الشام

سافر الامام زين العابدين إلى الشام عدة مرات وكان قسم منها مرغم عليها وسفرات طواعية.

فسفره الأول كان مع قافلة الأسر مع عماته وأخواته وأهل بيته، بعد استشهاد أبيه الامام الحسين عليه السلام وهذه السفرة عرف تأريخها٦١هـ وباقي السفرات لم يعرف لها تأريخ ولكنها في حكم عبد الملك بن مروان.

وسفرة أخرى في عهد عبد الملك حيث أرسل إليه من يعتقله ويأتي به إليه، والامام عليه السلام بطريقة الإعجاز فك أغلاله ووصل الشام وتحدث مع عبد الملك ورجع.

وسفرة أخرى كانت للامام عليه السلام إلى الشام ولقاء عبد الملك حيث هال عبد الملك ما وجد على وجه وجسم الامام من آثار العبادة حتى خشي عبد الملك على وضع الامام الجسمي فوعظه الامام وقضى حوائج الامام ورجع الامام إلى المدينة.

وقد تكون هناك سفرات اخرى ولكن لم تنقل ولم تميز حيث لم يتعرض المؤرخون الى السنوات وانما فقط يذكرون اللقاء او موعظة الامام للحكام وهذه من المشاكل التي يواجهها الباحث عند التحقيق في توثيق الخبر.

---

(١) بحار الانوار، ج٩٧، ص٤٤٨، عن: المزار الكبير.

## سفره الى مكة المكرمة

سافر الامام عليه السلام الى مكة لاداء فريضة الحج ماشيا وراكبا ولم تتحدد سفراته بالضبط، فبعض الاخبار تتحدث عن انه كان صغيرا منفردا متنكرا ماشياً وتارة اخرى ينقل انه كان يسافر وهو امام القراء والفقهاء، والمتدبر لنقل المؤرخين عن سفر الامام يلاحظ ما يلي:

١- ان بعض السفرات كانت في حياة الامام الحسين عليه السلام كما هو سفره الذي ينقله حماد بن حبيب الكوفي القطان:

انقطعتُ عن القافلة عند زبالة فلما أجنّني الليل آويت الى شجرة عالية فلما اختلط الظلام اذا انا بشاب قد اقبل عليه أطمار بيض يفوح منه رائحة المسك.[١]

٢- قال عبد الله بن مبارك حججت بعض السفر الى مكة فبينما انا سائر في عرض الحاج اذا صبي سباعي او ثماني؟ وهو يسير في ناحية من الحاج بلا زاد ولا راحلة.[٢]

هذا ما نقل عن سفر الامام الى الكوفة وزيارة قبر جده أمير المؤمنين ووالده الامام الحسين عليه السلام والملاحظ في هذه الروايات ان اسم ابو حمزة الثمالي متكرر فهل ان الواقع هي سفرة واحدة ولكن الرواة خططوا فصولها في الزيارة فقط او السجود والدعاء واضيف اليها زيارة قبر الامام أمير المؤمنين عليه السلام ام هي زيارات متعددة، والظاهر ان الزيارات متعددة وليست سفره واحدة الى الكوفة.

كما ان الاقوى ان هذه الزيارات -أي الى الكوفة- كانت في حكم عبد الملك وولاية الحجاج بن يوسف الثقفي وذلك:

١- إن الامام بعد استشهاد أبيه ورجوعه إلى المدينة اعتزل الناس ونصب خيمة له خارج المدينة، ومن هناك فقط زار قبر ابيه الحسين عليه السلام، ولم يذهب إلى الكوفة وعليها ابن زياد[٣].

---

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص٤٠.
(٢) المناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٩٤.
(٣) راجع فصل ثورة التوابين، ج١

٢- ان تركيبة الزيارة والدعاء بحضور من سمعها لم تكن متوفرة حيث الموج السياسي كان منقلباً والكوفة تعيش حالة من الغليان والتضارب السياسي بين التيارات المتعددة المتنفذة في الكوفة.

٣- كما لم يذهب الامام الى الكوفة والمختار فيها لأنه لم يكن يريد ان يعيش متظاهرا في دعم حركة المختار، وسفره الى الكوفة في حياة المختار كانت له دلالته الواضحة في الدعم.

٤- كما ان الوضع في الفترة التي كان فيها المختار او مصعب بن الزبير كانت المدينة تحت سلطة عبد الله بن الزبير الذي كان قد وضع العيون على المدينة وبني هاشم بالذات حيث فعل بهم ما فعل[1].

٥- الارجح ان الفترة كانت قبل حركة اهل العراق بقيادة ابن الاشعث حيث الوضع السياسي كان مستقرا بعد ان قضى على مصعب في الكوفة وعبد الله في مكة.

## صغر السن والانفراد

والذي يلاحظ على هذا النقل إن في تلك الفترة كان والده الامام الحسين عليه السلام يحج فلماذا ينفرد هو عن سفر ابيه، أو نقول إن أباه الامام الحسين لم يكن في تلك السنين قد سافر الى الحج وسافر الامام زين العابدين لوحده.

وكما يؤخذ على ذلك إن الامام زين العابدين عليه السلام قد سلك سلوك الامام في معجزاته وحركته وهو لم يكن اماماً وانما الامام أبو الحسين عليه السلام.

اللهم إلا ان نقول ان انفراد الامام في الحج كان بعد استشهاد ابيه الامام الحسين عليه السلام والروايات التي تتحدث عن ذلك عليها ملاحظات تحديد السن.

والنمط الثاني لسفر الامام وهو متنكرا كانت بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام وهي بدأ حركة وامامة الامام عليه السلام اي فترة ما تبقّى من حكم يزيد ووجود عبد الله بن الزبير في مكة حيث الحالة الامنية غير مستقرة والسلطة غير مركزية والعداء الفاحش

(١) راجع فصل عبد الله بن الزبير ج١.

الذي مارسه عبد الله بن الزبير ضد بني هاشم.

والنمط الثالث حج الامام عليه السلام كان في باقي سنوات عمر الامام حيث الاوضاع مستقرة وعلاقة عبد الملك بالامام بالذات لم تكن حادة السوء بعكس ما كانت مع شيعة الامام في العراق والحجاز.

فقد كان الامام يحج على ناقته -اي ليس ماشياً او متنكراً- وكان يحج وهو امام القراء والفقهاء اي له رمزيته الواضحة والذي كان يفعله الامام من طبيعة زاده وما ارسلته اليه اخته سكينة واعتاق العبيد وتحسن الوضع المادي للامام عليه السلام على مستوى الملاحظات المادية، وإلا هو امام يملك قدرة التصرف في الأشياء بما منحه تعالى من هذه القدرة، يلاحظ انه حج وهو يملك واقع الامامة والرمزية والمكانة التي يتمتع بها الامام عليه السلام في الامة.

## [٤]

## ثفنات الامام عليه السلام

ان الوضع العبادي للامام عليه السلام كما بينا كان قد استحوذ على جسم الامام في تضاريس وجهه وكل بدنه حتى نقل عن ان جسمه عليه السلام كان نحيفاً بدرجة ان الريح اذا هبت كانت تميله باتجاهها لضعف جسمه[١].

والمعلْم الثاني كان تورم القدمين من كثرة الوقوف للصلاة «وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة»[٢].

والمؤشر الثالث كانت الثفنات التي كانت تبرز على موضع سجوده وبالذات جبهته: «خرج بجبهته وآثار سجوده مثل كركرة البعير»[٣] وكانت من السمات التي عرفت في وجه الامام عليه السلام والتي كان يعرفها القاصي والداني حتى عرف بها (ذو الثفنات)[٤].

وكان الامام عليه السلام للبروز الشديد لهذه الثفنات في وجهه يقطعها في كل سنه على اختلاف الروايات بين كونها خمس او سبع ثفنات.

وكانت هذه الثفنات المقدسة من الكنوز التي يحتفظ بها الامام عليه السلام في قارورة

---

(١) علل الشرايع، ص٨٨.

(٢) الإرشاد، ج٢، ص١٤٢. عن الباقر عليه السلام قال: كان لأبي في موضع سجوده آثار ناتئه وكان يقطعها في السنة مرتين في كل مرة خمس ثفنات فسمي ذا الثفنات لذلك. (علل الشرائع، ج١، ص٢٣٣).

(٣) علل الشرائع، ج١، ص٢٣٢.

(٤) (ولقد كانت تسقط منه كل سنة سبع ثفنات من مواضع سجوده لكثرة صلاته وكان يجمعها فلما مات دفنت معه) بحار الانوار، ج٤٦، ص٦٣.

لكي تدفن معه في قبره لتكون هي الناطقة عن الامام في اداء الامام للعبادة.

ولم تكن هذه الثفنات ناطقة عن حالة واحدة في سلوك الامام وانما تراكمت لسنين طويلة لكي تجمع معها غبار مختلف مناطق السجود التي نقلها من الكوفة وقبر جده وابيه والحجارة الخشنة وبيت الله الحرام والشام وبيته وقبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهي تحمل ذكريات السجود لهذه المناطق الواسعة والسنين الطويلة بكل لحظاتها التي ملأها الامام عبادة فيما مضى من حياته عبر سجود طويل.

إن هذه الثفنات لتطفئ غضب الله سبحانه وتفتح للامام ابواب الجنة على مصراعيها وتدله على سلم الارتقاء حيث مقعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

## السجود على تربة الامام الحسين عليه السلام:

تربة الامام الحسين عليه السلام من المسائل التي اخذت موقعها و مساحتها المتميزة في تشريع اهل البيت عليهم السلام وقد تواترت الاحاديث عنها:

١- انها من وسائل الشفاء.

٢- يتضاعف الاجر في السجود عليها.

والملاحظ في هذا التواتر والتأكيد بأنها مقابل ما قدم الامام الحسين عليه السلام من تضحية وفداء في سبيل اعلاء كلمة الله سبحانه، وتبليغ رسالاته وكأن عمله هو عملية نفض الغبار عن الرسالة مما اصابها من شوائب وأدران ليظهر دين الله سبحانه على واقعيته، ونلاحظ هذا في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «حسين مني وانا من حسين» رسالة واحدة وتعدد أدوار لمدرسة واحدة.

والملاحظة الثانية ان هذا الانشداد الى تربة الامام الحسين عليه السلام يجعل الانسان في وعي دائم ان الدين وقيمه اذا تعرض الى عملية تشويه ومنكر مهما كان مقداره فان الدور الحسيني شاخص امام الابصار وهذه تربته تفرغ في اذن المصلي أن: لا للمنكر مهما كان لونه ومصدره وحجمه، وبذلك تصدق المقولة «كل ارض كربلاء وكل يوم عاشوراء».

وكان الامام عليه السلام ممن مزج دموعه بتراب ابيه الامام الحسين عليه السلام حيث كان

يسجد على تربة أبيه: «وكان يسجد على تربة الحسين عليه السلام»[(١)].

وقد وضع الله سبحانه في تربة الامام الحسين من الخصائص في الشفاء واستجابة الدعاء وقبول الصلاة.

فالسجود على تربة الامام الحسين عليه السلام «يخرق الحجب السبع»[(٢)] ويقبل الله سبحانه صلاة من سجد عليها مالم يقبله من غيره و«ان الله تعالى جعل تربة الحسين شفاء من كل داء»[(٣)].

(١) المناقب، لابن شهر آشوب، ج٢، ص٢٥١.
(٢) وسائل الشيعة، ج٣، ص٦٠٨، كتاب الصلاة، ١٧ - باب استحباب السجود على الارض.
(٣) المصدر، ج١٠، ص٤٠٩، كتاب الحج، ابواب المزار، باب ٧٠، الحديث

[٥]

# قراءة في ادعية الامام عليه السلام

جسَّدت أدعية الامام زين العابدين مساحة واسعة من فكر الامام، الذي اخرجه بطريقة الدعاء لظروف تحدثنا عنها.

كما ان في أدعية الامام عليه السلام تنوع ملاحظ لمواضيع عديدة من الحالة الروحية في توحيد الله سبحانه والرغبة اليه، الى الدعاء لاهل الثغور والتي هي حالة عسكرية امنية تهم الوجود الإسلامي برمته لما كان يتعرض اليه من مخاطر اجنبية، والى الحالة الخلقية التي تدحرجت في الامة الى تجاوز الخط البياني المسموح به، وعرف دعاؤه باسم مكارم الاخلاق، وما بين هذه الادعية معالجات اخرى في ادعية اخرى نتعرض اليها.

ان القراءة في ادعية الامام طويلة نحاول ان نسلط الضوء على بعض منها سعياً وراء الاختصار وبعداً عن ان تتحول الحالة الى شرح للادعية وهي مهمة بحاجة الى تدقيق لغوي، واهم النقاط التي نريد ان نتحدث عنها هي:

## اولاً: اللّه

ركز الامام في أدعيته على الله سبحانه وتعالى كوجود وخالق وقادر في العطاء والمنع.

وكان تركيز الامام على هذه النقاط في ادعيته لمعالجة الحالة المائعة تجاه الله سبحانه التي كان يمارسها رأس السلطة الى اصغر حالة في الحكم مروراً بالولاة الذين كانوا يشكلون رأس الحربة في اداء الادوار الضالة المضلة في وسط المجتمع من تصريحات

مروان بن الحكم الذي رمى رأس الامام الحسين باتجاه قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وتصريحات عبد الملك بن مروان في مكة والمدينة المتنكرة لكل المقدسات.

الى احاديث خالد القسري في مكة امام الحجاج والتي يفضل فيها عطاء الوليد على عطاء الله سبحانه.

وممارسات عمر بن عبد العزيز وهو الوالي على المدينة ضد خباب بن عبد الله بن الزبير.

وكذلك ما عمل بسعيد بن المسيب لانه رفض الانسجام مع راي السلطة الاموية.

وما كان يصنع باتباع اهل البيت في العراق من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي والذين هربوا من جحيم الحجاج الى الحجاز حيث المطاردة لهم في البيوت وارسالهم معتقلين الى العراق ليقتلهم الحجاج الثقفي كما فعل بسعيد بن جبير[١].

إن هذا المنهج الذي عليه اهل القدرة والحكم كان واضحاً في تجرده من الايمان بالله سبحانه والخوف منه لان الذي يرتكب هكذا جرائم ليس من دلالة على وجود ايمان في قلبه.

كما أن حالة الترف الاجتماعي التي اصابت الامة من الفتوحات في شمال افريقيا واسبانيا وضعت في ايدي الناس قدرات مالية هائلة جعلتهم يتصرفون بطريقة بعيدة عن خوف الله سبحانه وتعالى.

وهذه حالة مألوفه عن هكذا واقع، سلطة غاشمة، ومال وفير يجعل الناس لاينكرون وجود الله سبحانه ولكن ايمانهم لايتجاوز ألسنتهم، حيث قلوبهم المغطاة بالممارسات المنحرفة الضالة مما جعل قلوبهم قشرية الايمان ولم يتمكن الايمان من النفوذ الى عمق نفوسهم فيغيرها.

وهذه الحالة هي التي تعيشها الكثير من الشعوب في نفاقها الغير معلن بعدم النكران للخالق، ولكن من دون العمل بشريعة الله، ومن هنا فان ادعية الامام في هذا

(١) كما بينا في الحديث عن حياة سعيد بن جبير.

الشأن كانت بمثابة الصاعق الذي ينفض كل خلية في جسمه وكل شحنة من تركيبة نفسه ليعيد اليها التوازن لترى واقعها كما هو ولتعرف مقدار بعده او قربه من الله سبحانه.

وعند التأمل في ادعية الامام في هذا الاتجاه تجد عبارات الامام الدقيقة في وصف حالات وجود الله وعظمته وقدرته.

## ثانيا: المغفرة والتوبة

اعطى الامام عليه السلام بعداً مستقلاً في ادعيته الى حالة الاستغفار وطلب التوبة من الله سبحانه، وهذا اللون من الدعاء هو المكمل لأدعيته، بغرز الايمان في وجدان الانسان من خلال زرع المحاسبة للنفس لبعدها عن منهج الله سبحانه وانها عاصية معتدية على قدسيته فلابد من التوبة الى الله سبحانه وطلب المغفرة منه.

وهذا التوجه في ادعية الامام يزرع في النفوس أن هناك مراقبة واحصاء ومحاسبة ليس فيها حالة من الانفلات وعدم الدقة وأن يعمل الانسان من دون أن يأتي يوم يحاسب فيه على اعماله الصغيرة والكبيرة، وهذا اللون من الاحساس يوقف عند الانسان حالات الاندفاع في عمل المنكر من ظلم واعتداء على حقوق الناس او ممارسة انواع الفحش والفسوق.

وهي منهجية تقف امام سلوك البعض عند قيامه بالمنكر وقد نسي ان هناك إله وحساب.

## ثالثا: الظلم السياسي

الظلم السياسي الذي شاهده الامام زين العابدين عليه السلام ابتداء مما وقع على جده أمير المؤمنين وعمه الحسن وشهادة ابيه واخوته واعمامه وابنائهم وخيرة قراء القرآن من اصحاب ابيه عليهم جميعاً السلام.

وما تحدثنا عنه من أمثلة الظلم الذي وقع امام عينيه في المدينة المنورة الذي مسه شخصياً، من استدعائه بواسطة عبد الملك بن مروان من المدينة الى دمشق.

ومن جهة ثانية ما كان يصل الى اسماعه من ممارسات الظلم على الامة وفي العراق

بالذات حيث شيعة جده وابيه عليهما السلام، ترك انطباعاً عميق الغور في نفسية الامام عليه السلام، لذلك لم يعش الامام الاستقرار النفسي من جراء مفردات الظلم.

ولذلك نجد ان الامام عليه السلام سجل انزعاجه من هذه الممارسات المزعجة في ادعيته على الظالمين في مختلف مستوياتهم ومراتبهم ومواقعهم في السلطة، وتذكرهم ان هناك قدرة الله سبحانه التي هي فوق قدرتهم وعليهم ان يخافوا الله سبحانه ولايعتدوا على الامة.

## رابعاً: الظلم الإجتماعي

سجل الامام في أدعيته موقفاً واضحاً من الممارسات الظالمة ضد افراد الامة تحت عناوين مختلفة في نكران الروابط الاجتماعية بين الناس والتي تنتاب المجتمع وتنخره من داخله، وهي مجموعة المفردات التي تمنع الانسان من التطاول على الناس في التحدث عنهم والنيل من محيطهم في غيبة أو تهمة او تنقيص بهم بمختلف الدوافع العصبية او التعالي العائلي بسبب الانتماء العائلي او القبلي او ماشابه ذلك، وخاصة تلك الموجة التي اجتاحت الامة من الشعوبية والنظر إلى الموالي والعبيد بنظرة الدونية.

ولما كانت هذه المظالم متجذرة في المجتمع ويزاولها الانسان عمداً او سهواً على طوال الساعة فان الامام عليه السلام ادخل ثقافة محاربة هذا الظلم في ادعية يومية تقرأ لتذكر الانسان حتى لايذهب بعيداً في اعتدائه ويتذكر ان هذه الممارسات هي حالة من العدوان على الاخرين وتنمية واضحة لعوامل الشر في نفسيته.

## خامسا: محاربة الثقافة الجاهلية

إن حالة التعالي والتميز الطبقي -وانا من الاشراف الذين يستحقون الامتيازات- كانت من الثقافة الشائعة في وسط الامة، وكانت السلطة الاموية ترعى هذه الافكار، واصحاب الذوات يستجيبون لاهواء السلطة ويعملون حسب اهوائهم في انجاز هذه الثقافة.

وقد برزت هذه بشكل سلوك ايام الوليد بن عقبة عندما قال العراق بستان قريش وثار عليه وجهاء الكوفة، وكذلك القتل الجماعي الذي قام به مصعب بن الزبير في الكوفة

-كما بينا- وقد تصدى الامام عليه السلام الى هذا التعالي الشيطاني على الناس بقوله:

او تحامل عليه بميل او هوى او أنفة او حمية او رياء او عصبية، غائباً كان ام شاهداً، وحياً كان ام ميتاً، فقصرت يدي وضاق وسعي عن ردها اليه والتحلل منه(١).

فنجد الامام عليه السلام يمسح كل مساحة دوافع التحرك السيء في نفسية الانسان وهي:

الهوى، الأنفة، الحمية، الرياء، العصبية، وكل هذه دوافع شيطانية سيئة تغرر بالانسان فيشعر انه يملك مستوى ارفع من الاخرين فيمتعض منهم.

وهذه ثقافة جاهلية كانت شائعة عند الناس وسببت في خلق حالة من الانقسام في وسط الامة او تطاول البعض ضد الاخر.

## سادساً: في التربية الإجتماعية

انسجاماً مع ما دعا اليه سبحانه وتعالى في احترام الوالدين وتجليلهما وكذلك الابناء والجيران الذين يشكلون الدوائر التي يتحرك فيها الانسان ويأوي الى احضانهم عند الشدة والحاجة، وكذلك هم الدائرة التي يألفها ويرتاح اليها حيث الطبع الإنساني الذي يبحث عن جو منسجم ومحيط هادئ يعيش في وسطه وتربط بعضه بالبعض الآخر روابط المودة واواصر الحنان والجو الروحي الذي يلف كل هذه العلاقة ومفرداتها.

وانطلاقاً من هذه الخلفية نجد ان الامام عليه السلام بث في الامة ثقافة الاحترام للوالدين والابناء والجيران من خلال دعائه لهم بالخير:

واخصص اللهم والديّ بالكرامة لديك والصلاة منك يا ارحم الراحمين، اللهم صل على محمد وآله والهمني علم ما يجب لهما علي الهاماً، واجمع لي علم ذلك كله تماماً، ثم استعملني بما تلهمني منه، ووفقني للنفوذ فيما تبصرني من علمه حتى لايفوتني استعمال شيء علمتنيه، ولاتثقل اركاني عن الحفوف -الاحاطة والاعتناء- فيما ألهمتنيه(٢).

(١) مفاتيح الجنان، من دعائه عليه السلام في يوم الإثنين.

(٢) الصحيفة السجادية، رقم٢٤، من دعائه عليه السلام لأبويه.

وفي هذا المقطع بين الامام عليه السلام الى انه ليست الثقافة هي الاطلاع والعلم بالاشياء من دون ان يمارس الانسان ما علم وعرف عملياً في تعامله الحياتي وتجنب حالة الترف الفكري، لان المعرفة من دون تطبيق تشكل لصاحبها ثقلاً ومسؤولية يحاسب عليها، كأن يعرف حق والديه ولكنه لايعاملهما بما يستحقان من الاحترام وهذا يختلف عن الانسان الذي لا يعرف حقوقهما -جاهل- ولذلك لايتعامل معهما بتلك المنزلة من الاحترام.

اللهم اجعلني اهابهما هيبة السلطان العسوف -الظالم الجبار- وابرهما بر الام الرؤوف، واجعل طاعتي لوالديّ وبري بهما اقر لعيني من رقدة الوسنان -شديد النعاس- واثلج لصدري من شربة الظمآن حتى اوثر على هواي هواهما واقدم على رضاي رضاهما، واستكثر برّهما بي وان قل، واستقل برّي بهما وان كثر[1].

ويعالج الامام في هذا المقطع طريقة الاحترام وامثله على ذلك، فيوضح ان المطلوب حالة الاحترام وليس الخوف والفرق بينهما ان الخوف من البطش والظلم الخارجي والاحترام هو العظمة في نفسية الانسان تجاه والديه فيحترم والديه كانهما سلطان ظالم ولكن ليس بدافع الخوف وانما الاحترام، ويتعامل معهما بالبر كالام الرؤوم، وكما إن الانسان عندما يشتد نعاسه يجد في النوم راحته واستقراره العصبي فان بر والديه اكثر راحة له من نوم النعسان واروح له من شربة العطشان للماء البارد.

ويضرب الامام امثلة لهذه المعاملة فيقول: اقدم رغبتهم على رغبتي ورضاهم على رضاي واجعل رضاهم عني وان قل كثيراً في نظري وخدمتي لهم وان كثرت قليلة في نظري حتى اندفع اكثر في خدمتهما.

اللهم اخفض لهما صوتي، وأطب لهما كلامي، وألن لهما عريكتي، واعطف عليهما قلبي، وصيرني بهما رفيقاً، وعليهما شفيقاً، اللهم اشكر لهما تربيتي، واثبهما على تكرمتي، واحفظ لهما ما حفظاه مني في صغري، اللهم وما مسهما مني من أذى، او خلص اليهما عني من مكروه، او ضاع من قبلي لهما من حق، فاجعله حطة لذنوبهما وعلوا في درجاتهما

---

(١) نفس المصدر.

وزيادة في حسناتها، يا مبدل السيئات باضعافها من الحسنات[١].

وفي هذا المقطع يتوجه الامام عليه السلام بالطلب من الله سبحانه.

١- ان اوفق لان اكون في خدمتهم وأؤدي حقهم بما يستحقا من خلال خفض صوتي واللين والميل والرفق والشفقة عليهم.

٢- ان ما قدماه لي في صغري من تربية وتكريم وما اصابهما من أذى ومكروه مقابل كل ذلك في تخفيف وغفران الذنوب عنهم بل ارفع درجتهم في الجنة وزد في حسناتهم وبدل سيئاتهم الى حسنات باضعاف كثيرة.

اللهم وما تعديا علي فيه من قول، او اسرفا علي فيه من فعل، اوضيعاه لي من حق، او قصرا بي عنه من واجب، فقد وهبته لهما وجدت به عليهما، ورغبت اليك في وضع تبعته عنهما، فاني لا اتهمهما على نفسي، ولا استبطئهما في بري، ولا اكره ما تولياه من امري يا رب، فهما اوجب حقا علي، واقدم احسانا الي، واعظم منّةً لدي من ان اقاصهما بعدل، او اجازيهما على مثل، اين اذن يا الهي طول شغلهما بتربيتي؟ واين شدة تعبهما في حراستي؟ واين اقتارهما على انفسهما للتوسعة علي؟ هيهات ما يستوفيان مني حقهما، ولا ادرك ما يجب علي لهما، ولا أنا بقاضٍ وظيفة خدمتهما[٢].

يتحدث الامام في هذا المقطع عن:

١- ان الوالدين قد تملي عليهما ظروف صعبة ثقافية او مادية او نفسية تمنعهما من ان اداء واجبهما بالطريقة الصحيحة، وقد يمارسان معي سلوكا فيه بعض التجاوز علي فاني لا اكون مدع عليهما او شاك عنهما مهما كان الامر.

٢- انهما احق واكبر من اوجه الاتهام واللوم اليهما، فهم اصحاب المنة علي بعد الله سبحانه واذا اريد ان اقف امامهما للحساب فاسأل نفسي فاين محل جهدهم وأتعابهم وسهرهم وحرصهم علي ويكافأ ذلك حتى اتجرأ على رفع رأسي امامهم محاسبا او عاتبا.

٣- ان الانسان أعجز من ان يتمكن من ان يؤدي حقهما ويجازيهما على احسانهما او

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

يقضي حق خدمة قدماه للإنسان.

وهذا المقطع لطمة على وجه الكثير من المتجرئين على ابائهم لاعتبارات مادية بحتة وهوى نفس وشهوة عابرة يطلب ان يؤديها اليه والداه او يسمحا له في القيام باعمال لايعرف نفعها من ضررها.

فصل على محمد وآله واعني يا خير من استعين به، ووفقني يا اهدى من رغب اليه، ولاتجعلني في اهل العقوق للآباء والامهات يوم تُجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون.

ويُعلِّم الامام عليه السلام الامة ان يطلب الانسان من الله سبحانه ان يوفقه لخدمتهم وكذلك يطلب منه سبحانه ان لايجعله في قائمة اهل العقوق فيُحاسَب على هذا العقوق.

اللهم صل على محمد وآل محمد وذريته واخصص ابوي بأفضل ما خصصت به آباء عبادك المؤمنين وامهاتهم يا ارحم الراحمين.

وهنا يطلب الانسان من الله سبحانه ان يتفضل على والديه ان يجعل مكانتهما وموقعهما في موقع آباء وامهات المؤمنين، حيث الموقع المتقدم لهم في الجنة.

اللهم لاتنسني ذكرهما في ادبار صلواتي، وفي إنىً من آناء ليلي، وفي كل ساعة من ساعات نهاري.

وهذا نوع من الوفاء للاباء في ان يتوفق الانسان ان يدعو لآبائه في آناء الليل واطراف النهار.

اللهم صل على محمد وآله، واغفر لي بدعائي لهما، واغفرلهما ببرهما بي مغفرة حتماً، وارض عنهما بشفاعتي لهما رضاً عزماً وبلغهما بالكرامة مواطن السلامة.

وهنا يطلب الامام من الله سبحانه حالة من التلازم للوصول الى نتيجة الترابط في المغفرة للاب والابن في ان يغطي الله سبحانه للانسان بدعائه لابويه لموقعهم المغفور وان يغفرلهما لانهما برا ابنهما لانهما بذلا جهداً يحترم ويقدر، وان يكون نوع المغفرة من النوع القطعي المحتوم.

وان كان موقع الانسان ممن يشفع فيسأل الانسان الله سبحانه ان يرضى الله سبحانه عن والديه بشفاعته لهما، رضا مقبولاً عنده سبحانه وان يكرمهما حتى يصلا بسبب هذه الكرامة بسلام إلى موقع السلامة في الآخرة.

اللهم وان سبقت مغفرتك لهما فشفّعهما فيّ، وان سبقت مغفرتك لي فشفّعني فيهما، حتى نجتمع برأفتك في دار كرامتك ومحل مغفرتك ورحمتك انك ذو الفضل العظيم والمن القديم وانت ارحم الراحمين(١).

وينتهي الامام في دعائه ان يخاطب الله سبحانه: ان غفرت لهما واصبحا من المغفور لهم فاقبل شفاعتهما فيّ وان غفرت لي قبلهم فاقبل شفاعتي فيهم حتى نجتمع ونستقر بفضل رأفتك في دار كرامتك ومغفرتك لانك صاحب فضل عظيم ومن قديم وفوق كل ذلك فانت ارحم الراحمين.

ان هذا التوجه من الامام في الدعاء في احترام الوالدين والدعاء للتوفيق في خدمتهما هو توجه إسلامي عام منسجم مع توجهات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية، وان تأكيده من قبله هو لبثّ الثقافة بأسلوب جديد وكلمات أخر. حيث تتكرر حالات انفلات من القيم والموازين حتى عند اولئك الذين تصدوا في حياة الامام عليه السلام لقيادة الأمة، فمن المعروف تاريخياً ان نتيجة التنافس بين الزبير بن العوام وطلحة في البصرة على إمامة الصلاة بجيشهم تقدم عبد الله بن الزبير ليؤم المصلين وفيهم أبوه الزبير.

كما ان المعروف تاريخياً ان عبد الله بن الزبير قال لأبيه ان مثلي لا توطأه امه فطلق الزبير بن العوام أم عبد الله وهي أسماء بنت أبي بكر وانتقلت لتعيش مع ابنها عبد الله.

وهذه أمثلة واضحة ان المواقع السياسية التي احتلوها من أمثال عبد الله بن الزبير أنستهم احترام الاباء.

(١) كانت المقاطع السابقة من دعاء الامام السجاد عليه السلام لأبويه في الصحيفة السجادية.


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

# الفهرست